OSHO

أوشو

من الجنس إلى أعلى مراحل الوعي

ترجمة: د. محمد ياسر حسكي

HAZEM MASSAOD
HM
E-Books

دار الخيال
DAR AL KHAYAL

من الجنس إلى أعلى مراحل الوعي
تأليف أوشو
ترجمة محمد ياسر حسكي

تحويل وتنسيق
د/ حازم مسعود
للمزيد من كتبي على
https://t.me/hazem_massaod_kindle_books

الفصل الأول:
الجنس ومنشأ الحب

28/ 8/ 1968 في ميدان «دبابة جواليور»

السؤال الأول: ما هو الحب؟
إنّه لمن السهل أن تشعر بالحب وأن تعيشه، ولكن من الصعب أن تشرحه في كلمات. لو سألت سمكة: «ما البحر؟» فستُجيبك: «إنّه البحر، وهو في كلّ مكان حولنا». ولكن إذا ألححتَ بالسؤال: «من فضلك لا أُريد ببساطة أن تُريني البحر، أريد تحديد وتعريف البحر». عندئذ تُصبح السمكة في وضع صعب ومُعقد. إنّ الأمر نفسه موجود في حياة الإنسان، إذ أننا نستطيع أن نعيش كلّ الأشياء الجيدة والرائعة والحقيقية كي تُصبح خبرتنا. يستطيع الإنسان أن يكون «حبًا» ولكنّ هناك صعوبة كبيرة في تحديده أو الحديث عنه.
إنّ المصيبة أنّه على مدى السنوات الأربع أو الخمس آلاف الماضية، وعوضًا عن أن يعيش الإنسان ويختبر الأشياء بالتجربة، فإنّه في الواقع يتحدّث ويشرح الأشياء التي لم يختبرها بتجربته. إنّ الناس يتحدثون ويتناقشون عن الحب، ويُغنون عنه ويُهدون الأناشيد له، ولكن في الواقع ليس هناك مكان للحب الحقيقي في حياة الإنسان، وإذا غُصت عميقًا في تاريخ البشرية، فستجد أنّ كلمة «الحب» مُحاطة بكذب كبير جدًا. وأنّ الناس الذين يُعتبَرون منبع الحب هم أولئك الذين يُفلسفون مفاهيم الحب ويُوقفون تياراته عن التدفق.
إنّ جميع الأديان تتحدث عن الحب، ولكنّ ذلك الذي يُحيط بالإنسان ويُسمونه حبًا يجعل الحب ببساطة أمرًا مستحيلاً. ليس هنالك فارقًا مبدئيًا في ذلك بين الشرق والغرب، أو بين «الهند» و«أمريكا».
إنّ تيار الحب لم يظهر حتى الآن في الإنسان. نحن نُلقي باللوم في ذلك على تفكيرنا أو على الناس الآخرين. نحن نُؤكّد أنّ تيار الحب غير موجود في حياتنا بسبب الناس السيئين، أو بسبب أنّ وعينا فاسد، ولكنّ الوعي لا يُمكن أن يكون فاسدًا. إنّ أولئك الذين يقولون إنّ وعي الإنسان فاسد هم أنفسهم الذين دمروا الحب ولم يسمحوا له بالولادة.
ليس هنالك شيء فاسد أو مشوه في هذا العالم.
ليس هناك في الوجود أيّ شيء غير صحيح. كلّ شيء هو الرحيق. إنّ الإنسان هو الذي حوّل الكأس المُمتلئ بالرحيق إلى سمّ، وأكبر المذنبين في ذلك على نحو رئيس هم مَن يُسمّون المعلمون، ومن يُسمّون القديسون ورجال الدين والسياسيون.
مِن المُهمّ أن تفهم هذا لأنّه إذا كانت تُعذبك شكوك ضبابية حول تعريف الحب، وإذا لم تفهم المرض وتستأصله فورًا فلن يحصل ولن يتحقق الحب الحقيقي في حياتك لا الآن ولا في المستقبل.
إنّه لمن السخرية أننا في المقام الأول قد قبلنا أسباب هذه العلل على نحو أعمى من المصادر نفسها التي تُنحي باللائمة على الحب الذي لا يبزغ فجره على أفق الإنسانية. ما زلنا نتّبِع المبادئ غير الصحيحة التي تكررت مُدة قرون، ومن أجل ذلك فشلنا في رؤية أخطاء هذه المبادئ التي نعتبرها «أصلية»، وبعد ذلك سادَتْ الفوضى لأنّ الإنسان غير قادر بفطرته أن يكون وفق ما تنصّ هذه القوانين «الخاطئة»، ويزيد الطين بلة أنّ المجتمع سيعتبره ببساطة إنسانًا خاطئًا.
لقد سمعتُ أنّ بائعًا متجولاً يبيع المراوح اليدوية في العصور القديمة، اعتاد على المرور أمام قصر الملك كلّ يوم، وقد اعتاد هذا البائع أن يتباهى بالمراوح المُدهشة التي يبيعها وكان يزعم أنّ

أحدًا لم يرَ مثلها من قبل.
كان لدى الملك مجموعة من كلّ أنواع المراوح من كلّ ركن من أركان العالم ولذلك انتابه الفضول. ذات يوم وقف على شرفة قصره يُلقي نظرة على بائع المراوح الرائعة الفريدة والعجيبة.
لقد بدَتْ هذه المراوح عادية بالنسبة إليه فهي بالكاد تُساوي فلسًا واحدًا. دعا الملك على أيّ حال البائع إلى الطابق العلوي. سأل الملك: «بماذا تتميز هذه المراوح؟ ما ثمنها؟».
أجاب بائع المراوح: «جلالتك، إنّها لا تُكلف الكثير، ونظرًا إلى نوعية هذه المراوح فإنّ ثمنها رخيص جدًا، مئة روبية للمروحة الواحدة».
استغرب الملك: «مئة روبية! هذه المروحة بالكاد تُساوي فلسًا واحدًا، وهي مُتوفرة في أيّ مكان في السوق وأنت تطلب ثمنها مئة روبية؟ ما الشيء المُميز جدًا في هذه المراوح؟».
قال الرجل: «جودتها! كلّ مروحة مكفولة مدة مئة عام. بل إنّها لن تتلف في مُدة مئة عام».
قال الملك: يبدو من شكلها استحالة أن تصمد حتى نهاية الأسبوع. هل تُحاول خداعي؟ أليس هذا احتيالاً صريحًا؟ أنت تحتال على الملك؟».
أجاب البائع: «مولاي هل أجرؤ على خداعك؟ أنت تعرف جيدًا سيدي أنني أمرّ مِن تحت شرفة قصرك يوميًا كي أبيع مراوحي. إنّ ثمن المروحة مئة روبية وأنا مسؤول إذا لم تصمد مُدة مئة عام». إنني موجود يوميًا في الشارع، وعلاوة على ذلك، أنت حاكم هذه البلاد فكيف أنجو بنفسي لو خدعتك؟».
تمّ شراء المروحة بالسعر المطلوب. وعلى الرغم من أنّ الملك لم يثق ببائع المراوح، إلا أنّ الفضول كاد يقتله من أجل معرفة ما الذي استند عليه الرجل كي يُؤكّد كلامه بهذه الطريقة. أُمِرَ البائع أن يحضر مُجددًا في اليوم السابع.
خرج المحور الذي يُثبّت المروحة خلال ثلاثة أيام، وتحطّمَتْ المروحة قبل نهاية الأسبوع.
كان الملك مُتأكدًا أنّ بائع المراوح لن يعود أبدًا، غير أنّه تفاجأ بقوة عندما حضر البائع في الموعد المُحدد كما أُمر في اليوم السابع.
«أنا في خدمتك صاحب الجلالة».
كان الملك غاضبًا: «إنّك نذل مخادع! اِنظُرْ إلى مروحتك المرمية هناك، لقد تحطّمَتْ إلى أجزاء. لقد كان الشرط أن تبقى سليمة مُدة أسبوع، وأنت كفلت ألا تتلف مئة عام! هل أنت مجنون، أم مُخادع من الطراز الأول؟».
أجاب الرجل بتواضع: «مع كلّ احترامي، يبدو أنّ مولاي لا يعرف كيف يستخدمها، يجب أن تدوم المروحة مئة عام، إنّها مكفولة. كيف تستخدمها؟».
قال الملك: «يا إلهي، عليّ الآن أن أتعلّم كيف أقوم بالتهوية!».
قال الرجل: «أرجوك لا تغضب. كيف آلت المروحة إلى هذه النهاية في سبعة أيام؟ كيف كنتَ تقوم بالتهوية؟».
رفع الملك المروحة مُظهرًا الطريقة التي يقوم بها المرء بالتهوية.
قال الرجل: «الآن فهمتُ. ينبغي ألا تقوم بالتهوية بهذه الطريقة».
سأل الملك: «ما هي الطرق الأخرى الموجودة؟».
شرح الرجل: «أبقِ المروحة ثابتة أمام وجهك، بعد ذلك حرّكْ رأسك يمينًا ويسارًا، وستدوم المروحة مئة عام. رُبّما تتلف أنت، ولكنّ المروحة ستبقى سليمة. لا عيب في المروحة، لكنّ

طريقتك في التهوية خاطئة. أبقِ المروحة ثابتة ثمّ حرّكْ رأسك. أين العيب في مروحتي؟ إنّ الخطأ موجود عندك وليس في مروحتي».

يقولون: «إنّ الإنسان خاطئ، وعليه أن يُغيّر نفسه». في الحقيقة لم يمتلك أحد الشجاعة كي يقف ويتساءل عمّا إذا كانت الأمور ليست على هذا النحو، فثقافتنا وديننا غير قادرين على ملئ الإنسان بالمحبة بعد عشرة آلاف سنة، وهذا يُؤكّد أنّ ثقافتنا ومعتقداتنا ترتكز على قيم زائفة. إذا لم يزدهر الحب في مُدة عشرة آلاف سنة الأخيرة، خُذها منّي، لن تكون هنالك امكانية من أجل وجود مُستقبل يرتكز على هذه الثقافة وعلى هذا الدين، ولن تكون هنالك امكانية من أجل رؤية الإنسان المحب. إنّ الشيء الذي لم يتحقق في مدة عشرة آلاف سنة الماضية، لا يُمكن أن يتحقق في العشرة آلاف سنة القادمة، وسيبقى انسان اليوم نفسه غدًا.
بالرغم من أن الأغلفة الخارجية لآداب التعامل والحضارة والتكنولوجيا تتغير من زمن إلى زمن إلا أنّ الإنسان بقي وسيبقى على حاله إلى الأبد.
في الحقيقة لسنا مُستعدين أن نُعيد النظر في ثقافتنا وديننا، وما زلنا نمتدحهما بأعلى صوتنا، وما زلنا نُقبّل أقدام كهنة أدياننا وقديسينا. إننا لا نقبل بإلقاء نظرة على الماضي كي نفحص طرقنا واتجاهات تفكيرنا، ونتحقق فيما إذا كانت مُضللة، أو إذا كانت خاطئة برمتها.
ما أُريد قوله هو إنّ أساس الإنسان هشٌ، وإنّ القيم زائفة، والدليل هو إنسان اليوم، وهل يُمكن أن يكون هناك أيّ دليل آخر؟
إذا زرعنا بذرة، وكانت الثمرة مرة وسامة، على ماذا يدلّ ذلك؟ إنّه يدلّ على أنّ البذرة لا بُدّ كانت بذرة سامة ومُرّة. غير أنّه من الصعب بطبيعة الحال، أن نتنبأ فيما إذا كانت بذرة معينة ستُعطي ثمرة مُرّة أو حلوة. رُبّما تنظر إليها بإمعان، وقد تسحقها أو تكسرها، ولكنّك لا تستطيع التنبؤ بصورة مُؤكّدة أنّها ستكون ثمرة حلوة أو مُرّة. عليك إذًا أن تنتظر ما يُبينه الزمن.
إن زرعتَ بذرة فستنبت إلى شجرة فتية، ومع مضي السنوات، تكبر الشجرة وتمتدّ أغصانها نحو السماء ثمّ تحمل الثمر، وعندها فقط ستعرف ما إذا كانت تلك البذرة التي زرعتها حلوة أو مُرّة. إنّ الإنسان العصري هو ثمرة بذور الثقافة والأديان التي زُرِعَتْ منذ عشرة آلاف سنة وقد تربّى عليها منذ ذلك الحين، وها هي الثمرة مُرّة ومليئة بالصراع والبؤس والكراهية.
لكننا نمتدح تلك البذور وننتظر منها أن تُزهر بالحب. أُكرر، لن يكون ذلك مُمكنًا، لأنّ أيّ امكانية من أجل ولادة الحب قد قُتلت من قِبل الدين وسُممت. يُمكن أن نرى الحب لدى الطيور والحيوانات والنباتات «الكائنات التي ليس لديها دين ولا ثقافة» أكثر مما لدى الإنسان بكثير. إنّ الحب يظهر جليًا عند الإنسان غير المُتحضّر، وعند إنسان الغاب المُتخلّف أكثر مما هو موجود لدى ما يُسمى الإنسان التقدمي والمثقف والمُتحضّر في هذه الأيام.
تذكّرْ أنّ البشر البدائيين لم يبتكروا أيّ حضارة أو أيّ ثقافة أو أيّ دين.
لماذا أصبح الإنسان تدريجيًا أكثر افتقارًا إلى الحب، في حين يُصرّح أنّه أصبح أكثر تحضّرًا وثقافة وتدينًا، وبينما يذهب إلى المعابد والكنائس بانتظام؟ في الحقيقة هناك بضعة أسباب أرغب في مُناقشتها، وإذا أمكن فهم تلك الأسباب يُمكن لجريان الحب الداخلي أن يبدأ بالتدفق بعد أن كان مطمورًا بالأحجار ولا يُمكنه أن يظهر. إنّ البئر مُطوّق من كلّ الجوانب، وعندها لا يُمكن أن يتدفّق نهر «الغانج» منه، ولا يُمكنه الجريان بحرية.

إنّ الحب موجود داخل الإنسان ولا يُمكن استيراده من الخارج. إنّ الحب ليس سلعة نشتريها عندما نذهب إلى الأسواق. إنّ الحب موجود وهو عبير الحياة الموجود داخل أيّ شخص. إنّ البحث عن الحب والسعي من أجل كسبه ليس عملاً ايجابيًا، وليس فعلاً علنيًا إذ يتوجب عليك أن تذهب إلى مكان ما وتجلبه.

كان هنالك نحات يقوم بنحت صخرة، ولكنّ أحد الذين جاءوا من أجل مُشاهدة عمل النحّات في صنع التمثال لم يرَ أيّ شيء يدلّ على التمثال، بل شاهد حجرًا يقوم النحات بالمطرقة والإزميل بقطع أجزاء منه هنا وهناك.

سأله الرجل: «ماذا تفعل؟ ألا تُريد أن تصنع تمثالاً؟ لقد جئتُ كي أرى كيف يُصنع التمثال، لكنّي لا أرى سوى أنّك تُقطّع الحجر».

أجاب النحات: «إنّ التمثال يختفي أصلاً داخل الحجر، ولا حاجة إلى صُنعه. على أيّ حال، ينبغي إزالة الأشياء الزائدة عن التمثال وعندئذ سيُظهر التمثال نفسه. يجب استخراج التمثال من داخل الحجر، فالتمثال لا يُصنع وإنّما يُكتشف، إذ يتمّ إزالة الزوائد منه كي يرى الضوء».

بالمثل، فإنّ الحب يختفي داخل الإنسان ويجب تحريره وتحقيقه. إنّ السؤال ليس في إنشاء الحب وإنّما في إيجاده والكشف عنه. إنّ السؤال هو: «ما الذي غطينا أنفسنا به؟ وما الذي يمنع الحب من الظهور؟».

حاول أن تسأل طبيبًا: ما الصحة؟ إنّه لأمرٌ غريب جدًا، ولكن لا يُوجد طبيب في العالم يستطيع أن يقول لك ما الصحة! ولا يُوجد من بين جميع المُهتمين بعلم الطب شخص بمقدوره أن يقول لك ما الصحة. إذا سألت طبيبًا، فسيقول لك: «أستطيع أن أُحدّثك ما الأمراض وما الأعراض. أنا أعرف المصطلحات التقنية المُختلفة وأعرف توصيف كلّ علة ومرض، وأستطيع وصف العلاج، ولكنّ الصحة؟». أنا لا أعرف أيّ شيء عن الصحة، وأستطيع أن أقول أنّ الذي يبقى عندما لا يكون هنالك مرض هو الصحة». ذلك لأنّ الصحة تختفي داخل الإنسان، ولا نستطيع أن نُعطيها تعريفًا مُحددًا.

إنّ المرض يأتي من الخارج وبناء على هذا يُمكن تحديده. أمّا الصحة فهي تنبع من داخل الإنسان وبالتالي يستحيل تعريفها. يُمكننا القول فقط إنّ غياب المرض هو الصحة. الحقيقة أنّه لا يجب إنشاء الصحة، فهي إمّا تختفي خلف المرض، أو تظهر عندما يذهب المرض أو يُعالج. إنّ الصحة في داخلنا وهي طبيعتنا وجوهرنا الحقيقي.

إنّ الحب أيضًا في داخلنا، وهو طبيعتنا وجوهرنا الحقيقي. من الخطأ أساسًا أن نطلب من شخص أن يُنشئ الحب. فالمشكلة ليست في خلق الحب، بل في كيفية التحري والكشف عن سبب عدم مقدرة الحب على اظهار نفسه؟ ما العقبة؟ ما الصعوبة؟ أين السد الذي يُعيق هذا الحب؟.

إذا لم تكن هناك حواجز فسيُظهر الحب نفسه، وليس من الضروري إرشاده وحثّه على الظهور. إنّ كلّ شخص يمتلئ بالحب إذا لم تكن هنالك حواجز من الثقافة الزائفة أو التقاليد المؤذية التي تحطّ من قدر الإنسان. لا يُمكن لشيء أن يُخمد الحب، فهو شيء حتمي وهو طبيعتنا وجوهرنا الحقيقي.

إنّ نهر الغانج يتدفق من جبال «الهملايا». إنّه مياه تتدفق ببساطة، وهو لا يسأل الكاهن عن الطريق إلى المُحيط. هل شاهدت نهرًا يتوقف عند تقاطع الطرق كي يسأل شرطيًا عن مكان المُحيط؟ مهما كان المُحيط بعيدًا، فسيجد النهر طريقه بالتأكيد، لأنّ البحث عن المُحيط مُختفٍ في كيانه. إنّه أمرٌ حتمي، فلديه حافز داخلي وليس لديه كتابًا يسترشد به، غير أنّه سيصل إلى هدفه

بطريقة لا تُخطئ. إنّ النهر سيشقّ طريقه خلال الجبال، ويعبر السهول، ويجتاز الأقطار في جريانه كي يصل إلى المُحيط على الرغم من عدم وجود خرائط ولا مُرشدين يدلون على الاتجاه الصحيح، ففي صميم قلبه تتواجد القوة والطاقة والرغبة العارمة.
لنفترض أنّ هناك عوائق وُضعت في طريقه من قِبَل الإنسان؟ لنفترض وجود سدود بناها الإنسان؟ لا شكّ أنّ النهر يستطيع التغلب على الحواجز الطبيعية ويقدر على اختراقها، فهي في المُحصلة ليست حواجز أمامه، ولكن إذا بنى الإنسان السدود في وجهه، فمن الممكن ألا يصل النهر إلى المُحيط. إنّ الإنسان وهو الذكاء الأسمى في الخليقة، يستطيع منع النهر من الوصول إلى المُحيط إذا أراد ذلك.
هناك إذًا وحدة جوهرية في الطبيعة وارتباط متبادل وتناسق. إنّ العوائق الطبيعية والحواجز الظاهرة في الطبيعة ضرورية من أجل زيادة الطاقة، وهي تزيد في الاحتياطي الذي يكمن في الداخل، وبالتالي لا يُوجد في الطبيعة أيّ تنافر.

إنّ الطبيعة هي تناغم إيقاعي عظيم، لكنّ العامل الاصطناعي الذي فرضه الإنسان على الطبيعة، والأشياء التي صممها في وجهها، والآلات المُبتكرة التي رمى بها في مجرى نهر الحياة، قد أنشأت عراقيل لا يُمكن تجاوزها في أماكن كثيرة مما أوقف تدفق الكثير من الأنهار، وأصبحنا نلوم النهر ونتهمه ونقول: «إنّ الإنسان سيء والبذرة سامة».
أُريد لفت انتباهك إلى حقيقة أنّ العوائق الأساسية هي من صنع الإنسان وقد أنشأها وأوجدها بنفسه، وإلا لتدفق نهر الحب بحرية ووصل إلى مُحيط الإله. إنّ الحب صفة مُتأصلة في الإنسان، وعندما تُزال العوائق بوعي، يُمكن للحب أن يتدفق، وأن يرتفع كي يُلامس الإله ويصل إلى الأسمى.
ما هي تلك الحواجز والعقبات التي صنعها الإنسان؟. إنّ العقبة الأكثر وضوحًا كانت مُعارضة الجنس والعاطفة، وهذا الحاجز دمّر إمكانية ولادة الحب في الإنسان.
الحقيقة البسيطة هي أنّ الجنس هو نقطة بداية الحب، وأنّ الجنس هو بداية الرحلة إلى الحب. إنّ منبع نهر «غانج» الحب «غانجو تري» هو الجنس والعاطفة، بينما يُعاديه الجميع وكلّ الثقافات والأديان والمُعلمين والباحثين قد هاجموا هذا المنبع وهذا المصدر. لقد بقي النهر مُعبأ في قوارير زجاجية، وبقي الاستنكار والصراخ دائمًا: «إنّ الجنس خطيئة، الجنس كفر، الجنس سمّ»، ولكن لا يبدو أننا سنُدرك أنّ الجنس بالمطلق هو طاقة بحدّ ذاته تُسافر كي تصل إلى مُحيط الحب الداخلي. إنّ الحب هو تحوّل طاقة الجنس، وازدهار الحب ينبثق من بذور الجنس.
انظر إلى الفحم، هل يخطر في ذهنك أنّ الفحم عندما يتحوّل سيُصبح ماسًا، إنّ العناصر الموجودة في قطعة الفحم هي نفسها الموجودة في الماس، ولا يُوجد بينهما فارق جوهري، فبعد المرور بعملية تستغرق آلاف السنين يُصبح الفحم ماسًا.
لا يُعتبر الفحم شيئًا مهمًا، فعندما يتم حفظ الفحم داخل المنزل فإنّه يُخزّن في مكان لا يراه الضيوف، بينما يتمّ ارتداء الماس حول العنق، أو يُوضع على الصدر كي يراه الجميع. إنّ الفحم والماس هما الشيء ذاته، وهما نقطتان على خط رحلة العنصر ذاته. إذا كنت ضدّ الفحم لأنّه ليس لديه شيء يُقدمه من النظرة الأولى أكثر من السخام الأسود، فإنّ إمكانية تحوّله إلى ماس تنتهي تمامًا عند هذا الحد. إنّ الفحم ذاته كان يُمكن أن يتحول إلى ماس، ولكننا نكره الفحم، وبالتالي تنتهي أيّ إمكانية من أجل التقدم.

إنّ طاقة الجنس وحدها يُمكن أن تتحول إلى حب، غير أنّ الجميع يُعارضون الجنس بمَنْ فيهم المُفكرون العظماء في هذه البشرية. هذه المُعارضة لن تسمح بأن تنبت البذور، بل ستُدمّر قصر الحب من أساساته.

إن العداوة تجاه الجنس قد دمّرَتْ إمكانية الحب، والفحم من أجل هذا السبب غير قادر أن يُصبح ماسًا.

بسبب المفاهيم الأساسية الخاطئة، لا أحد يشعر بضرورة المرور عبر مراحل الاعتراف بالجنس وتطويره، وبضرورة المرور من خلال عملية تحوله. كيف يتمّ تحوّل الجنس وارتقاؤه إذا كُنّا أعداء له؟ كيف يتمّ التحول إذا كنا نُعارضه؟ كيف يتمّ التحوّل ونحن نُواصل الحرب ضده؟ لقد أُرغم الإنسان على إحداث نزاع بينه وبين طاقته، ولُقِنَ كيف يُحارب طاقته الجنسية، ويُعارض دوافعه الجنسية، وقيل له: «إنّ التفكير سام، وعليك محاربته». الحقيقة أنّ التفكير موجود في الإنسان وكذلك الجنس، فكيف يُتوقع أن يكون الإنسان خاليًا من النزاعات الداخلية بعد التعليم المبني على الصراعات والحرب، وكيف يصل الإنسان إلى كينونة متناغمة. إنّ زعماء البشرية يُعلّمون الإنسان أن يُحارب ويُسالم في الوقت نفسه وهذا يقوده نحو الجنون من جهة، فيفتحون المصحّات من أجل علاجه من جهة أخرى. إنّهم ينشرون الجراثيم، وبعد ذلك يبنون المستشفيات من أجل العناية بالمرضى!.

هناك فكرة أخرى مُهمّة وهي أنّ الإنسان لا يُمكنه الانفصال عن الجنس، لأنّ الجنس أولويته الرئيسة، فهو يُولد من خلال الجنس، لأنّ الإله قد جعل طاقة الجنس هي نقطة بداية الخلق. إنّ أولئك العظماء قد اعتبروه خطيئة، في حين أنّ الإله ذاته لم يعتبره خطيئة!. إذا اعتبر الربُّ الجنسَ خطيئة فلا خاطئ أكبر مِن هذا الإله في العالم والكون.

ألم تُدرك أنّ تفتح الزهرة هو تعبير عن الشهوة وأنّه فعل جنسي؟ إنّ الطاووس يرقص بأبهة كاملة، فنرى أنّ الشاعر يتغنى به، ويمتلئ القديس فرحًا من منظره أيضًا، ولكن هل يُدركون أنّ الرقص هو تعبير علني عن الشهوة وأنّه فعل جنسي في المقام الأول؟ لِمَن يرقص الطاووس مُبتهجًا؟ إنّه يُنادي محبوبته، ويُنادي قرينته. إنّ طير «البابيها» يُغنّي أغنيته وكذلك يُغنّي طائر الوقواق أغنيته، ويُصبح الولد مُراهقًا، وتُصبح البنت امرأة جميلة، لماذا كلّ هذا؟ ما الأمر؟ إنّ كلّ هذه الأشياء ما هي إلا مؤشرات على الحب وعلى الطاقة الجنسية. إنّ مظاهر الحب هذه ما هي إلا تعابير مُتحولة عن الجنس الذي يفور ويغلي بالطاقة، وعن الجنس غير المجهول الذي لم يُشبع. إنّ كلّ أفعال الحب طوال حياة الإنسان، وكلّ مواقفه ودوافع الحب لديه تزدهر من طاقة الجنس الأولية.

إنّ الدين والثقافة يُسممان الجنس في تفكير الإنسان ويخلقان الصراع والحرب، ويزجّان بالإنسان في معركة ضدّ طاقاته البدائية، وهذا ما جعل الإنسان يُصبح ضعيفًا وفظًا وجلفًا وخاليًا من المحبة ومليئًا بالتفاهة. إذًا لا ينبغي أن نخلق عداوة مع الجنس، بل يجب أن نكون في صداقة معه، ويجب أن يرتقي الجنس إلى أسمى حالات النقاء.

أثناء مباركته لزوجين حديثين، قال الحكيم للعروس: «رُبّما تُصبحين أمًّا لعشر أطفال، ولكن في النهاية فليكُن زوجك هو الطفل الحادي عشر».

إذا تحوّلتْ العاطفة يُمكِن أن تُصبح الزوجة أُمًّا، وإذا تحوّلت الشهوة يتحوّلُ الجنس إلى حب. إنّ طاقة الجنس وحدها هي التي تُغذّي طاقة الحب، غير أننا ملأنا الإنسان بالعداوة تجاه الجنس، وكانت المحصلة أنّ الحب لم يعُد ينمو، لأنّه لا يُمكنه أن يُولد إلا من الطاقة الجنسية ولا يُمكنه أن

يزدهر إلا من خلال قبول الجنس. إنّ جدول الحب لا يُمكن أن يشقّ طريقه بسبب المعارضة القوية له، ومن جهة أُخرى فإنّ الجنس يُواصل التلاطم كأمواج هادرة في الداخل، مما يجعل وعي الإنسان يختلط بالرغبة الجنسية.
إنّ وعي الإنسان أصبح أكثر ارتباطًا بالجنس، فأغانينا وقصائدنا ورسوماتنا، وعمليًا كلّ الأشكال في معابدنا على نحو مُباشر أو غير مُباشر تتمحور حول الجنس، لأنّ تفكيرنا يدور حول محور الجنس. لا يُوجد في العالم حيوان شهواني كالإنسان، فهو شهواني في أيّ مكان، سواء كان مُستيقظًا أو نائمًا، وفي أساليبه كما في سلوكه. إنّ الإنسان مُطارد من قِبل الجنس في كلّ لحظة.
بسبب هذه العدائية تجاه الجنس، وبسبب هذه المعارضة وقمع الجنس أصبح الإنسان مُتعفنًا من الداخل، فلا يُمكن أن يُحرر الإنسان نفسه من شيء مُتجذّر في حياته. بسبب هذا الصراع الداخلي المُستمرّ فإنّ كيان الإنسان الداخلي أصبح كيانًا عصابيًا بالكامل، وأصبح الإنسان مريضًا. إنّ هذا الجنس المشوّه الفاسد الظاهر والواضح جدًا في الجنس البشري هو خطأ مَن يُسمّون الزعماء والقديسون، إنّهم مَن يقع اللوم عليهم. ما لم يُحرّر الإنسان نفسه مِن مثل هؤلاء المعلمين والواعظين وزعماء الدين، ومِن خطبهم وعظاتهم المُزيفة، فإنّ احتمال ظهور الحب لديه هو احتمال معدوم.
أتذكر حكاية تقول:

قال له المتدين: «أهلاً وسهلاً! ولكن أين كنتَ طوال هذه السنوات؟ تفضّلْ! ولكن مهلاً، لقد وعدتُ بعض الأصدقاء أن أذهب كي أراهم ومِن الصعب تأجيل الزيارة، لذلك أرجو أن ترتاح في منزلي وسأعود بعد نحو ساعة تقريبًا. سأعود قريبًا، ويُمكننا عند ذلك أن نتحدّث طويلاً».
قال الصديق: «أوه، كلا، أليس من الأفضل أن أذهب معك؟ إنّ ملابسي مُتّسخة جدًا، ولكن إذا أعطيتني بعض الثياب النظيفة، سأستبدل ثيابي وأذهب معك».
كان الملك في وقت سابق قد أعطى المُتدين بعض الملابس الثمينة فاحتفظ بها من أجل مُناسبة فخمة. أخرج المُتدين الملابس الثمينة مِن الخزانة بفرح، فارتدى صديقه المعطف الثمين والعمامة والمئزر والحذاء الجميل، فبدا وكأنّه الملك ذاته. شعر المُتدين بالحسد قليلاً وهو ينظر إلى صديقه، فقد بدا مثل الخادم مُقارنة معه، وأخذ يتساءل فيما إذا ارتكب خطأ عندما تبرّع بأفضل ثيابه، وبدأ يشعر بالدونية. لقد فكّرَ في قرارة نفسه: «سوف ينظر الآن الجميع إلى صديقي، وسأبدو مثل الُمرافق أو الخادم».
حاول أن يُهدّئ تفكيره مُعتبرًا نفسه صديقًا جيدًا ورجلاً تقيًا، وأنّ عليه أن يُفكّر في الإله وفي الأشياء النبيلة والروحانية العالية فقط، ثمّ قرّر: «في المُحصلة، ما أهمية المعطف الناعم أو العمامة الثمينة؟». بيد أنّه كُلّما حاول إقناع نفسه بذلك، زاد تفكيره بالمعطف والعمامة.
في الطريق، ورغم أنّهما كانا يسيران معًا، ولكنّ المارون كانوا ينظرون إلى صديقه فقط، ولم يكن أحدٌ يُلاحظه أبدًا. بدأ المُزارع يشعر بالكآبة، ومع أنّه كان يتجاذب أطراف الحديث مع صديقه، ولكنّه في قرارة نفسه لم يكن يُفكّر سوى بالمعطف والعمامة!
وصلا إلى المنزل الذي كانا يعتزمان زيارته، فقدّم المُتدين صديقه قائلاً: «هذا صديقي، صديق الطفولة، إنّه رجل وسيم جدًا». ثمّ فجأة أفلتت منه عبارة: «أمّا الملابس فهي لي!».
ذُهِل الصديق، وكان أصحاب البيت مدهوشين أيضًا. أدرك المُتدين بعد فوات الأوان أنّه لم يكن هنالك داعٍ إلى هذا التعليق، فندمَ على زلّة لسانه ووبخ نفسه داخليًا.

عندما خرجا من المنزل اعتذر المُتدين إلى صديقه الذي قال له: «لقد كنتُ مذهولاً! كيف أمكنكَ أن تقول شيئًا كهذا؟».

أجاب المُتدين: «آسف، إنّها زلّة لسان، لقد ارتكبتُ خطأ كبيرًا».

غير أنّ اللسان لا يُطلق الألفاظ جُزافًا، فالكلمات تندفع من فم الإنسان كي تُعبّر عن الأشياء الموجودة في ذهنه. إنّ اللسان لا يسمح للكلمات بأن تنطلق وحدها أبدًا. قال المُتدين: «سامحني، لا أعلم كيف تلفظتُ بهذا». بيد أنّه عرِف حقّ المعرفة كيف حصل الأمر فالفكرة كانت تدور في دماغه ولا تهدأ أبدًا.

ثمّ شرعا بزيارة منزل صديق آخر، وكان المُتدين يُكرر داخله أنّه يجب ألا يقول أيّ شيء عن ملابسه، وقد قام بتوجيه الدماغ ضدّ هذه الفكرة. عندما وصلا إلى بوابة المنزل، كان المُتدين قد توصّل إلى قرار لا رجعة فيه أنّه لن يقول أيّ شيء عن ملابسه.

لم يعرف هذا الرجل الفقير أنّه كلّما اعتزم على ألا يقول شيئًا، تجذّرت الأمور أكثر في وعيه الباطني أنّ الملابس له. علاوة على ذلك، لماذا عليه أن يتّخذ مثل هذه القرارات الحازمة؟ عندما يتخذ المرء قرارًا حازمًا مثل التعهد بالعزوبة على سبيل المثال، فهذا يعني أنّ نشاطه الجنسي سيندفع من الداخل بإلحاح شديد، وإذا أصرّ شخص على أن يأكل أقلّ أو يصوم بدءًا من اليوم، فهذا يدلّ على أنّ لديه رغبة عميقة في أن يأكل. إنّ مثل هذه الجهود تُؤدي حتمًا إلى الصراع الداخلي، إنّ ما نُحاربه ونحاول السيطرة عليه هو أكبر نقاط ضعفنا، ولكننا نُحاول دائمًا السيطرة ونُصرُّ على الصراع، مما يجعل الصراع الداخلي هو النتيجة الحتمية الطبيعية.

انغمس المُتدين في نزاع داخلي، ثمّ دخل إلى المنزل، وبدأ يقول لنفسه بحرص شديد: «إنّه صديقي». لكنّه لاحظ أنّ أحدًا لا يُعيره أيّ انتباه، وأنّ الجميع ينظرون إلى صديقه وملابسه بذهول، فعادت الفكرة تقرع رأسه مُجددًا: «إنّه معطفي! وتلك عمامتي!»، غير أنّه ذكّرَ نفسه مِن جديد بألا يتحدث عن الثياب، وبعزمه وتصميمه، فقال مُوضحًا لنفسه: «إنّ كلّ إنسان لديه ثياب على نحو أو آخر، غنيًا كان أم فقيرًا، إنّها مسألة تافهة». لكنّ الملابس كانت ما تزال تتأرجح أمام عينيه مثل رقاص الساعة جيئة وذهابًا.

بدأ من جديد بتعريف صديقه: «إنّه صديقي. صديق الطفولة. وهو شخص مُهذب ونبيل ولكنّ تلك الملابس مُلكه، وليست لي».

فُوجئ الناس فلم يسمعوا مِن قبل مثل هذا التقديم وهذا التعريف: «تلك الملابس مُلكه، وليست لي!».

بعد أن غادر المنزل، اعتذر مُجددًا بشدّة: «أيّ حماقة هذه؟». لقد كان مُرتبكًا حول ما يفعل وما لا يفعل. وقال لنفسه: «لم تكن الملابس تُسيطر عليّ بهذا الشكل مِن قبل! يا إلهي، ماذا حصل لي؟».

ماذا حصل له؟ إنّ المسكين لم يعرِفْ أنّ التقنية التي كان يستخدمها على نفسه كانت مثلما لو كان الإله يُجرّبه هل ستُسيطر عليه الملابس أم لا.

كان الصديق الآن مُستاءً جدًا، وقال إنّه لن يذهب معه إلى أيّ مكان آخر، فأمسك المُتدين بذراعه قائلاً: «أرجوكَ لا تفعلْ ذلك. سأكون حزينًا بقية حياتي بعد أن أبديت ذلك السلوك السيء تجاهك صديقي، أُقسِمُ لك أنّني لن أذكر الثياب مرة أخرى. أُقسِمُ مِن كلّ قلبي أنّني لن أذكر الثياب بعد الآن».

غير أن الإنسان يجب أن يكون حذرًا مِن هؤلاء الذين يُقسِمون، ذلك لأنّ هناك شيئًا أكثر عُمقًا يحدث عندما يُصرّ الإنسان على شيء ما، فالقرار يُتّخَذ بواسطة التفكير الظاهري، وبالتالي فإنّ

الشيء الذي يُعارض القرار المُتّخَذ سيبقى داخل متاهات العقل الباطن. إذا قسّمنا العقل إلى عشر أجزاء، فإنّ قسمًا واحدًا فقط هو الجزء العلوي الذي سيلتزم بالقرار، أمّا الأجزاء التسعة الباقية فستكون ضدّه. على سبيل المثال: إنّ عهد العزوبة يُتّخَذ بجزء واحد فقط من التفكير، بينما يكون القسم الأكبر الباقي من التفكير يُعاني من الجنون توقًا إلى ممارسة الجنس. إنّ باقي الأجزاء من الوعي الباطن تبكي من أجل ذلك الشيء بالذات الذي زرعه الإله في الإنسان، ولكن في الوقت الراهن ليس بالإمكان أفضل مما كان.
ثمّ ذهبوا إلى منزل صديق ثالث، فكبت المُتدين نفسه بصرامة، والناس المكبوتون خطرون جدًا، لأنّه هناك في دواخلهم بركان يغلي. إنّهم في الظاهر صارمين ومُمتلئين بضبط النفس، في حين أنّ رغباتهم التي تريد الانطلاق ملجومة بإحكام في الداخل.
تذكّرْ مِن فضلك: «إنّ ما يحصل قسريًا، فلن يستمرّ ولن يكتمل، لأنّه هناك ضغط هائل يُستخدم». عليك أن تسترخي أحيانًا وأن تستريح، كم من الوقت يُمكنك أن تُبقي قبضتك مشدودة؟ أربع وعشرون ساعة؟ كلّما شددت قبضتك أكثر، تعِبَتْ أكثر، وسارعَتْ إلى الإنفتاح على نحو أسرع. اِعمّل بجهد أكبر وأنفق طاقة أكثر، وستتعب بسرعة أكبر. هناك دائمًا ردة فعل على أيّ فعل، وهي دائمًا تحصل بسرعة. إنّ قبضة يدك يُمكن أن تظلّ مفتوحة طوال الوقت، لكنّها لا يُمكن أن تظلّ دائمًا مُطبقة بشدة. إنّ أيّ شيء يُسبب لك التعب لا يُمكن أن يكون جزءًا طبيعيًا من الحياة. عندما تدفع شيئًا ما بقوة، فسيعقب ذلك بالتأكيد فترة من الراحة. كلّما كان القديس أكثر مهارة كان أكثر خطورة، فبعد أربع وعشرين ساعة من ضبط النفس والالتزام بتعاليم الكتب المقدسة، عليه أن يستريح مُدة ساعة على الأقل، وخلال هذه الساعة سترتفع فجأة تلك الآثام المكبوتة التي قمعها فيجد نفسه وسط الجحيم.
ضبط المُتدين نفسه بصرامة كي لا يتحدث عن الثياب. تخيّلْ حالته هذه. إذا كُنتَ مُتدينًا لو قليلاً، يُمكنك أن تتخيّل حالته العقلية، وإذا سبق أن أقسمتَ أو قطعتَ عهدًا بالرهبنة، أو كبحتَ نفسك من أجل سبب ديني، فستفهم جيدًا حالته العقلية على نحو جيد جدًا.
دخلا إلى المنزل التالي. كان المُتدين مُنهكًا ومُستنزفًا ويتصبب عرقًا، وكان صديقه قلقًا أيضًا.

ثمّ تلعثم للحظة، فقد أتته دفعة هائلة من الداخل، وأدرك أنّه كان ينهار تمامًا، فقال بصوت جهوري ودون تفكير: «أمّا الملابس، فاعذروني، لن أقول عنها أيّ شيء، لأنّني أقسمتُ ألا أتفوّه بشيء مُطلقًا عن الملابس!».
إنّ ما حصل لهذا الرجل قد حصل للبشرية كلّها، فقد أصبح الجنس هاجسًا من جراء الإدانة، وأصبح الجنس مرضًا وانحرافًا وأصبح مُسممًا.
يتمّ تلقين الطفل منذ نعومة أظفاره أنّ الجنس خطيئة وإثمًا. ثمّ يكبر الولد وكذلك الفتاة، ويبلغان سن المراهقة، ثمّ يتزوجان، وتبدأ رحلتهما العاطفية على أساس القناعة أنّ الجنس خطيئة. في «الهند» يُقال أيضًا للفتاة إنّ زوجها هو الإله. كيف يُمكنها عند ذلك أن تُبجّل شخصًا مثل الإله وهو يأخذها إلى الخطيئة؟. يُقال للشاب أيضًا: «هذه زوجتك وشريكتك ورفيقة دربك»، وفي الوقت ذاته تقول الكتب المُقدّسة إنّ المرأة هي بوابة جهنم ونبع الخطيئة، فيشعر الشاب حينها بأنّه يعيش مع شيطان يُمثّل دور شريكة حياته. إنّ الشاب يُفكّر: «هل هذا هو نصفي الأفضل، إنّ نصفي مُقاد بالإثم ومربوط بالجحيم؟». كيف يُمكن أن يحدث أيّ تناغم في حياته؟.

لقد دمّرتْ التعاليمُ التقليدية الحياةَ الزوجية في العالم كلّه. عندما تكون الحياة الزوجية مليئة بالتحيّز والسمّ فليست هناك إمكانية للحب. إذا لم يتمكن الزوجان من أن يُحبا بعضهما بحرية وعلى نحو حقيقي وطبيعي، مَن سيُحبّ؟. إنّ هذا الوضع المُقلق يُمكن تصحيحه، وهذا الحب المُعكّر يُمكن تنقيته كي يرتقي إلى قمم رفيعة المستوى، ويُحطّم كلّ الحواجز ويُذيب كلّ التعقيدات، فيغمر الزوجين فرحٌ إلهي نقي. هذا الحب السامي يُمكن تحقيقه، ولكن إذا تمّ وأده في مهده وخنقه وتسميمه، فماذا سيخرج منه؟ وكيف يُمكن أن يتحول إلى زهرة حب سامية؟.
خيّم ناسك مُتجول في قرية، فجاءه شخص وقال إنّه يُريد أن يتعرف إلى الإله.
سأله الحكيم: «هل سبق أن أحببتَ أيّ شخص؟».
أجاب الرجل: «كلّا، أنا لا أقترف مثل هذه الخطايا الدنيوية، ولا أهبط إلى هذا المستوى، أنا أُريد أن أتعرّف إلى الإله».
سأله الحكيم مرة أخرى: «ألم تشعر بوخزات الحب أبدًا؟».
أجابه الباحث مُؤكّدًا: «لقد قلتُ لك الحقيقة».
لقد تحدّث الناسك الفقير على نحو صادق، ولكن في عالم الدين، إذا كان لديك محبوبًا، فهذا يعني أنّك غير مُؤهل، ولذلك كان الباحث مُتأكدًا أنّه لو أجاب أنّه أحبّ شخصًا ما، فسيطلب منه الحكيم الناسك عند ذلك أن يُحرر نفسه مِن الحب وأن يتخلّى عن التعلقات ويترك كلّ العواطف الدنيوية قبل أن يطلب الإرشاد والتوجيه. لقد فكّرَ أنّه حتّى لو أحبّ شخصًا، فعليه أن ينفي هذا الأمر. أين يُمكن أن تجد شخصًا لم يُحبّ ولو قليلاً؟.
سأل الناسك الحكيم للمرة الثالثة: «قُلْ شيئًا ما، فكّرْ بعناية، ألَمْ تُحبّ شخصًا ما، أيّ شخص، ولو قليلاً؟».
قال المُريد: «اعذرني، لماذا تُواصل الطرق على نفس السؤال؟ لم أقترِبْ مِن الحبّ، ولو مع عمود بطول عشر أقدام. أنا أُريد نيل الإدراك الذاتي. أنا أُريد الربانية».
عندئذ أجابه الناسك: «إذًا لا بُدّ أن تعذرني. مِن فضلك حاول أن تجد شخصًا آخر، فتجربتي تقول إنّك إذا أحببت شخصًا، أيّ شخص، وإذا كانت لديك ومضات من المحبة، يُمكنني أن أُساعدك على تكبيرها وتنميتها، ورُبّما أُساعدك على الوصول إلى الإله، ولكن إذا لم تكُنْ قد أحببتَ أبدًا، فأنت لا تملك في داخلك شيئًا، وليس لديك البذرة التي يُمكن أن تنمو كي تُصبح شجرة. اِذهبْ وابحَثْ عن شخص آخر. إنّي لا أرى ياصديقي أيّ انفتاح في اتجاه الإله في غياب الحبّ».
بالمثل، إذا لم يكن هناك حب بين الزوجين، فأنت مُخطئ على نحو مُحزن إذا اعتقدت أنّ الزوج الذي لا يُحبّ زوجته سيكون قادرًا على أن يُحبّ أطفاله. إنّ الزوجة ستُحبّ ابنها بالدرجة نفسها تمامًا التي تُحبّ بها زوجها، لأنّ الطفل هو انعكاس لصورة زوجها. إذا لم يكن الحب موجودًا تجاه الزوج فكيف يكون موجودًا تجاه الطفل؟. إذا لم يُمنَح الحب إلى الطفل، ولم يتغذّى ويُربّى على الحب فكيف تتوقع منه أن يُحبّ أبويه؟ إن الأسرة هي وحدة الحياة الأساسية، والعالم نفسه هو أسرة كبيرة، ولكنّ الحياة الأسرية قد سُممَتْ مِن خلال إدانة الجنس، ثمّ ننوح ونندب أننا لا نجد الحبّ في أيّ مكان! كيف تتوقع تحت هذه الظروف أن تعثر على الحبّ في أيّ مكان؟.
كلّ شخص يقول أنّه يُحب. الأمهات والزوجات والأبناء والأخوة والأخوات والأصدقاء، كلّهم يقولون أنّهم يُحبّون، ولكن لو لاحظتَ الحياة بمُجملها فستجد أنّه ليس هنالك حبًا واضحًا على الإطلاق. لو كان هناك أُناس كُثر ممتلئون بالحب يجب أن يكون هنالك مطر من الحبّ، ويجب أن تمتلأ الأرض بالأزهار، ثمّ المزيد والمزيد مِن الأزهار. إذا أضاء مصباح المحبة في كلّ بيت، كم

من النور سيكون في هذا العالم! إلا أنّه بدلاً من ذلك نجد أنّ المناخ السائد هو التنافر والاشمئزاز، ولايُوجد ولا شعاع واحد من المحبة في مخطط الأشياء المؤسف هذا. إنّه من التكبّر أن نعتقد أنّ الحب موجود في كلّ مكان، فطالما بقينا غارقين في هذا الوهم، فلا يُمكننا حتّى البدء في البحث عن الحقيقة، إذ لا أحد يُحبّ أحدًا، وما لم نتقبل الجنس الطبيعي دون تحفظ، فلن تكون هنالك محبة، وحتّى ذلك الحين لا يُمكن لأحد أن يُحبّ أيّ أحد.

ما أُريد قوله هو أنّ الجنس شيء رباني، فطاقة الجنس البدائية هي انعكاس الإله، ومن الواضح أنّ الجنس هو الطاقة التي تُنشئ حياة جديدة، وهي الطاقة الأعظم والأكثر غموضًا مِن كُلّ شيء.

يجب انهاء هذه العداوة مع الجنس إذا أردت أن تغمر المحبة حياتك. اِنبُذْ الصراع مع الجنس.

تقبّلْ الجنس بفرح واعترِفْ بقداسته. اِحصلْ عليه بامتنان وعانقه على نحو أعمق فأعمق، وستتفاجأ أنّ الجنس يستطيع أن يبوح بمثل هذه القداسة، وأنّ بوحه مُتناسب مع درجة تقبلك له. ولكن طالما أنّك تقترب من الجنس على أنّه خطيئة وشيء غير جدير بالاحترام، فستُواجه جنسًا بشعًا وآثمًا.

عندما يقترب رجل من زوجته، ينبغي عليه أن يشعر بالقداسة كما لو أنّه ذاهب إلى المعبد.

عندما تذهب الزوجة إلى زوجها يجب أن تمتلئ بالتوقير والتبجيل كما لو أنّها تقترب من الإله. في لحظات الجنس، وهذه المرحلة قريبة جدًا من معبد الإله، يعبر المُحبّون مِن خلال الجماع إلى حيث يُظهِر الإله ذاته في حالة إبداعية لا يحدّها شكل.

أنا أُخمّن أنّ الإنسان قد حصل على ومضات أولى من «السمادهي» أثناء تجربة الجماع، ففي لحظات الجماع فقط يُدرِك الإنسان أنّه يُمكنه الشعور بهذا الحب العميق، واختبار ومضات من النعمة. إنّ الذين يتأملون في هذه الحقيقة في إطار فكري سليم، وأولئك الذين يتأملون في ظاهرة الجنس وظاهرة الجماع، يخلصون إلى أنّه في لحظات ذروة النشوة يُصبح الدماغ خاليًا من الأفكار، ويفرغ الرأس في تلك اللحظة من كلّ الأفكار. هذا الفراغ في التفكير وخلاء الرأس وتوقف الدماغ هو سبب حصول مطر الفرح الإلهي.

بعد أن كشف الإنسان هذه النقطة، ذهب إلى أبعد منها: إذا كان الدماغ يُمكن أن يتحرر من الأفكار، وأمكن أن تهدأ تموجات الوعي بواسطة عملية الجنس، فمن المنطقي أن يُحقق الإنسان هذه النشوة دون الجنس! على أساس هذه المعرفة نشأ نظام اليوغا، ومن هنا جاء التأمل وجاءت الصلاة. هذه النظرة الجديدة أثبتت أنّه من المُمكن أن تهدأ تموجات الوعي وتتبخر الأفكار حتّى دون جماع. لقد اكتشف الإنسان أنّ الفرح ذي الأبعاد الُمدهشة الذي حصل عليه أثناء الجماع، يُمكن الحصول عليه أيضًا دون هذه العملية.

إنّ كلاهما يأتي من الرحم نفسه، والفارق الوحيد بينهما هو المسافة التي بين الأرض والسماء.

في هذه المرحلة أودّ أن أُعطيك المبدأ الأول. إذا أردتَ أن تعرف الحقيقة الأولية عن الحب فالمطلب الأول أن تتقبل قداسة الجنس، بل يجب أن تتقبل قداسته بالطريقة نفسها التي تتقبل بها وجود الإله بقلب مفتوح. كلّما تقبلت الجنس بعقل وقلب منفتح على نحو كامل تحررتَ منه أكثر، وكلّما قمعت الجنس أكثر أصبحتَ مُستعبدًا له أكثر، مثل ذلك المُتدين في القصة إذ أصبح عبد ثيابه. إنّ مدى تقبلك هو مقياس نجاتك من العبودية. إنّ تقبلك الكلي للحياة ولكلّ ما هو طبيعي في الحياة، ولكلّ ما أعطانا الإله في الحياة، يقودك إلى أعلى ممالك الربانية، وإلى الآفاق السامية

المجهولة بالنسبة إليك الآن. أنا أسمّي ذلك التقبل «الإيمان»، وهذا الإيمان بما وهبه الإله لنا هو الباب إلى التحرر.

أنا أعتبر تلك التعاليم التي تمنع الإنسان من تقبل ما هو طبيعي في الحياة وفي المنظومة الإلهية، هي تعاليم إلحادية إذ يقولون: «قاوم ذلك، اقمَعْهُ، الأمر الطبيعي خطيئة وهو أمر سيء وشهواني قذر، اِتركْ هذا أو ذاك»، إنّ كلّ هذه التعاليم هي إلحاد حسب فهمي، وأولئك الذين يدعون إلى الرهبنة هم أناس ملحدون.

إذًا تقبّلْ الحياة في شكلها النقي والطبيعي وازدَهِرْ من خلال الامتلاء بها، فالامتلاء بحدّ ذاته سيرفعك خطوة فخطوة، وتقبّل الجنس سيرفعك نحو قمم مِن السكينة لم تكن تتصورها. إذا كان الجنس فحمًا، فسيأتي بالتأكيد ذلك اليوم الذي يُولد منه الماس، وهذا هو المبدأ الأول.

إمّا الشيء الثاني الأساسي الذي أُريد أن أُخبرك عنه فهو شيء لديك أصبح مُتجذرًا في داخلك بسبب الحضارة والثقافة والدين، وذلك الشيء هو الأنا والإحساس بالأنا.

إنّ طبيعة الطاقة الجنسية تُحفّز الأنا كي تتدفق باتجاه الحب، ولكنّ حاجز الأنا الذي يُحيط بالحب كالجدار يُعيق تدفق هذا الحب. إنّ الأنا قوية جدًا عند الأشخاص السيئين والجيدين، عند الأشرار والقديسين على حدّ سواء. إنّ الأشخاص السيئين يُؤكّدون الأنا بطرق مُختلفة، ولكنّ الأشخاص الجيدين أيضًا يُطبّلون ويزمّرون من أجل الأنا عاليًا: إنّهم يُريدون الذهاب إلى الجنة، ويُريدون أن يُنقذوا بالوصول إلى هناك، وينبذون العالم، ويبنون المعابد، ولا يرتكبون الخطايا، ويُريدون أن يفعلوا هذا وذاك، ولكنّ «الأنا» إشارة التوجيه تلك حاضرةٌ في كلّ وقت.

كلّما كانت أنا الشخص أقوى صَعُبَ عليه الالتقاء مع أيّ شخص آخر، فالأنا تتواجد بينهما وتُؤكّد نفسها وتتحوّل إلى جدار قائلة: «أنت أنت، وأنا أنا»، وهكذا فإنّ أكثر التجارب حميمية لا تُقرّب الناس من بعضهم البعض. رُبّما تكون الأجساد مُتقاربة، ولكنّ البشر مُتباعدون جدًا، وهكذا طالما أنّ «الأنا» موجودة في الداخل، فلا يُمكن تجنب هذا الإحساس بالتمايز والغيرية.

ذات يوم قال سارتر شيئًا رائعًا: «إنّ الآخر هو جهنم»، ولكنّه لم يُفسّر لماذا يكون الآخر هو جهنم، أو لماذا الآخر هو الآخر. إنّ الآخر هو آخر لأنني «أنا»، وطالما أنني «أنا» فإنّ العالم من حولي هو الآخر المُختلف والمُنفصل كلّ على حدى دون أيّ علاقة أو رابط.

طالما أنّ هذا الشعور بالانفصال موجود، فلا يُمكن لأحد أن يعرف الحب، لأنّ الحب هو تجربة الاتحاد.

إنّ هدم الجدران واندماج طاقتين ما هو إلا تجربة الحب. إنّ الحب هو النشوة عندما تنهار الجدران بين شخصين وتتلاقى طاقتان وتتحدان معًا.

عندما يتواجد هذا الانسجام بين اثنين من البشر فأنا أُسمّيه حبًا. وعندما يتواجد بين شخص واحد وعامة الناس، فأنا أُسمّيه الاتصال مع الإله. إذا استطعتَ أن تندمج معي في مثل هذه التجربة، إذ تذوب كلّ الحواجز ويحدث التجانس على المستوى الروحي، فسيكون هذا هو الحب بالضبط. إذا حصل مثل هذا الاتحاد بيني وبين كلّ أحد أيضًا إذ أفقد هويتي في الكلّ، فسيكون هذا الانجاز وذلك الاندماج مع الإله القادر على كلّ شيء، العَالِم بكُلّ شيء، مع الوعي الكوني، مع الأسمى، أو مهما شئتَ فسمّيه. من أجل هذا أقول: «إنّ المحبة هي الدرجة الأولى على السُلم بينما الإله هو الدرجة الأخيرة والوجهة النهائية الرائعة.

كيف يمكن أن أمحو ذاتي؟.

ما لم أذيب أناي، كيف يتّحد الآخرون معي؟ لقد تواجد الآخر كرد فعل على أناي، وكلّما صرختُ عاليًا «أنا»، أصبح تواجد وحضور «الآخر» أقوى، فالآخر ما هو إلا صدى «الأنا» الخاصة بي.
ثمّ ما «الأنا»؟ هل سبق وأن فكرت بذلك بهدوء؟ هل هي موجودة في رجلك أو يدك أو رأسك أو في قلبك؟ أم أنّها مُجرّد الغروروالتكبر؟.
ما هي أناك أو غرورك، وأين يقعان؟ إنّ الشعور بها موجود رغم أنّها ليست موجودة في مكان مُحدد. اِجلسْ لحظات بهدوء وابحَثْ عن «الأنا»، وستتفاجأ أنّه بالرغم من بحثك الشديد، فلن تجد «أناك» في أيّ مكان. عندما تبحث في الداخل عميقًا، ستُدرك أنّه ليس هناك «أنا» وليس هنالك غرور. عندما تتواجد حقيقة الذات لا تتواجد بل تختفي «الأنا».
دُعي الراهب المُبجّل «ناجسين» من قِبل الإمبراطور «ماليان‍د» كي يُشرّف بلاطه.
ذهب رسول الإمبراطور إلى «ناجسين» وقال له: «أيّها الراهب، إنّ الإمبراطور يودّ رؤيتك، وقد جئتُ من أجل دعوتك إليه».
أجاب «ناجسين»: «إذا أردتني أن أذهب إليه سأذهب، ولكن لا يُوجد هنا «ناجسين» كشخص. إنّه الإسم فقط وهو شيء مؤقت فقط».
أبلغ الرسول الإمبراطور بأنّ «ناجسين» رجل غريب الأطوار، فقد أجاب إنّه سيأتي، ولكنّه قال إنّه لا يُوجد «ناجسين» كشخص، فذُهل الإمبراطور.
وصل «ناجسين» في المركبة الملكية في الوقت المحدد، فاستقبله الإمبراطور عند بوابة القصر هاتفًا: «مرحبًا أيّها الراهب «ناجسين»».
أخذ الراهب يضحك لدى سماعه هذا الكلام وقال: «إنّي أتقبّل ترحيبك على أنني «ناجسين»، ولكن مِن فضلك تذكّرْ أنّه لا يُوجد أحدٌ هنا بهذا الاسم».
قال الإمبراطور: «إنّك تتحدث بالألغاز، فإذا لم تكن أنت «ناجسين»، مَن الذي قبل دعوتي؟ مَن الذي يجيب الآن على الترحيب؟».
نظر «ناجسين» خلفه وسأل: «أليست هذه المركبة التي جئتُ فيها؟».
أجل، إنّها هي، إنّها ذاتها.
«إذن أرجوك، فُكّ الأحصنة عنها».
تمّ فعل ذلك.
سأل الراهب وهو يُشير إلى الأحصنة: «هل هذه عربة؟».
قال الإمبراطور: «كيف يُمكن أن تُسمّي الأحصنة عربة؟».
بإشارة من الراهب، أُبعدَتْ الأحصنة وأُزيلتْ الأعمدة التي تُربط بها الأحصنة.
قال الراهب: «هل هذه الأعمدة هي عربتك؟».
أجاب الإمبراطور: «بالطبع لا»، هذه أعمدة وليست عربة».

في النهاية لم يبق منها شيء
سأل الراهب: «أين هي عربتك الآن؟ لقد تفككتْ إلى أجزاء، وكما أجبتني فليس أيّ جزء هو العربة، قُل لي إذًا أين هي عربتك الآن؟»
باغت هذا الإكتشاف الإمبراطور.

تابع الراهب حديثه: «هل فهمتني؟ لقد كانت العربة مُتجمعة مِن أشياء معينة، والآن لم يَعُدْ للعربة كيانها الخاص. مِن فضلك اِنظُرْ في داخلك: أين «أناك»؟ أين غرورك؟.

في الحقيقة، لن تجد الأنا في أيّ موضع، فهي ليست سوى تعبير عن طاقات كثيرة وهذا كلّ شيء. فكّرْ في كلّ عضو من جسدك، وفي كلّ مظهر من مظاهر ذاتك، وفي كلّ شيء، وبعد ذلك تخلّص مِن كلّ شيء الواحد بعد الآخر، وفي النهاية لن يتبقى سوى اللاشيء. إنّ الحب يُولد من هذا اللاشيء، وهذا اللاشيء هو الربانية النقية.

في إحدى القرى، افتتح رجل محلاً من أجل بيع السمك ووضع يافطة كبيرة كتب عليها: «هنا يُباع السمك الطازج».

في اليوم الأول جاء شخص إلى المحل وقرأ: «هنا يُباع سمك طازج»، فضحك وقال: «سمك طازج؟ هل يُباع السمك غير الطازج في أيّ مكان؟ ما المغزى من كتابة «طازج»؟.

رأى بائع السمك أنّ الرجل مُحقٌّ، فكلمة «طازج» تُعطي انطباعًا إلى الزبائن أنّه غير طازج، فمحا كلمة» طازج» من اليافطة، وأصبحت الآن على الشكل التالي: «هنا يُباع السمك».

في اليوم التالي، زارَتْ المحل سيدة عجوز وقرأت بصوت عال: «هنا يباع السمك». فقالت: «عجبًا! هل تبيع السمك في مكان آخر؟».

محا البائع كلمة «هنا» من اليافطة وأصبحت تُقرأ: «يُباع السمك».

في اليوم الثالث، جاء زبون آخر إلى المحل، وقال: «يُباع السمك؟» وهل يُعطي أحد السمك مجانًا؟».

مُحيتْ كلمة «يُباع» ولم يبقَ الآن سوى كلمة «السمك».

جاء رجل عجوز وقال للبائع: «سمَك»؟ حتّى الشخص الأعمى سيعرف من مسافة بعيدة، بأنّ ثمة سمك يُباع هنا بسبب الرائحة».

أُزيلت كلمة «سمك»، وأصبحت اليافطة فارغة.

مرّ عابر سبيل وسأل البائع: «لماذا هذه اليافطة الفارغة؟».

أُزيلت اليافطة أيضًا ولم يبقَ شيء، لقد أُزيلت كلّ كلمة، الواحدة تلو الأخرى، ولم يبقَ بعد ذلك إلا اللاشيء والفراغ.

لا يُمكن أن يُولد الحب إلا من الفراغ فقط، ووحده الفراغ قادر على الاندماج بفراغ آخر، ووحده الصفر يُمكنه الاتحاد على نحو مُطلق مع صفر آخر. لا يُمكن أن يتّحِدَ شخصان، ولكنّ الفراغان يُمكن أن يتحدا لأنّه لم يعُدْ يُوجد حاجز بينهما، كلّ الأشياء الأخرى لديها جدران ما عدا الفراغ.

الشيء الثاني الذي ينبغي تذكّره هو أنّ الحب يولد عندما تختفي الفردية، وعندما لا تعود «الأنا» و«الآخر» موجودين، ويبقى الكلّ واللا محدود، ولكن ليس «الأنا». عندما يتحقق ذلك، تنهار كلّ الحواجز ويتدفق نهر «الغانج» الداخلي الخاص بك المُستعد أبدًا كي يأخذ فرصة الجريان.

عندما نحفر بئرًا، يتدفق الماء الموجود فيها أصلاً، ولا حاجة إلى جلب الماء من أيّ مكان آخر، كلّ ما علينا أن نحفر الأرض ونُزيل التراب والحجارة. ما الذي نفعله بالضبط عندما نحفر بئرًا؟ إننا نخلق فراغًا كي يتمكّن الماء الذي كان يختبأ في الداخل من إيجاد فراغ يتحرك فيه ويُظهر نفسه فيه.

إنّ ذلك الذي في الداخل يُريد مكانًا وحيزًا، وهو يتلهف إلى الفراغ الذي ليس بمتناوله كي ينفجر ويتمكّن من الخروج. إذا كانت البئر مليئة بالرمل والحجارة فلن يتدفق الماء إلى الأعلى ما لم نُزيل تلك الأشياء. بالمثل، فإنّ الإنسان مليء بالحب، ولكنّ الحب يحتاج إلى مساحة كي يظهر على

السطح. طالما أنّ قلبك وروحك يقولان «أنا» فأنت بئر تملؤها الرمال والحجارة، وبالتالي لن يتدفق جدول الحب من داخلك.
لقد قرأتُ قصة مدهشة كتبها «شيلوم سيلفرشتاين» بعنوان الشجرة المُعطية»: كانت الشجرة مهيبة وقديمة ذات أغصان ممتدة نحو السماء. عندما كانت هذه الشجرة تزدهر، كانت تتراقص حولها الفراشات من كلّ الأحجام والأشكال والألوان. وعندما تنضج ثمارها، كانت الطيور تأتي من أماكن بعيدة وتُغرّد فيها. كانت أغصانها الممدودة كالأيدي تُبارك كلّ الذين جاءوا وجلسوا في ظلها. كان هناك ولد صغير اعتاد أن يأتي ويلعب تحتها، وكان هنالك حب ينمو عند الشجرة تجاه الولد الصغير.
إنّ الحب مُمكن بين الكبير والصغير إذا لم يكن الكبير يُدرك أنّه كبير. هذه الشجرة لم تكن تعرف أنّها كبيرة، فالإنسان فقط مَن يمتلك تلك المعرفة. إنّ الكبار دائمًا يعتبرون الأنا شيئًا رئيسًا، أمّا بالنسبة إلى الحب فلا يُوجد صغير أو كبير، وهو يحتضن كلّ مَن يقترب منه.
لقد نما الحب عند الشجرة تجاه هذا الولد الصغير الذي كان يأتي كي يلعب بالقرب منها. كانت أغصانها عالية، ولكنّ الشجرة كانت تميل وتنحني من أجل أن يتمكن الطفل من قطف أزهارها وتناول ثمارها. إنّ الحب مُستعد للانحناء في أيّ وقت، أما الأنا فليست مُستعدة لذلك أبدًا. لو كان الأمر حسب منهج الأنا، فسترتفع أغصانها إلى الأعلى أكثر وتتصلب حتى لا تصل إليها.
جاء الطفل اللعوب، فأحنت الشجرة أغصانها، وكانت مسرورة جدًا حينما قطف الطفل بعضًا من أزهارها، وكان كيانها بأكمله مُمتلئًا ببهجة الحب. يكون الحب مسرورًا دومًا عندما يتمكّن من إعطاء شيء ما، أمّا الأنا فتكون مسرورة دائمًا عندما تستطيع الأخذ.
كبُرَ الطفل وكان ينام أحيانًا في حضن الشجرة، يأكل من ثمارها حينًا، ويضع فوق رأسه تاجًا من أزهارها حينًا آخر، ويتصرّف وكأنّه ملك الأدغال. إنّ الإنسان يُصبح كالملك عندما تكون أزهار المحبة موجودة، ولكنّه يُصبح فقيرًا وبائسًا عندما تكون أشواك الأنا موجودة. إنّ مشهد الولد وهو يرتدي تاجًا من أزهارها ويرقص حولها، قد ملأ الشجرة بالفرح. فأومأت بحبها، وأنشدت مع النسيم. كبُرَ الولد أكثر، وبدأ يتسلق الشجرة كي يتأرجح على أغصانها، فشعرَتْ بسعادة غامرة حينما استراح على أغصانها. إنّ الحب يكون سعيدًا عندما يُعطي الراحة إلى شخص ما، أمّا الأنا فتكون سعيدة عندما تُقدّم المتاعب إلى الآخرين.
مع مرور الزمن ترتبت على الولد مسؤوليات وواجبات أُخرى وكبُرَ طموحه، وكانت لديه امتحانات عليه أن يجتازها، وأصبح لديه أصدقاء يتحدث ويتجوّل معهم، ولذلك لم يعُدْ يأتِ في أغلب الأحيان إلى الشجرة التي كانت تنتظر مجيئه بفارغ الصبر، لقد نادته من صميم روحها: «تعال، تعال، إنني أنتظرك». ينتظر الحب ليلاً ونهارًا. انتظرت الشجرة، وشعرّتْ بالحزن حين لم يأتِ الولد. يكون الحب حزينًا عندما لا يستطيع المُشاركة. أمّا عندما يستطيع الحب أن يُعطي نفسه ويستسلم بالكامل، فيكون في حالة السعادة القصوى.
عندما كبُرَ الولد أكثر، أصبح تردده على الشجرة أقلّ فأقلّ، فالإنسان عندما يكبر تكبر معه طموحاته، ولا يعود لديه وقت من أجل الحب. لقد استحوذَتْ الشؤون الدنيوية الآن على الولد.
ذات يوم، بينما كان الولد المحبوب يمرّ جانبها، قالت له الشجرة: «لقد انتظرتُكَ ولكنّكَ لم تأتِ، لقد كنتُ أنتظر مجيئك يوميًا».

قالت الشجرة المذهولة: «ألن تأتي إلا إذا أعطيتُكَ شيئًا ما؟» إنّ الحب ليس بخلاً ولا منعًا.

إنّ الأنا تعمل على التجميع والتكديس، أمّا الحب فهو يُعطي دون قيد أو شرط. قالت الشجرة: «نحن ليس لدينا مرض المال، ونحن مسرورون دونه»، ثمّ أضافت: «تتفتح الأزهار فينا، وتنمو الثمار الكثيرة علينا، ونمنح الظل اللطيف، ونرقص مع النسيم، ونُنشد الأغاني. تتقافز الطيور الساذجة على أغصاننا وتُغرّد رغم أننا لا نملك مالاً. في ذلك اليوم الذي نُصبح فيه معنيين بالمال، سيتوجب علينا أن نذهب إلى المعابد كما يفعل الإنسان الضعيف مثلك، كي يتعلم كيف يحصل على السلام، ويتعلّم كيف يجد الحب. كلا، لا حاجة لنا إلى المال».

قال الولد: «إذًا لماذا يجب أن آتي إليك؟ سأذهب إلى حيث يوجد المال، فأنا بحاجة إليه». إنّ الأنا تطلب المال لأنها تحتاج إلى القوة والطاقة.

فكّرتْ الشجرة قليلاً، ثمّ قالت: «لا تذهب إلى أيّ مكان ياعزيزي، اجمَعْ ثماري وقُمْ ببيعها، وستحصل على المال».

في الحال أشرق وجه الولد، فتسلق الشجرة وقطف كلّ ثمارها، وجمع حتّى الثمار التي لم تنضج بعد، وتلك التي تساقطت على الأرض. شعرَتْ الشجرة بالسعادة، رغم تكسر بعض فروعها وأغصانها، ورغم سقوط بعض أوراقها على الأرض. إنّ الانكسار أيضًا يجعل الحب سعيدًا، بينما الأنا لا تكون سعيدة حتى بعد الأخذ، لأنّها ترغب دائمًا بالمزيد. لم تُلاحظ الشجرة أنّ الولد لم ينظر إلى الوراء ولو مرة كي يشكرها، فقد حصلت على شكره عندما قبِلَ عرضها أن يقطف ثمارها ويبيعها.

لم يأت الولد فترة طويلة، فهو الآن يملك المال، وكان مشغولاً بمُضاعفة المال الذي كسبه، وقد نسي الشجرة تمامًا. مضَتْ سنوات كانت الشجرة أثناءها حزينة، تتلهف إلى عودة الولد، كالأم التي امتلأ صدرها بالحليب ولكنّ ابنها ضائع.

إنّ الأم تشتاق إلى ابنها البعيد بكلّ كيانها، وتبحث عنه بجنون كي يأتي ويُخفف عنها، وهكذا كان بكاء تلك الشجرة الداخلي، إذ كان كيانها بأكمله يتلوى من شدة الألم.

بعد عدة سنوات رجع الولد إلى الشجرة وقد أصبح الآن مُراهقًا.

قالت الشجرة: «تعال يا ولدي، تعال واحضُني».

قال الشاب: «أوقفي تلك الوجدانيات، فقد كان ذلك شيئًا طفوليًا، وأنا لم أعُدْ طفلاً». إنّ الأنا ترى الحب جنونًا، وتراه خيالاً طفوليًا.

غير أن الشجرة دعته قائلة: «تعال وتأرجح على أغصاني، تعال وارقُص، تعال والعب معي».

أجاب الرجل: «توقفي عن هذا الكلام الذي لا نفع منه! أنا أحتاج إلى بناء منزل، هل بمقدورك أن تُعطيني منزلاً؟».

صرخت الشجرة: «تُريد منزلاً؟ اِنظُرْ، ها أنا دون منزل». إنّ البشر فقط هم مَن يعيش في المنازل، ولا أحد سواهم يعيش في منازل، ولكن هل ترى حالتهم بعد أن سجنوا أنفسهم بين أربعة جدران؟ كلما كبُرَتْ مباني الإنسان، أصبح هو نفسه أصغر. تابعت الشجرة: «نحن لا نمكث في منازل، ومع ذلك يُمكنك أن تقطع أغصاني وتأخذها، رُبّما تستطيع بعد ذلك بناء منزل».

دون إضاعة الوقت، أحضر الرجل فأسًا وقطّع أغصان الشجرة كلها. لقد أصبحَتْ الشجرة الآن جذعًا عاريًا تمامًا، ولكنّ الحب لا يكترث لهذه الأشياء، حتّى لو تقطّعت أوصاله من أجل المحبوب، فالحب معطاء، وهو مُستعدّ دومًا أن يُعطي.

لم يُكلّف الرجل نفسه عناء شكر الشجرة فشيّد منزله، ثمّ تحوّلت الأيام إلى سنوات.

كان الجذع ينتظر وينتظر، وقد أراد أن يُناديه، ولكن لم تعُدْ لديه أغصان ولا أوراق تمنحه القوة على ذلك. هبت الرياح جانبه، لكنّه لم يتمكن حتّى من تحميلها رسالة، وظلت روحه تدوي بصلاة واحدة: «تعال يا حبيبي، تعال»، ولكن لم يحدث أيّ شيء.
مضت السنوات وأصبح الرجل عجوزًا. وذات مرة بينما كان يمر جانب الشجرة وقف بقربها.
سألته الشجرة: «ما الذي يُمكنني فعله لك غير الذي فعلته؟ لقد عُدتَ بعد زمن طويل جدًا».
قال العجوز: «ماذا يُمكنك أن تفعلي لي غير ذلك؟ أُريد الذهاب إلى بلاد بعيدة كي أجني المزيد من المال، أنا أحتاج إلى قارب كي أُسافر».
أجابت الشجرة بكل فرح: «هذه ليست مشكلة يا حبيبي، اِقطَعْ جذعي واصنَعْ منه قاربًا، سأكون في غاية السعادة إذا أمكنني مُساعدتك على السفر إلى بلاد بعيدة كي تكسب المزيد من المال، ولكن تذكّرْ مِن فضلك أنني سأكون دائمًا في انتظار عودتك».
جلب العجوز منشارًا وقطع جذع الشجرة ثمّ صنع قاربًا وأبحر بعيدًا. أصبحت الشجرة الآن جذعًا صغيرًا جدًا وبقيت تنتظر عودة حبيبها. انتظرت وانتظرت وطال انتظارها. في الحقيقة لن يعود الرجل أبدًا، فالأنا تذهب إلى حيث يُوجد شيء تكسبه، والشجرة الآن لا تملك مُطلقًا أيّ شيء تُقدمه. إنّ الأنا لا تذهب إلى مكان لا مكسب فيه.
إنّ الأنا شحاذ أبدي في حالة مُستمرّة من الطلب، أمّا الحب فهو بر وإحسان. إنّ الحب ملك، بل هو إمبراطور! هل يُوجد ملك أعظم من الحب؟
ذات مساء كنت أستريح بجانب ذلك الجذع الصغير، فهمس لي: «ذلك الصديق لم يعُدْ حتى الآن. أنا قلقة جدًا، رُبّما غرق أو تاه أو ضاع في تلك البلاد البعيدة. رُبّما لم يعُدْ على قيد الحياة».
كيف أحظى بأخبار عنه؟ أنا أقترب من نهايتي، وسأكون راضية لو حظيتُ ببعض الأخبار عنه قبل موتي. عند ذلك سأموت وأنا سعيدة، لكنّه لن يأتي حتى لو ناديتُه، لأنّه لم يبقَ لديّ شيء أُعطيه له، فهو لا يفهم سوى لغة الأخذ».
إنّ الأنا لا تفهم سوى لغة الأخذ، أمّا الحب فهو لغة العطاء.
لا يُمكنني أن أقول شيئًا أكثر من ذلك. علاوة على ذلك، لا يُوجد شيء يُقال أكثر من ذلك: إذا كان من المُمكن أن تُصبح الحياة مثل هذه الشجرة تنشر أغصانها في كلّ مكان إذ يُمكن للجميع أن يتخذوا لهم مأوى في ظلها، آنذاك سنفهم ما الحب، ولا حاجة إلى الكتب الدينية ولا الرسوم البيانية ولا القواميس كي تشرح معنى الحب أو تُحدد مبادئه.
لقد تساءلتُ عمّا ينبغي أن أقوله عن الحب! إنّ الحب صعبٌ كثيرًا على الوصف، فهو موجود وحسب. ربما تستطيع أن تراه في عينيّ إذا وقفتَ ونظرتَ فيهما. أنا أتساءل عمّا إذا كان بمقدورك أن تشعر به عندما أمدّ ذراعي كي أُعانقك.
الحب، ما الحب؟.
إذا لم تشعر بالحب في عيناي، أو بين ذراعي، أو في صمتي، فلا يُمكنك أن تُدركه من خلال كلماتي أبدًا.
أنا مُمتن على صبركم في الاستماع إليّ. وفي النهاية أنحني إلى العلي الساكن فينا جميعًا. تقبلوا احترامي.

الفصل الثاني:
من القمع إلى الانعتاق

28/ 9/ 1968

في وقت مبكر ذات صباح، وقبل الفجر، ذهب صياد سمك إلى النهر، وعند ضفة النهر شعر بشيء ما تحت قدميه، فوجد أنّه كيس صغير من الأحجار. التقط الكيس ووضع شبكته جانبًا ثمّ جلس القرفصاء على ضفة النهر ينتظر الفجر كي يبدأ عمله اليومي. أخرج بتكاسل حجرًا من الكيس وقذف به إلى الماء، ثمّ ألقى بحجر آخر إلى النهر، ثمّ بحجر آخر. وبسبب عدم وجود أي شيء يفعله، استمرّ برمي الأحجار في النهر على نحو مُتتابع. أثناء ذلك أخذ الفجر يسطع وانبلج ضوء النهار.

انتشر نور الصباح بعد أن ألقى الصياد كلّ الأحجار في النهر باستثناء حجر واحد أخير بقي في راحة يده. حينما نظر إلى ما كان في يده بعدما طلع الصبح كاد أن يتوقف قلبه، فقد كان كلّ ما في الكيس أحجارًا كريمة!، وكان قد ألقى بكلّ الأحجار أثناء الظلمة! ما أثمن ما فقده عن غير قصد! لعن الصياد نفسه وفاضت روحه بالندم. أُجهش الصياد بالبكاء وهطلت دموعه بحُرقة وكاد أن يفقد عقله من شدة الحزن.

لقد عثر بالصدفة على ثروة تكفي لإثراء حياته مرات عديدة، ولكنّه خسرها في الظلام دون وعي ودون معرفة. على الرغم من ذلك فإنّ هذا الصياد كان محظوظًا نوعًا ما، فلا زالت لديه جوهرة واحدة، إذ سطع ضوء الصبح قبل أن يرمي بها إلى النهر، وعمومًا لا يملك مُعظم الناس ذلك الحظ الذي حالف هذا الصياد.

إنّ الوقت يمضي وتنتشر الظلمة في كلّ مكان ويكاد لا يطلع الصباح في حياة الإنسان إلا وقد أهدر بالفعل كلّ جواهر الحياة الثمينة. إنّ الحياة كنزٌ دفين كبير، لم يفعل الإنسان شيئًا سوى التخلص منه ورميه بعيدًا. مع مرور الوقت يُدرك الإنسان أهمية الحياة بعد أن يكون قد أهدرها وضيّع السر فيها واللغز والنعيم والخلاص والجنة كُليًا. لقد انقضَتْ حياة الإنسان عبثًا.

في الأيام القليلة القادمة أعتزمُ الحديث عن كنوز الحياة، غير أنّه من الصعب تنوير الناس الذين يتعاملون مع الحياة على أنّها كيس من الحجارة. إنّ الغالب من الناس ينزعج من لفت انتباههم إلى أنّ الأشياء التي يرمونها هي جواهر وليست أحجارًا. إنّهم يثورون في وجهك ليس لأنّ ما قيل لهم غير صحيح، بل لأنّ حماقتهم قد ظهرت، ولأنّه تمّ تذكيرهم بما فقدوه، لقد تدخل غرورهم فأصبحوا غاضبين.

على الرغم ممّا تمت خسارته حتّى الآن، ولو كانت الحياة المُتبقية قصيرة، ولو بقي حجر واحد، فلا زال بالإمكان إنقاذ حياتك، ولم يفُتْ أوان التعلم أبدًا، ولا زالت المساعدة مُمكنة، وخاصة في عملية البحث عن الحقيقة فلن يتأخر الوقت أبدًا.

بسبب جهلنا ووجودنا في الظلام، فقد أصبح أمر أنّ كيس الحياة لا يحتوي إلا على الأحجار أمرًا مفروغًا منه، وهذا يجعل الإنسان جبانًا وضعيف القلب، ويقبل بالهزيمة ببساطة قبل أن يبذل أيّ جهد في البحث عن الحقيقة.

في البداية، أُريد التحذير من مزالق ومهاوي القدرية، ومن وهم الهزيمة المؤكدة، فالحياة ليست كومة رمل أو حجارة، وإذا كان لدى المرء عينان سليمتان، فسيرى أنّ هناك الكثير من الأشياء الجيدة في الحياة، وأنّ الحياة هي سلّم لبلوغ الإله.

هناك ضمن هذا الجسد الُمكون من الدم واللحم والعظام شيء ما، أو شخص ما بمنأى عن أشياء الدنيا، لا علاقة له بالدم واللحم والعظام، وهو أبدي خالد، لا بداية له ولا نهاية، ولا شكل له، يقع في قلب كلّ واحد منا، ولكن بسبب ظلمة جهلك، أنا أحثّكَ على السعي بتوق إلى تلك الشعلة الخالدة!.
تتوارى شعلة الخلود وراء دخان الموت والفناء، وبالتالي لا نستطيع مُشاهدة نورها، لأننا عندما نلتقي مع الدخان نتراجع خطوات إلى الوراء. إنّ أولئك الذين لا يملكون سوى القليل من الشجاعة يُعميهم الدخان، فلا يستطيعون الوصول إلى الشعلة ولا إلى مصدر النور.
كيف نستطيع القيام بهذه الرحلة إلى الشعلة التي تقبع خلف الدخان، أي إلى الذات داخل الجسد؟ كيف يُمكن تحقيق الأعلى وإدراك الكوني؟ كيف نتوصل إلى معرفة ذلك الذي أخفته الطبيعة فتوارى وأصبح غير مرئي؟.
سأتحدث عن ذلك في ثلاث مراحل.
في المقام الأول، لقد خنقنا أنفسنا بالتحيزات والأفكار المتضخمة والفلسفات المزيفة، وحرمنا أنفسنا من إمكانية رؤية الحقيقة المُجرّدة، وتكوّنت لدينا فرضيات جاهزة حول الحياة دون بحث ودون أيّ فضول. منذ آلاف السنين، تمّ تلقيننا أنّ الحياة لا معنى لها، وأنّها بائسة وعديمة الفائدة، وتمّ تنويمنا مغناطيسيًا كي نعتقد أنّ وجودنا عديم الفائدة وبلا هدف وأنّه مليءٌ بالأسى، وأنّ تلك الحياة ينبغي احتقارها وتجاوزها. إنّ التكرار المُتواصل استمرّ بتشديد الطوق الذي يخنقنا، إذ أصبحنا نشعر الآن أنّ الحياة ليست سوى صخب وضجيج هائل ومرتع للبؤس.
بسبب كراهية واحتقار الحياة، فقد الإنسان الفرح والحب، وأصبح الآن مُجرّد كتلة بلا شكل، وأصبح بحرًا مُضطربًا من الحزن. ليس أمرًا مُستغربًا على الإطلاق أنّ الإنسان قد توقّف عن مُحاولة التفكير في ذاته بسبب تلك المفاهيم الخاطئة، فلماذا يُحاول البحث عن الجمال في كتلة قبيحة؟ حينما يعتقد المرء جازمًا أنّ الحياة موجودة كي تُرفض وتُرمى، فما المغزى من الاعتراف بها وتطهيرها وتجميلها؟ إنّ كلّ المساعي والجهود تبدو عقيمة ولا طائل منها.
إنّ موقفنا تجاه الحياة لا يختلف عن ذلك الرجل الذي يستخدم غرفة الانتظار في محطة القطار، إذ يُدرك أنّه موجود هنا فترة، وأنّه سيغادر بعد قليل، فما هي أهمية غرفة الانتظار؟ لا أهمية لها وهي تافهة تمامًا، ولذلك فهو يرمي فيها النفايات، ويبصق فيها ويوسخها، ويتصرّف كشخص أرعن لا يُبالي بسلوكه، فهو سيتركها في أيّ لحظة. نحن بالمثل نعتبر الحياة مسكنًا مؤقتًا أو غرفة انتظار في محطة القطارات.
إنّ نزعة الإنسان الحالية هي: لماذا ينبغي أن يُكلّف نفسه بالبحث عن الحقيقة والجمال في الحياة. غير أنّي أُريد التأكيد على أنّه بالرغم من أنّنا سنترك الحياة في الوقت المعين عند الموت، ولكن لا مجال للتهرب من الحياة عمومًا قبل ذلك. قد نُبدّل منازلنا أو أجسادنا، ولكنّ جوهر حياتنا يظلّ معنا، وهذا الجوهر هو الذات، وليست هنالك طريقة للتخلص منها على الإطلاق.
إنّ أفعالنا هي التي تُشكل عالمنا الداخلي. في نهاية المطاف فإنّ أعمالنا هي التي تصنعنا أو تُشوهنا، وهي التي تُغيّر حياتنا، وهي التي تُشكّل حياتنا وتصوغ أرواحنا. إنّ ما نفعله بحياتنا والطريقة التي نعيش بها هي التي تُشكّل مُستقبلنا. إنّ سلوكنا في الحياة يُحدد مسار الروح، والطريق التي ستتطور عليه، والألغاز الغامضة الآن التي ستتكشف فيما بعد. إذا أدرك الإنسان أنّ سلوكه وموقفه تجاه الحياة يُحدد مستقبله، فسيُسقط على الفور هذه النظرة الكئيبة أنّ الحياة فوضى وأنّها بلا معنى وأنّها غير مفيدة، ورُبّما يُدرك عند ذلك زيف الاعتقاد أنّ الوجود أُريد له أن يكون

مُمتلئًا بالمُعاناة، وأنّه ليس هناك مخططًا مرسومًا للأشياء، ورُبّما يتوصل إلى معرفة أنّ كلّ شيء سيء يتعارض مع الحياة لا علاقة له بالدين.
بيد أننا تعلمنا أن نرفض الحياة باسم الدين، ففلسفة الدين الحالي تتجه دائمًا نحو الموت بدلاً من أن تتجه نحو الحياة، وتعتبر أنّ ما سيأتي بعد الموت هو الشيء المهمّ، وأنّ ما يحدث قبل الموت ليس له أهمية على الاطلاق. إنّ الدين الموجود الآن يُبجّل الموت ولا يُظهر أيّ احترام أمام الحياة، ولا يُوجد فيه أيّ مكان لقبول سعادة ازدهار الحياة وثمارها، بل هناك تشبث عنيد بالأزهار الميتة فقط. إنّ حياتنا ماهي إلا قصائد رثاء على قبور أزهارنا الميتة!.

أنا أقول إنّه إذا كان هناك ثمّة إله فهو الحياة بحدّ ذاتها، وأقول أيضًا: إنّ حياة الحب هي منهج روحاني «سادهانا» بحدّ ذاته، وهي طريق الإنسان إلى الإله. إنّ الدين الحقيقي هو الاستفادة من الحياة نفسها. كما أنّ إدراك الحقيقة المُطلقة الموجودة في الحياة هي أول خطوة ناجحة تجاه تحقيق الخلاص الكلي. إنّ الشخص الذي يتجنب الحياة يُفوّت بالتأكيد على نفسه كلّ شيء.
على الرغم من ذلك، فإنّ نهج الدين هو عكس ذلك تمامًا: إذ يُلقي بالحياة بعيدًا ويتخلّى عن الدنيا، وهو لا ينصح بالتأمل في الحياة، ولا يُساعدك على قيادة حياتك، ولا يقول إنّك ستكتشف الحياة عندما تعيشها فقط، بل يقول: إذا كانت حياتك بائسة، فذلك لأنّ فهمك للحياة غير طاهر. في الحقيقة إنّ الحياة لا يُمكن أن تُمطر عليك بالسعادة إلا إذا عرفت الطريقة الصحيحة كي تعيشها.
أنا أعتبر الدين الحقيقي هو فن العيش. إنّ الدين ليس طريقة من أجل تقويض أسس الحياة، بل وسيلة من أجل البحث على نحو مُتعمق في أسرار الوجود. كما أنّ الدين ليس أن تُدير ظهرك إلى الحياة، بل أن تُواجهها على نحو مباشر. إنّ الدين ليس التهرب من الحياة، بل مُعانقتها بالكامل.
إنّ الدين هو حصيلة إدراك الحياة، ولكن نتيجة تلك المفاهيم الأساسية الخاطئة، فإنّ كبار السن من الناس فقط من يهتمّون بالدين في هذه الأيام، وهم من يتواجد في أماكن عبادة الإله في المعابد والكنائس والمساجد، ولن تجد هناك أحدًا من الشباب. لماذا؟ في الحقيقة هناك تفسير واحد فقط، وهو أنّ أدياننا أصبحت أديان الناس المُتقدمين في السن والعجائز الذين يسكنهم الخوف من الموت وقد شارفوا على نهاية حياتهم، وأصبح كلّ قلقهم مُتركّز على ما سيأتي بعد الموت.
كيف يُمكن لدين مبني على أساس فلسفة الموت أن يُضيء ويُساعد الحياة؟ حتّى بعد خمس آلاف سنة من التعاليم الدينية نرى أنّ الأرض تغرق بالرذيلة والفساد، وحالها من سيء إلى أسوأ، وعلى الرغم من كثرة المعابد والجوامع والكنائس والكهنة والمُعلمين والنساك وما شابه ذلك على هذا الكوكب، إلا أنّ البشر لم يُصبحوا مُتدينين بعد، لأنّ الدين يرتكز على قاعدة زائفة ولا تتموضع الحياة في أساساته، وإنّما يُبنى على أساس الموت، هذا الدين ليس رمزًا حيًا للإزدهار، وإنّما مادته الأساسية في الدراسة والاحترام هي القبور. هذا الدين الذي أساساته من هذا النوع لا يُمكن أن يجلب الحياة إلى حياتنا.
ما سبب كلّ هذا؟.
خلال هذه الأيام القليلة سأُناقش دين الحياة، دين الإيمان المُفعم بالحياة، والمبدأ الأساسي الذي لم يتم تشجيع الإنسان العادي على اكتشافه، ولا حتّى الحديث عنه. لقد بُذِلتْ في الماضي أقصى الجهود من أجل التعتيم على هذه القاعدة الرئيسة في الحياة، وقمع هذه الحقيقة الأساسية، ونتيجة لهذا الخطأ الفادح، فقد تحول التعتيم ورفض الحقيقة إلى مرض عام.
ما هو الشيء الرئيس الذي يقود الإنسان العادي؟

هل هو الإله؟ كلا.
هل هي الروح؟ كلا.
هل هي الحقيقة؟ كلا.
ما الشيء الموجود في نواة الإنسان؟ ما الدافع الأساسي في أعماق الإنسان العادي، وحياة الإنسان المتوسط الذي لم يتأمل أبدًا ولم يبحث عن روحه أبدًا ولم يشرع في أيّ ترحال ديني أبدًا؟.
هل هي التقوى؟ كلا.
هل هي الصلاة؟ كلا.
هل هو التحرر؟ كلا.
هل هي النيرفانا؟ قطعًا كلا.
إذا نظرنا إلى دافع الإنسان العادي الأساسي، وبحثنا عن القوة التي تكمن خلف هذه الحياة، فلن نجد التقوى ولا الإله ولا الصلاة ولا العطش إلى المعرفة، بل سنجد في الحقيقة شيئًا مُختلفًا يدفع نحو الظلمة، إنّه شيء لم يُواجه على نحو واع ولم يُقدّر أبدًا. ما ذلك الشيء؟ ماذا سنجد إذا شرّحنا وحللنا جوهر الإنسان العادي؟.
لنضع الإنسان حاليًا جانبًا ولننظر إلى مملكة الحيوان أو إلى مملكة النباتات، ماذا سنجد في صميم هذه الكائنات؟ إذا راقبنا نشاط نبتة ماذا نجد؟ ماذا تفعل النباتات؟ في الحقيقة سنجد أنّ طاقتها بالكامل تتجه نحو إنتاج نباتات جديدة، وكيانها مُنشغل بأكمله بتشكيل بذور جديدة. ماذا يفعل الطير؟ ما الذي يفعله الحيوان؟ لو راقبنا عن كثب نشاطات الطبيعة، فسنجد أنّ هناك عملية واحدة فقط، عملية صادقة تحدث على نحو مُستمر، وهي عملية الخلق المتواصلة، عملية التوالد والتناسل، وعملية الانبعاث الذاتي لأشكال جديدة ومُختلفة. إنّ الأزهار لها بذور، والفاكهة لها بذور، فما هو قَدَر البذرة؟ إنّ قَدَر البذرة أن تنمو وتتحول إلى نبتة جديدة، وإلى زهرة جديدة، وإلى ثمرة جديدة، ومن ثمّ تعود بذرة جديدة، وبهذا تتكرر الدورة نفسها. إنّ عملية التوالد هي عملية أبدية، والحياة قوةٌ تُجدد نفسها باستمرار. إنّ الحياة هي الإبداع، وهي عملية الانبعاث الذاتي.
يصحّ الأمر نفسه على الإنسان، ولكنّه يُسمّي عملية التكاثر بإسم «العاطفة»، «الجنس»، ثمّ سمّاها «الشهوة»، في محاولة للسخرية منها، والانتقاص منها، وهذا الاستخفاف بحدّ ذاته قد دنّسَ مناخ العملية برمتها.
إذًا ما الشهوة؟ وما العاطفة؟ ما تلك القوة التي تُسمّى «الجنس»؟.
منذ زمن سحيق، تتوالى الأمواج وترتطم بالشاطئ. تأتي الأمواج وتتكسر على الشاطئ ثمّ ترتد راجعة، ثمّ تهجم مُجددًا وتندفع وتُكافح، ثمّ تتفرق وتتقهقر مُرتدة مرة أخرى. إنّ الحياة تمتلك رغبة داخلية في التقدم والسير إلى الأمام. هناك نوع من الاضطراب في موج البحر وكذلك الأمر في موجات الحياة، هناك سعي مُتواصل من أجل تحقيق شيء ما. ما الهدف؟ إنّها رغبة شديدة في تحقيق وضع أفضل، وشغف من أجل بلوغ ارتفاعات أعظم، وخلف هذه الطاقة التي لا تنتهي أبدًا تكمن الحياة ذاتها التي تُكافح من أجل حياة مرفهة، ومن أجل وجود أفضل.
إنّ الحياة ليست طويلة على الإطلاق، فقد ظهر الإنسان الأول على وجه البسيطة منذ بضعة آلاف من السنين فقط، وقبل ذلك كانت الأرض مسكونة من قِبل الحيوانات فقط، هذه الفترة أيضًا لم تكن منذ زمن بعيد جدًا، وقد سبقها زمن لم يكن موجودًا فيه أيّ حيوانات، بل كانت هنالك النباتات فقط. إنّ النباتات أيضًا لم تكن موجودة زمنًا طويلاً، فقد كانت قبلها الصخور والجبال والأنهار والمُحيطات فقط.

لماذا كان هذا العالم المتكون من الصخور والجبال والأنهار والمُحيطات مُتوترًا لا يهدأ؟ لقد كان العالم يسعى من أجل إنتاج النباتات، وبالتدريج البطيء جدًا، نشأتْ النباتات وظهرَتْ إلى حيز الوجود. لقد أظهرَتْ قوة الحياة نفسها في شكل جديد فاكتست الأرض بالنباتات، واستمرّتْ الحياة، واستمرّ التكاثر، وتفتحَتْ الأزهار ونمَتْ الفاكهة.

والآن ماذا عن الإنسان؟ يسعى الإنسان من أجل خلق حياة جديدة دون انقطاع. وقد أطلقنا تسمية «الجنس» على هذه النزعة، وسميناها «عاطفة»، وسميناها «رغبة»، ولكن ما معنى هذه الرغبة؟

إنّ الرغبة الأساسية هي الخلق وإنتاج حياة جديدة. فالحياة ذاتها لا تُريد أن تنتهي. ولكن ما الغرض من ذلك كله؟ هل يسعى الإنسان في داخله إلى توليد إنسان أفضل ونموذج أرقى منه؟ هل تنتظر تلك الحياة كائنًا أفضل بكثير من الإنسان نفسه؟ إنّ الحكماء بدءًا من «نيتشه» وحتّى «أوروبيندو«، ومن «باتانجالي» وحتّى «براتراند راسل»، قد كوّنوا صورة في أعماق داخليتهم وحُلمًا في أعماق قلوبهم عن كيفية خلق إنسان أرقى منهم، الإنسان الخارق. لقد كانوا يتساءلون عن إمكانية إنتاج كائن آخر أفضل من الإنسان.

لقد أدان الإنسان عمدًا رغبة التناسل آلاف السنين، وأساء لها عوضًا عن أن يتقبلها، وحطّ من شأنها إلى أدنى درجة مُمكنة، وأخفاها عن الأعين وادّعى أنّها غير موجودة، كما لو أنّه لا وجود لها في الحياة، ولا مكان لها في مجرى الأحداث.

في الحقيقة لا يُوجد شيء أكثر حيوية من هذه الرغبة، ولا بُدّ من إعطائها مكانها الصحيح، ولا يُمكن أن يتحرر الإنسان منها بتغطيتها والدوس عليها، بل على العكس، قد يشبك نفسه بها أكثر إن فعل ذلك. لقد أدّى الكبت والقمع إلى نتيجة مُعاكسة تمامًا لما هو مُتوقع.

تخيّل شخصًا مُبتدئًا يتعلم ركوب دراجة. رُبّما يكون الشارع كبيرًا وعريضًا، ولكن إذا كان هناك حجر صغير على قارعة الطريق فسيخشى سائق الدراجة المبتدئ من الاصطدام به. وعلى الرغم من أنّ هناك احتمال واحد في المئة أن يصطدم بذلك الحجر، وأنّ الرجل الأعمى قد يتجاوزه بأمان، ولكن بسبب خوفه، فإنّ راكب الدراجة يكون مُتيقظًا للحجر فقط، فيتضخم الحجر في ذهنه ويختفي الشارع من ذهنه. لقد نوّمه ذلك الحجر تنويمًا مغناطيسيًا وسحبه نحوه، ثمّ يصطدم بذلك الحجر بالذات الذي بذل كلّ ما بوسعه كي ينجو بنفسه منه.

لقد كان الشارع كبيرًا وعريضًا، فكيف حصل الحادث مع هذا الرجل؟.

يقول عالم النفس «إميل كوي»: «إنّ عقل الشخص العادي محكوم بقانون الأثر العكسي». نحن نصطدم بذلك السيء بالذات الذي نُحاول تفادي الاصطدام به، وذلك لأنّ موضوع خوفنا يُصبح مركز وعينا. بالطريقة نفسها، يُحاول الإنسان منذ آلاف السنوات حماية نفسه من الجنس، فكانت النتيجة أنّ الإنسان أصبح في كلّ ركن، وكلّ زاوية، وكلّ مكان، يُواجه الجنس بكافة أشكاله. بينما يقبض قانون الأثر العكسي على روح الإنسان.

ألم تُلاحظ أنّ العقل قد سُحب ونُوّم مغناطيسيًا من الشيء الذي تسعى إلى تجنبه؟ إنّ الذين علّموا الإنسان أن يكون ضدّ الجنس، مسؤولون بالكامل عن جعله مُدركًا جدًا للجنس. إنّ التعلق بالجنس الموجود عند الإنسان نشأ وانتشر بسبب هذه التعاليم المنحرفة.

نحن اليوم نخشى أن نُناقش الجنس، ولكن لماذا نخاف إلى درجة الموت من مُناقشة هذا الموضوع؟ بسبب الافتراض أنّ الإنسان قد يُصبح شهوانيًا من مُجرّد التحدث عن الجنس، وهذه

النظرة خاطئة تمامًا، فهناك فرق شاسع بين الجنس والشهوانية. إنّ مُجتمعنا سيتحرر من شبح الجنس فقط عندما تُصبح لدينا الشجاعة كي نتحدّث عن الجنس بطريقة سليمة ومنطقية.
لن نكون قادرين على تجاوز الجنس إلا من خلال فهمه بكلّ مظاهره، ولن تستطيع تحرير نفسك من مُشكلة وأنت تُغلق عينيك عنها. إنّ المجنون وحده يظنّ أنّ عدوه سيختفي إذا أغمض عينيه، فيكون كالنعامة في الصحراء تظنّ أنّها عندما تدسّ رأسها في الرمال ولا تعود ترى عدوها، عندها لن يعود العدو موجودًا. هذا النوع من المنطق يُمكن أن نصفح عنه في حالة النعامة، أمّا عند الإنسان فهو خطأ لا يُغتفر.
عندما يتعلق الأمر بالجنس، نجد أنّ الإنسان لا يتصرّف أفضل من النعامة، فهو يعتقد أنّه بمُجرّد إغلاق عينيه، وتجاهل الأمر فسيختفي الجنس. ولكن لو كانت مثل هذه المُعجزة تحدث، فستكون الحياة بمنتهى السهولة، ولكن للأسف لا شيء يختفي بمُجرّد أن نُسدل الستائر، بل على العكس، هذا يُثبت أننا خائفون من الجنس، وأنّ جاذبيته أقوى من مقاومتنا. وأننا لا نستطيع قهر الجنس ولذلك نُغمض أعيننا عنه.
إنّ اغلاق العيون هو علامة ضعف ولكن كلّ البشرية تفعل ذلك في موضوع الجنس، إذ لم يتوقف الأمر عند التغاضي السافر والإهمال وإنّما تعداه فدخل الإنسان أيضًا في نزاعات باطنية لا تُعدّ ولا تُحصى مع الجنس. إنّ نتائج هذه الحرب المُدمّرة مع الجنس معروفة جدًا ولا يُمكن تعدادها هنا، فثمان وتسعون بالمئة من الأمراض العقلية عند الرجل وحالات العُصاب سببها الكبت الجنسي. وتسعة وتسعون بالمئة من النساء يُعانين من الهستريا والأمراض المتعلقة بالاضطرابات الجنسية، كما أنّ سبب الخوف الرئيس وكذلك الشك والقلق والتوتر والضغط العصبي الرئيس عند الإنسان المُعاصر هو الضغط العاطفي. لقد أدار الإنسان ظهره إلى الرغبة القوية والمُلازمة له، وأغلق عينيه عن الجنس بدافع الخوف دون أن يُحاول فهمه، فكانت النتيجة كارثية بالفعل.
كي يرى الإنسان حقيقة ذلك، يحتاج فقط أن يتفحص الأدب الذي يكتبه فهو مرآة الفكر. فلو أتى مخلوق من القمر أو من المريخ إلى هنا وعاين أدبنا وقرأ كتبنا وشعرنا ونظر إلى رسوماتنا، فستُصيبه الدهشة ويتساءل: لماذا يتركز كلّ الأدب والفن عند الإنسان حول الجنس؟.
سوف يتساءل هذا المخلوق: لماذا كلّ القصائد عند الإنسان والروايات والقصص والمجلات مُشبعة بالجنس؟ لماذا تُوجد صورة امرأة نصف عارية على غلاف كلّ مجلة؟ لماذا تُركّز الأفلام على الرغبة والشهوة الجنسية؟.
سوف يحتار هذا الزائر الغريب من أمرنا ويتساءل: لماذا لا يُفكّر الإنسان إلا بالجنس؟ وسيكون أكثر حيرة إذا قابل إنسانًا وتحدّث معه، لأنّ الإنسان سيُحاول إقناعه بأقصى جهده أنّه بريء تمامًا من وجود الجنس لديه، وسيُحدّثه عن الروح وعن الإله وعن الجنة والانعتاق، ولكنّه لن يقول كلمة واحدة عن الجنس لديه، رغم أنّ كيانه بأكمله مليء بالأفكار عن الجنس. إنّ ذلك الأجنبي سيكون مذهولاً عندما يعرف أنّ الإنسان قد اخترع آلاف الأشياء من أجل إشباع الرغبة التي لا يتلفظ بها هو نفسه.
إنّ الدين الذي لا يهتمّ إلا بالموت، قد جعل الإنسان جنسي التفكير، كما أفسده من زاوية أخرى أيضًا، فقد أظهر له قبة العزوبة الذهبية «براهماتشاريا»، لكنّه لم يُقدّم له الإرشاد من أجل الحصول على موطئ قدم في أول درجة من سُلم فهم الجنس.
بداية، علينا أن نعترف بالجنس ونفهمه، وعلينا أن نُدرك هذه الرغبة الجوهرية، عند ذلك فقط نستطيع أن نسعى من أجل تجاوز الجنس والتسامي فوقه، وبذلك يُمكننا أن نصل إلى مرحلة

العزوبة. من دون فهم قوة الحياة الأساسية هذه في كلّ مظاهرها وأشكالها، فإنّ كلّ جهود الإنسان التي يبذلها من أجل كبح وتقييد وقمع تلك القوة لن تُؤدي به إلا إلى الانحلال والمرض والجنون. إننا لا نُركّز على المرض الأساسي، بل نتحدث بطلاقة عن مثل العزوبة العليا. لم يكن الإنسان مريضًا جدًا من قبل، ولم يكن عصابيًا جدًا، ولا بائسًا جدًا، لكنّه أصبح الآن فاسدًا بالكامل وتسمم من جذوره.

ذات مرة كنتُ أمرُّ جانب مُستشفى، فقرأت يافطة كُتب عليها: «هنا عُولج رجل لدغه عقرب، لقد شُفي في يوم ثمّ خرج».

ثمّ شاهدت يافطة أخرى كُتب عليها: «رجل لسعته أفعى، فشُفي وخرج إلى منزله بصحة جيدة خلال ثلاثة أيام».

بعدها قرأت يافطة ثالثة: «شخص عضّه كلب مسعور، لقد كان تحت العلاج في الأيام العشرة الماضية، وسيتعافى قريبًا».

ثمّ قرأتُ تقريرًا رابعًا مفاده: «تعرّض رجل إلى عضة من قبل رجل آخر، وهو فاقد الوعي منذ عدة أسابيع والفرصة ضئيلة جدًا في شفائه».

تفاجأتُ وتساءلتُ: «هل يُمكن أن تكون عضة الإنسان سامة إلى هذه الدرجة؟».

إذا لاحظنا فسنرى أنّ الكثير من السموم قد تراكمت لدى الإنسان، رُبّما بسبب أطباءه الدجالين، لكن السبب الأهم هو رفضه قبول ما هو طبيعي فيه، ورفضه قبول كيانه الأساسي. لقد حاولنا كبح وإهلاك رغبتنا الفطرية بلا جدوى، ولم نبذل أيّ مُحاولة من أجل تحويلها وتهذيبها، وأجبرنا أنفسنا على ضبط الطاقة بطريقة خاطئة. تلك الطاقة التي تغلي فينا كالحمم المنصهرة التي تندفع من الداخل دائمًا، وإذا لم نكن حذرين فقد تُطيح بنا في أيّ لحظة. هل تعلم ماذا سيحدث إذا حصلت هذه الحمم على أقلّ ثغرة؟.

سأوضح ذلك بمثال:

تتعرض طائرة إلى حادث، وتكون قريبًا منها فتُهرع إلى مكان الحادث كي تقوم بالمُساعدة والإسعاف. ما السؤال الأول الذي سيتبادر إلى ذهنك للوهلة الأولى عندما تُشاهد جسدًا مُمزقًا إلى أشلاء؟.

هل ستسأل إن كان هذا الشخص هندوسيًا أم مسلمًا؟. كلا.

هل ستسأل إن كان هذا الشخص هنديًا أم صينيًا؟. كلا.

في المقام الأول، وفي جزء من الثانية ستنظر كي ترى ما إذا كان هذا الجسد رجلاً أو امرأة.

هل تُدرك لماذا يقفز هذا السؤال إلى ذهنك أولاً؟ إنّه بسبب الجنس المقموع، والكبت الجنسي الذي يجعلك تُعير انتباهك كثيرًا إلى الفوارق بين الرجل والمرأة. رُبّما تنسى اسم أو وجه أو جنسية شخص ما، وإذا التقيتُ بك قد أنسى اسمك أو وجهك أو طائفتك أو عمرك، أو رُبّما أنسى كلّ شيء عنك، لكنّك لن تنسى جنس الشخص أبدًا، لن تنسى ما إذا كان الشخص ذكرًا أم أنثى. هل سبق وأن كان لديك شكّ في أنّ الشخص الذي تحدثتَ معه، ولنقُل مثلاً في القطار إلى «دلهي» السنة الماضية، كان رجلاً؟

لماذا؟ عندما تنسى كلّ شيء عن شخص ما، فإنّك لا تستطيع أن تمحو جنسه من ذاكرتك؟ في الحقيقة، لأنّ الجنس مُتجذّر بقوة في دماغ الإنسان وفي عمليات تفكيره، فالجنس حاضرٌ باستمرار ومؤثّرٌ على الدوام.

إنّ مُجتمعنا وكوكبنا لا يُمكن أن يكون صحيحًا مُعافى طالما أنّ هذه الستارة الحديدية وهذه المسافة بين الرجل والمرأة موجودة. كما لا يُمكن للإنسان أن يكون في سلام مع نفسه، طالما أنّ هذه النار المُتأججة تشتعل في داخله وهو يجلس بقوة فوقها، ويُناضل من أجل قمعها في كلّ لحظة ويومًا بعد يوم. إنّ النار تُحرقنا وتُحوّل حياتنا إلى رماد، ورغم ذلك لسنا مُستعدين من أجل مُواجهتها والنظر فيها.

ما هذه النار؟ إنّها ليست عدوًا بل هي صديق.

ما طبيعة هذه النار؟.

أنا أُريد أن أقول لك إنّه بمُجرّد أن تعرف هذه النار فلن تبقى عدوًا، بل ستُصبح صديقة. إذا فهمت هذه النار فلن تحرقك بل ستُدفئ منزلك وتطبخ لك وتُصبح أيضًا صديقتك مدى الحياة.

لقد ومضت الحياة الكهرباء في السماء منذ ملايين السنين، وكانت تقتل الناس أحيانًا، ولكن لم يكن أحد يعتقد أبدًا أنّ هذه الطاقة نفسها ستُشغّل مراوحنا وتُنير منازلنا ذات يوم، ولم يكن أحد يتخيل هذه الاحتمالات آنذاك، ولكنّ الكهرباء أصبحَتْ اليوم صديقة الإنسان، كيف حصل هذا؟ لو كُنّا أغمضنا عيوننا لما كان بإمكاننا اكتشاف أسرارها أبدًا، وما كنا لننتفع بها وكانت ستبقى عدوًا لنا وسبب خوفنا على الدوام. غير أنّ الإنسان اتخذ موقفًا ودودًا تجاه الكهرباء، وأخذ على عاتقه مسألة فهمها ومعرفتها، وشيئًا فشيئًا تطوّرتْ الأمور معها إلى صداقة دائمة، ولو لم يحصل ذلك، لكُنّا اليوم بالكاد نتدبر أمورنا.

إنّ الجنس لدى الإنسان ذلك الدافع الغريزي هو أكثر حيوية من الكهرباء. لقد أهلكت ذرة المادة في دقيقة واحدة مئة ألف شخص في مدينة «هيروشيما»، ولكنّ ذرة طاقة الإنسان خلقت حياة جديدة، وأنشأت إنسانًا جديدًا! وهكذا فإنّ الجنس هو أكثر قوة من القنبلة الذرية. هل سبق وفكرت في إمكانيات هذه القوة غير المحدودة، هل فكرتَ في كيفية تحويلها من أجل تحسين أوضاع البشرية؟ رُبّما يُصبح جنين اليوم «غاندي» المستقبل أو «مهافير» أو «بوذا»، أو «المسيح»، كما يُمكن أن يُصبح «أينشتاين» أو «نيوتن»، فالذرة المُتناهية الصغر من الطاقة الجنسية أمكنها أن تخلق شخصًا كبيرًا مثل «غاندي»!.

لكننا لا نميل إلى فهم الجنس، ويتوجب علينا أن نستجمع شجاعة هائلة كي نتحدث عنه علنًا. أيّ نوع من الخوف هذا الذي أصابنا إلى درجة أننا لسنا مُستعدين كي نفهم القوة التي انبثق منها العالم بأكمله؟ ما هذا الخوف؟ ولماذا يُثير موضوع الجنس حفيظتنا إلى هذه الدرجة.

لقد صدم الناس عندما تحدثتُ عن الجنس الشهر الماضي في «بومباي»، فقد تلقيتُ العديد من الرسائل الغاضبة التي تطلب مني ألا أتحدث عن الجنس بهذه الطريقة، وهناك رسائل طلبَتْ منّي ألا أتحدّث عن هذا الموضوع أبدًا. أنا أتساءل: لماذا لا ينبغي أن يُناقش الإنسان هذا الموضوع؟ طالما أنّ هذه الرغبة مُتأصلة فينا أساسًا، لماذا لا ينبغي أن نتكلّم عنها؟ في الحقيقة، ما لم نتمكن من فهم سلوك هذه الرغبة، كيف يُمكن تحليلها وكيف نتأمل في الارتقاء بها إلى مستوى أعلى؟ من خلال فهم هذه الغريزة نستطيع تحويلها، ومن ثمّ نستطيع التغلب عليها، وبعد ذلك فقط نستطيع أن نتسامى فوقها. ما لم يحصل ذلك، سنموت ونحن غير قادرين على تحرير أنفسنا من قبضة الجنس.

من وجهة نظري فإنّ هؤلاء الذين يمنعون التحدث عن الجنس هم الأشخاص أنفسهم الذين دفعوا البشرية إلى هاوية الجنس، إنّ هؤلاء الذين يخشون مُمارسة الجنس، وأقنعوا أنفسهم بسبب خوفهم أنّهم أبرياء من الجنس، هم أناس مجانين، لقد تآمروا من أجل جعل العالم بأكمله مأوى ضخمًا للمجانين.

إنّ مهمة الدين هي تحويل طاقة الإنسان، ومُساعدته في الوصول إلى تكامل كيانه الداخلي بطموحاته العفيفة ورغباته الأساسية معًا. إنّه لأمرٌ صحيح أيضًا أنّه ينبغي على الدين أن يقود الإنسان من الأدنى إلى الأعلى، ومن الظلمات إلى النور، ومن الخيال إلى الحقيقة، ومن الزائل إلى الأبدي.

غير أنّه من أجل الوصول إلى مكان ما فلا بُدّ مِن معرفة نقطة البداية، إذ يتوجب علينا البدء من حيث نقف، ومن الضروري أن نعرف هذا المكان أولاً، وهذا أكثر أهمية الآن من المكان الذي نُريد الوصول إليه. في هذا السياق، إنّ الجنس هو الحقيقة وهو الواقع وهو نقطة البداية، ولكن ماذا عن الإله؟ في الحقيقة إنّ الإله بعيدٌ من هنا، ولا يُمكننا الوصول إلى حقيقة الإله إلا عبر فهم نقطة بداية الرحلة، وما لم يتمّ ذلك، فلا يُمكننا التحرك شبر واحدة، بل سنُراوح في مكاننا ولن نذهب إلى أيّ مكان، أو سنكون تائهين ضائعين.

عندما تحدثتُ إليكم في لقائنا الأول، شعرتُ أنّكم غير مُهيئين من أجل مُواجهة حقائق الحياة. ماذا بعد وماذا بإمكاننا أن نفعل؟ ماذا يُمكننا أن نُحقق؟ إنّ كلّ الضجيج والصخب الذي تقوم به البشرية عن الإله والروح لا تعني شيئًا وهي خالية من الإعتقاد وتمتلئ بالكلام المُزيف.

إننا نستطيع الترفع عن شيء ما فقط من خلال الحصول على المعرفة الحقيقة عنه. في الحقيقة، فإنّ المعرفة بحد ذاتها هي تجاوز وارتقاء، ولكن قبل كلّ شيء، لا بُدّ أن نُدرك حقيقة واحدة وهي أنّ الإنسان يُولد مِن الجنس، وأنّ كيانه كلّه موجود بسبب ممارسة الجنس وتملأه طاقة الجنس، بل إنّ طاقة الحياة نفسها هي طاقة الجنس.

ما هذه الطاقة الجنسية؟ لماذا تُدير حياتنا على هذا النحو القوي؟ لماذا تتغلغل في كامل كياننا؟ لماذا تدور حياتنا حولها حتّى الممات؟ ما مصدر هذه الرغبة؟.

لقد قلل الحكماء والواعظون من شأن الجنس عبر آلاف السنين، ولكنّ الإنسان ما زال غير مقتنع مع أنّ الحكماء والرهبان كانوا عبر العصور يعظوننا بوجوب تحدي الجنس وإبعاد كلّ تفكيرنا ورغباتنا عنه كي نتحرر من العالم الوهمي «المايا»، ولكن حتّى الآن لم يتمكن الإنسان من كسر قيوده، إذ لا يُمكن أن يتخلص من الجنس بهذه الطريقة، فالنظرة خاطئة في الأساس.

نحن نرغب بالجنس ولا نُحاول فهم هذه الإشكالية، ولا نُفتّش عن سبب جاذبية مُمارسة الجنس الكبيرة.

مّن الذي يُعلّمك الجنس؟

إنّ العالم كلّه ضدّ تدريس الجنس، ويشعر الآباء أنّه لا ينبغي السماح لأطفالهم أن يعرفوا شيئًا عنه ويُوافق المعلمون على ذلك، ثمّ تقول الكتب المقدسة الشيء ذاته، وليست هناك مدرسة أو جامعة تُدرّس موضوع الجنس، وكلّ معهد تعليمي يمنع معرفته. في سن المراهقة يكتشف الشاب بنفسه أنّ كيانه بأكمله يطفح بالقلق بشأن الجنس وعندها تسقط كلّ الإجراءات الوقائية وينتصر الجنس.

كيف يحدث هذا؟ كلّ الناس يتحدثون عن الحقيقة والحب ولكن أين هما؟ إنّها أشياء يتمّ الوعظ والحديث عنها ولكنّ التعاليم لا تصمد وهي ضعيفة أمام الواقع.

إنّ الجنس مُتجذّر بقوة في صميم كياننا، ولكن أين يرسو؟ أين يوجد مركز هذا الجذب الطبيعي القوي والعميق جدًا؟ هنا يكمن السرّ، ومن الضروري أن نكتشف هذا السرّ أولاً، وعندها فقط نستطيع التغلب عليه.

في الأساس فإنّ الجاذبية التي نشعر بها تجاه الجنس هي في الأساس ليست جاذبية تجاه الجنس مُطلقًا.
بعد نهاية كلّ فعل جنسي، يشعر الإنسان بالإنهاك والفراغ والكآبة. كما يشعر بالأسف والحرقة، ويبدأ في التفكير بتجنب هذه المُمارسة في المستقبل. ما مصدر هذه الحالة المزاجية؟ السبب هو أنّ هذه الرغبة تسعى إلى شيء آخر غير الجنس، وليس منأجل إرضاء الرغبة الجسدية فقط.
إنّ الإنسان عادة لا يستطيع الوصول إلى أعماق كيانه بعد إتمام العملية الجنسية. في سياق حياة الإنسان العادي وخلال روتينه اليومي، يقوم الإنسان بمجموعة مُتنوعة من التجارب والخبرات، فهو يتسوق ويقوم بعمله ويكسب قوته، ولكنّ الجماع يُعتبر أعمق التجارب بالنسبة إليه، وهذه التجربة لها أبعاد روحية عميقة، إذ يصل الإنسان فيها إلى ما هو أبعد من نفسه، ويتجاوز الإنسان فيها نفسه.
يُمكن القول إنّ هناك شيئان يحدثان في أعماق الإنسان أثناء مُمارسة الجنس.
تختفي الأنا أولاً في عملية الجماع وتنشأ اللاأنوية. لا تعود الأنا موجودة لبرهة معينة، ولا يعود المرء للحظات يعي نفسه. هل تعلم أنّ «الأنا» تذوب بالكامل أيضًا في التجربة الدينية وأنّها تتحوّل إلى العدم، كما يحدث أثناء الفعل الجنسي إذ تتلاشى الأنا، وتكون الذروة العظمى هي حالة إنكار الذات.
الشيء الثاني حول التجربة الجنسية هو أنّ الزمن ينقطع للحظة وتنشأ حالة سرمدية، وكما قال «يسوع المسيح» عن «السامادهي»: «لن يكون هناك للزمن وجود». ففي النشوة يختفي الإحساس بالزمن، ولا يُوجد ماض ولا مستقبل، ولا تُوجد إلا اللحظة الحالية، فالحاضر ليس جُزءًا من الزمن، بل هو الأبدية.
هذا هو السبب الثاني لتلهف الإنسان لمُمارسة الجنس، إنّ الرجل يشتهي ويتوق ليس إلى جسد المرأة أو العكس، بل إلى شيء آخر وهو حالة اللاأنا وحالة الأبدية.
إنّ نشوة الذروة الجنسية تستمرّ لحظات فقط، غير أنّه من أجل هذه اللحظة، يفقد الرجل كمية كبيرة من الطاقة والحيوية ويرثي بعدها لخسارته. عند بعض أنواع الحيوانات تموت الذكور بعد عملية جنسية واحدة، وهناك نوع من الحشرات في «إفريقيا» يُمكن أن يقوم بهذا الفعل مرة واحدة فقط، فتنحسر طاقته ويموت لحظة الإلقاح. ليس الأمر أنّ الإنسان لا يُدرك أنّ الجماع يُقلل من طاقته وأنّه يُقرّبه من الموت أكثر، ولكنّ الأمر أنّ الإنسان بعد كلّ تجربة يندم على انغماسه بالجنس، ثمّ بعد مُدة قصيرة يشعر بالعاطفة مُجددًا. هناك بالتأكيد معنى أعمق بكثير مما تراه العين المُجرّدة في هذا النمط من السلوك.
هناك مستوى أكثر دقة للتجربة الجنسية من مُجرّد كونها روتين جسدي، وهو مستوى روحي من حيث الجوهر. كي تفهم هذه التجربة عليك أن تنتبه بعناية، فإذا لم تستطع أن تستوعب معنى هذه التجربة فستعيش وتموت في الجنس فقط.
إنّ البرق يُضيء في ظلمة الليل، ولكنّ الظلام ليس جُزءا من البرق، فالعلاقة بين الاثنين هي أنّ البرق يلمع في الليل وفي الظلام فقط. إنّ الأمر نفسه ينطبق على الجنس. هناك إدراك وابتهاج وضوءٌ يُشعّ في الجنس، ولكنّ هذه الظاهرة ليست من الجنس نفسه. على الرغم من أنّ الضوء يرتبط معه ولكنّه مُجرّد نتيجة ثانوية. إنّ الضوء الذي يُشعّ في النشوة يتجاوز الجنس، بل يأتي بعده. إذا كُنّا نستطيع فهم هذه التجربة من الماوراء، نستطيع عندها أن نرتفع فوق الجنس. خلاف ذلك، فلن نكون قادرين على فعل ذلك.

إنّ أولئك الذين يقفون ضدّ الجنس على نحو أعمى لن يستطيعوا أبدًا تقدير هذه الظاهرة في منظورها المناسب، ولن يتمكنوا أبدًا من تحليل سبب هذه الرغبة النهمة وهذا التوق العميق إلى الجنس. ما أُريد التأكيد عليه هو أنّ هذا الانشداد القوي والمُتكرر نحو الجنس ما هو إلا لأجل إدراك لحظة «سامادهي».

إن استطعتَ أن تتعلم الوصول إلى «السامادهي» دون الجنس، فستتمكن من تحرير نفسك من الجنس. إذا أراد شخص الحصول على شيء يُكلّف ألف روبية، وهذا الشيء معروض في مكان ما مجانًا، فلن يكون سليم العقل إذا ذهب إلى السوق كي يشتريه بثمن غال جدًا. بالمثل، إذا اتضح للإنسان كيف يُمكنه الحصول على النشوة نفسها التي يستمدها من الجنس بوسائل أخرى وبمقدار أكبر بكثير، فسوف يتوقف تفكيره عن الاندفاع نحو الجنس، وسيبدأ بالسباق في الاتجاه الآخر.

لقد حصل الإنسان على أول إدراك لتجربة «سامادهي» من خلال الجنس. غير أنّ الجنس مسألة مُكلفة كثيرًا، فهو لا يدوم أكثر من لحظة، ثمّ يعود الإنسان بعد لحظة الذروة إلى وضعه الأصلي.

إنّ الإنسان يصل إلى مستوى مُختلف من الوجود مُدة ثانية، يصعد فيها إلى قمة هائلة من الإشباع، إنّه يصعد إلى القمة بزخم، ولكنّه حالما يصل، يعود نزولاً إلى حيث كان. إنّ الموجة تطمح بالوصول إلى السماء ولكن ما إن تصل إلى ذروتها حتى تبدأ بالسقوط في اللحظة نفسها. إنّ حال الإنسان هو حال الموجة ذاته، من أجل النشوة والمتعة وذلك الإدراك نستجمع طاقتنا من حين إلى آخر ونبدأ بالصعود مجددًا كي نُلامس إلى حد ما ذلك المستوى الدقيق وذاك العالم العالي، لكننا نتراجع مُجددًا إلى ما كنّا عليه في الأصل مع نقص شديد في كمية الطاقة.

طالما بقي تفكير الإنسان مُنغمسًا في نهر الجنس هذا فسيرتفع ويسقط مرارًا وتكرارًا. إنّ الحياة هي اندفاعات مُتواصلة نحو اللاأنا ونحو الأبدية وانعدام الزمن، بوعي أو دون وعي. إنّها رغبة الكائن الشديدة في معرفة ذاته الحقيقية ومعرفة الحقيقة، ومعرفة الشيء الأصلي الخالد، ومعرفة مصدر الأبدي، والاتحاد مع ذاك الذي يتعدى حدود الزمن، وتحقيق حالة اللاأنا الصافية. يدور العالم بأكمله حول مُحور الجنس من أجل إشباع رغبة الإنسان الداخلية اللاواعية.

ولكن كيف نستطيع فهم أو تطوير أيّ نوع من التآلف مع هذا الإدراك إذا واصلنا إنكار وجود هذه الظاهرة الداخلية الطبيعية والمهيمنة؟ عندما نُعارض الجنس بشدة كما نفعل، يُصبح الجنس مركز وعينا ولن نستطيع عندئذ تحرير أنفسنا منه بل نصبح مُقيدين به. وعندها يدخل قانون الأثر العكسي حيز التنفيذ ونُصبح مُستعبدين له، وكلّما حاولنا الهروب من الجنس وتخليص أنفسنا منه، أصبحنا مُتورطين فيه أكثر.

لقد ظهر مرض الإنسان بمرض الجوع الشديد، بعد أن كان لا يُعاني من أيّ علة على الإطلاق.

لقد قرأ الإنسان أنّ رفض الحياة هو طريق النجاة، وقرأ أنّ من يصوم هو إنسان مُتدين، ومن يأكل هو شخص مُذنب، وقيل له أيضًا: إنّ أكل الحيوانات والنباتات يعني قتلها وهو شيء عنيف ويتعارض مع تعاليم اللاعنف.

عندما اعتبر الإنسان أنّ الأكل خطيئة، زاد قمعه لجوعه، وبالتالي ازداد تأكيد الجوع لنفسه بمقياس يُوازي القمع. فهو يصوم مدة ثلاثة أو أربعة أيام، وفي يوم انتهاء الصوم يُريد أن يأكل أيّ شيء وكلّ شيء بشراهة، ثمّ بعد الأكل يشعر بالندم على كسر العهد الذي قطعه على نفسه، فالإفراط في الأكل له ردود أفعال، ومِن ثمّ من أجل التكفير يبدأ الإنسان برنامج صوم جديد، ليعود من جديد إلى الإفراط في الأكل بعد برهة من الوقت.

أجاب الرجل بمُلاحظة: «أشكرك كثيرًا على الأزهار، فقد كانت لذيذة». لقد أكل الرجل كلّ الأزهار. قد لا نستطيع أن نتخيّل رجلاً يأكل الأزهار بدلاً من الطعام، لأننا لم نقُم بتجربة هذه الطريقة الروحية في الصيام «سادهانا» كما فعل ذلك الرجل. بالطبع إنّ هؤلاء الذين نذروا حياتهم من أجل الأكل سيكونون بالفعل قادرين على فهم هذه الحالة جيدًا. بالنسبة نفسها تقريبًا أقلّ أو أكثر فإنّ جميع الناس مُرتبطون بالجنس.

لقد بدأ الإنسان حربًا ضد الجنس، ومن الصعب تقييم نتائج هذه الحرب على نحو صحيح، فهل يتواجد الشذوذ الجنسي في أيّ مكان سوى فيما يُسمّى «المُجتمعات المتحضرة»؟ إنّ السكان الأصليين الذين يعيشون في المناطق المُتخلفة لا يُمكنهم أن يتخيلوا رجلاً يُجامع رجلاً أخرا! لقد أقمتُ مع أبناء القبائل، وعندما قلتُ لهم أنّ المُتحضرين يفعلون هذا، ذُهلوا ولم يُصدقوا ذلك، ولكن في الغرب تُوجد نواد من أجل مثليي الجنس، وهناك جمعيات تدعي أنّ حظر الشذوذ الجنسي والمثلية هو مسألة غير ديمقراطية لأنّ هناك الكثير من الناس يُمارسونه، وهم يُعلنون أنّ حظر الشذوذ الجنسي والمثلية بالقانون هو انتهاك لحقوق الإنسان الأساسية، وأنّه فرض من قبل الأكثرية على الأقلية. إنّ العقلية التي أنجبت الشذوذ الجنسي، هي التي أعلنَتْ ومارسَتْ الحرب على الجنس.

إنّ الدعارة والبغاء أيضًا تتواجد بصورة تتناسب طردًا مع حضارة المجتمع. هل سبق وأن فكرتَ كيف جاءت مؤسسة الدعارة إلى حيّز الوجود في البداية؟ هل يُمكنك أن تجد عاهرة في المناطق النائية الجبلية للشعوب القبلية؟ إنّ هذا أمرٌ مُستحيل، فلا يُمكن أن يتخيّل هؤلاء الناس أنّ هناك نساء يبِعنَ فضيلتهنّ، ويرضخنَ للجماع مُقابل أجر! غير أنّ تجارة الجنس تطورَت مع تقدم حضارة الإنسان، وهي من عمل آكلي الزهور، وسوف نكون أكثر دهشة وذهولاً لو أخذنا في الحسبان جميع الانحرافات الجنسية الأخرى، وتفحصنا مدى تعبيراتها القبيحة الأقصى.

ما الذي حدث للإنسان؟ من المسؤول عن هذا القبح وعن هذا الفسق والفجور؟ إنهم أولئك الذين علّموا الإنسان أن يكبت الجنس بدلاً من أن يفهمه. بسبب هذا الكبت، تتسرب طاقة الإنسان الجنسية من مسامّ الخطيئة، ويبقى المجتمع الإنساني برُمته مريضًا وبائسًا. إذا أراد هذا المجتمع السرطاني أن يتغير، فمن الجوهري أن يُوافق على أنّ طاقة الجنس هي طاقة إلهية، وأنّ الانجذاب إلى الجنس هو انجذاب روحي في الأساس.

لماذا جاذبية الجنس قوية جدًا؟ إنّها بالتأكيد قوية جدًا. إذا استطعنا فهم المستويات المُختلفة من الجنس، نستطيع أن ننتشل الإنسان من الجنس. عند ذلك فقط، يستطيع عالم «الراما» أن يخرج من عالم «الكاما»، وعندها فقط يُمكن أن يُبعث عالم الرحمة من عالم الشهوة.

ذهبتُ مع مجموعة من الأصدقاء إلى «خاجوراهو» من أجل رؤية المعبد الشهير عالميًا هناك، لقد تمّ تزيين الجدار الخارجي ومُحيط المعبد نفسه بمشاهد الجماع المُتنوعة، لقد كانت هناك تماثيل كثيرة مُختلفة تُعبّر عن وضعيات الجماع الجنسي. سألتُ أصدقائي: لماذا وُضعَتْ هذه التماثيل كي تُزين المعبد؟.

شرحتُ لهم أنّ المُهندسين المعماريين الذين بنوا المعبد كانوا أذكياء جدًا، فقد عرفوا أنّ الشهوة والجنس يُوجدان على مُحيط الحياة، واعتقدوا أنّ أولئك الذين ما زالوا مُنغمسين في الجنس لا يملكون الحق في دخول المعبد.

ثمّ دخلنا إلى المعبد ولم يكن هناك وثن مُقدّس للعبادة. لقد تفاجأ أصدقائي عندما لم يُشاهدوا داخل المعبد أيّ صنم للعبادة في أيّ مكان منه. أوضحتُ لهم أنّ الشهوة والرغبة تتواجد على جدار

الحياة الخارجي، في حين أنّ معبد الإله موجود في الداخل. إنّ أولئك الذين ما زالوا مفتونين بالشهوة والهوى والجنس، لا يُمكنهم الوصول إلى معبد الإله في الداخل، بل يبقون ببساطة يدورون حول الجدار الخارجي.

إنّ الذين بنوا هذا المعبد كانوا أناسًا عقلاء وعلى قدر كبير من التوازن، فقد كان هذا المعبد مركزًا للتأمل، وتعبيرًا عن أنّ النشاط الجنسي على السطح وفي كلّ الأنحاء، أمّا السلام والسكينة فهُما في الصميم وفي الجوهر والمركز. لقد كانوا يقولون للتلاميذ أن يتفكروا في الجنس أولاً، ويتأملوا بالكامل صور الجماع على الجدار الخارجي، وعندما يتمكنون من فهم الجنس كليًا، ويتأكدوا من أنّ عقولهم أصبحت خالية منه، عندئذ يُمكنهم أن يذهبوا إلى الداخل، وعندها سيجدون الإله في الداخل.

لقد دمّر الإنسان بإسم الدين أيّ إمكانية من أجل فهم الجنس وأعلن الحرب عليه، أي على غريزته الأساسية نفسها، فالقاعدة الأساسية أنّه يجب عدم رؤية الجنس مُطلقًا وأن تُغلق عينيك وتُقحم نفسك في معبد الإله، ولكن هل يُمكن لأحد الوصول إلى أيّ مكان بعينين مُغمضتين؟ في هذه الحالة لن ترى الإله بعيون مغلقة في الداخل وإنّما سترى بدلاً من ذلك الشيء الذي كنت تهرب منه!.

ربما يظنّ بعض الناس أنني أدعو إلى الجنس، فإذا كان الأمر كذلك، فقولوا لهم من فضلكم ألا يستمعوا إليّ على الإطلاق. أمّا الحقيقة: فهي أنّه من الصعب هذه الأيام أن تجدوا شخصًا أكثر عداوة للجنس منّي على هذه الأرض. إذا استطاع الناس أن يُعيروا انتباههم لما أقول، ودون تحيّز، فمن المُمكن أن يتحرر الإنسان من الجنس، وهذا هو المنهج الوحيد لجعل البشرية والإنسانية أفضل. إنّ علماء الدين الذين نعتبرهم أعداء الجنس، ليسوا أعداءه مُطلقًا، بل هم دعاته عندما خلقوا فتنة وبريقًا حوله من خلال مُعارضتهم الجنس على هذا النحو العنيف، إذ خلقوا جاذبية جنونية تجاهه.

قال لي احد الأشخاص إنّه لم يكن يهتمّ لأيّ شيء غير مستنكر، أو ليس فيه تحدي، أو لايُثير الاستياء، فكما نعلم جميعًا، أنّ الفاكهة المسروقة هي دائمًا أطيب من التي نشتريها من السوق. من أجل هذا السبب أيضًا لا تبدو الزوجة مُثيرة للشهية كزوجة الجار، فالأخرى هي كالتفاحة المسروقة وهي متعة محرمة. لقد أعطينا الحالة نفسها إلى الجنس، فهو شيء مُغرٍ جدًا. وقد أُلبس الجنس رداءًا من الأكاذيب ذات الألوان المُفرحة فأصبح شديد الإغواء. لقد كتب «برتراند راسل» أنّه في العهد الفكتوري عندما كان طفلاً، لم تكن تُرى سيقان النساء على الملأ أبدًا، وكانت الثياب التي يرتدينها تكنس الأرض مُغطية سيقاهنّ بالكامل، وإذا حصل وظهر أخمص قدم امرأة بالصدفة البحتة، فإنّ الرجل كان يُحملق على الفور وتُستفزّ غريزته.

يُضيف «راسل»: أمّا اليوم فتتنقل النساء شبه عاريات تقريبًا وبسيقان مرئية تمامًا، ولكن من المُلاحظ أنّها إلى حد ما لا تُؤثّر فينا بالقدر نفسه، وهذا يُثبت أنّه كلما حجبنا الشيء أثار ذلك فضولنا أكثر.

إنّ الخطوة الأولى كي يتحرر العالم من الرغبة الجنسية هي أن نسمح لأطفالنا بالبقاء عراة في البيت قدر الإمكان، ومن المُستحسن على قدر ما يسمح الوضع، أن نسمح لكلا الجنسين من الأطفال أن يلعبوا وهم عراة كي يتعرفوا تمامًا على أجساد بعضهم البعض. بالتالي، في الغد القريب، لن تكون ثمّة ضرورة لأن يحضن بعضهم بعضًا في الشوارع، ولن يكون هنالك حاجة إلى طبع الصور العارية في الكتب،لأنّ أجسادهم مألوفة لبعضهم البعض، ولن يكون هناك أيّ نوع من الإغواء المنحرف في المستقبل.

غير أنّ الطريقة التي يتبعها العالم هي عكس ذلك تمامًا. فهم يُغطون ويُخبئون الجسد، مما يخلق عن غير قصد جاذبية عظيمة له، ومع أنّ عقولنا تتجاوزها، إلا أننا لا زلنا نشعر بتأثيرها الكامل.
ينبغي أن يبقى الأطفال عراة، وأن يلعبوا وهم عراة فترة طويلة كي لا يُعانوا من بذرة الحماقة بقية حياتهم.
إنّ المرض موجود في الأساس وهو في ازدياد، ويُمكن مُلاحظة هذا المرض في حجم الأدب الفاحش الذي يُنشر الآن، والذي يقرأه الناس وهُم يُخبأونه بين أغلفة «الغيتا» و«الإنجيل». ثمّ نُنادي بوجوب حظر كتب ذلك الأدب، ولكننا لا نسأل من أين تأتي تلك الكتب التي نقرأها. إننا نعترض على الصور العارية ولا نتساءل لماذا يعرضونها في البداية.

إنّ كلّ جهودنا إلى الآن حملَتْ نتائج خاطئة لأننا لم ندخل في صداقة مع الجنس بل أعلنّا الحرب عليه، واستخدمنا القمع ونقص التفهم كوسائل من أجل التعامل مع مشاكل الجنس. كلّما أصبح فهم الإنسان أعمق ترفّع عن الجنس أكثر، وكلّما قلّ فهمه للجنس، تعاظمت مُحاولاته في قمع الجنس، ولن يُثمر القمع بأيّ نتيجة أبدًا، كما أنّه ليس سارًا ولا صحيًا.
إنّ الجنس هو طاقة الإنسان الأكثر حيوية، ولكن يجب ألا يكون هدفًا في حدّ ذاته، إذ ينبغي أن يقود الإنسان إلى روحه، فالغاية من الرغبة والشهوة هي التنوير.
من أجل الوصول إلى العزوبة لا بُدّ من فهم الجنس، ولكي نعرف ما الجنس ينبغي أن نتحرر منه ونتجاوزه، ولكن حتّى بعد حياة مليئة بخبرة التجربة الجنسية، فلا زال الإنسان غير قادر على اكتشاف أنّ مُمارسة الجنس لا تُقدّم له سوى اختبار زائل من «سامادهي»، أي لمحة خاطفة عن الوعي الفائق. إنّ قوة جذب الجنس الهائلة وإغرائه الكبير ناتجان عن أنّه القوة الجاذبة المغناطيسية من العالم الأعلى الأسمى. إذًا عليك أن تتعرف وتتأمل على هذه الومضة الآنية، وعليك أن تُركّز عليها مع الوعي، فهي تسحب الجميع بقوتها الهائلة.
هناك طرق أخرى أسهل من أجل تحقيق التجربة نفسها، فالتأمل، واليوغا، والصلاة، هي بدائل أخرى، ولكنّ قناة الجنس فقط هي التي كان لها التأثير الأقوى على الإنسان، ومن المهمّ جدًا التفكير بالطرق المُتعددة الموجودة من أجل الوصول إلى الهدف نفسه.
لقد كتب لي صديق يقول إنّه وجد موضوعي مُحرجًا جدًا، وطلب منّي أن أتخيل الوضع المُحرج لأمّ تجلس مع ابنتها بين الحضور. كما طلب مني أن أُفكر بأمّ تُشاهد مُحاضرتي بصحبة ولدها. علاوة على هذا، نصحني بأنّ مثل هذه الأشياء لا ينبغي أن تُناقش أمام أيّ شخص. أجبتُه أنّ اعتراضاته بلا أساس، وأنّه لا شكّ فقد عقله. إذا كانت الأم عاقلة فسوف تُوصل تجاربها مع الجنس إلى ابنتها في الوقت المناسب قبل أن تتسلل البنت إلى طابق الجنس السفلي، فتخسر نفسها بطرق مجهولة وغير ناضجة. إذا كان الأب مُهتمًا بأداء مسؤولياته الأبوية، فعليه أن يُناقش الموضوع دون قيود مع ابنه وابنته، من أجل تحذيرهم من المخاطر الشائعة ويُنقذ حياتهم من الانحرافات المُحتملة في المستقبل.
غير أنّ الوضع المُثير للسخرية هو أنّ كلا الأب والأم ليس لديهما أيّ تجربة واعية وخبرة عميقة في هذا الأمر. وهم أنفسهم لم يترفعوا عن مستوى الجنس المادي، وبالتالي يخشون على أطفالهم أن يُصبحوا مُتورطين مثلهم في المستوى ذاته. أنا أسألك: «هل أرشدكَ أيّ شخص؟»، لقد ورطتَ نفسك وأطفالك أيضًا سيُورطون أنفسهم، وسيتكرر ذلك في الجيل الثاني والثالث والرابع وهكذا

دواليك. لو أنّ أطفالك تحدّثُوا بالأمر ودرسوه وسمحوا لأنفسهم بالتفكير فيه بحرية، أليس من الجائز أن يُنقذوا أنفسهم من تبديد طاقاتهم ورُبّما يُحافظوا عليها وقد يُحولونها.
كلنا رأينا الفحم مرات عديدة، والعلماء يقولون: إنّه بعد بضعة آلاف من السنين يتحوّل الفحم إلى ماس، وإنّه لا يُوجد فرق كيميائي أو بنيوي بين الفحم والماس، فالماسة هي مظهر من مظاهر تحوّل قطعة من الفحم، مع أنّها مُجرّد قطعة من الفحم.
أُريد أن أقول: إنّ الجنس هو الفحم، في حين أنّ العزوبة «البراهماتشاريا» هي الماس، إنّ التبتل والعزوبة هما شكلان من أشكال الجنس، وهما تحوّل للجنس. إنّ العزوبة هي الفحم بعد مروره من خلال عملية مُعينة. صدقوني لا تُوجد عداوة بين الطرفين، ولا يُمكن أن يُصبح الجنس عدو العزوبة «براهماتشاريا» أبدًا.
ماذا نعني بالعزوبة «براهماتشاريا»؟ إنّها الاتصال «تشاريا» مع الإله «براهما». إنّها تحقيق التجربة المُقدسة «التجربة الإلهية»، فعن طريق استخدام التفهم الواعي يُمكن توجيه طاقة المرء الجنسية على درب الإله.
أعتزمُ غدًا التحدث إليكم عن كيفية اختبار الرغبة «الكاما»، والتي يُمكن أن تتسامى إلى النور «الراما»، فأرجو أن تُصغوا بانتباه كي لا يكون هناك سوء فهم، وأرجو أن تطرحوا أيّ أسئلة تتوارد إلى الذهن بصراحة. أرسلوها لي مكتوبة كي أتمكن من الإجابة عليها مُباشرة في الأيام القليلة القادمة، ولا داع لأن تُخفوا أيّ أسئلة تنشأ في أذهانكم، فلا يُوجد سبب لإخفاء الحقيقة، ومن غير المجدي أن تُحاولوا الهرب منها، فالحقيقة هي الحقيقة سواء أغمضنا أعيننا عنها أم لا، ووحدهم أولئك الذين يملكون الشجاعة كي يُواجهوا الحقيقة هم أناس الدين الروحانيون. أمّا الضعفاء والجبناء والذين لا يملكون الرجولة الكافية كي يُواجهوا الحياة وجهًا لوجه، فلا يُمكن لأحد أن يُساعدهم كي يُصبحوا روحانيين.
في الأيام القادمة، أدعوكم للتمعن في موضوعي: الموضوع الذي لا يُمكن لأحد أن يتوقع من شيوخكم وعرافيكم وحكمائكم أن يتحدثوا به. ورُبّما لم تعتادوا على سماع مثل هذه الأحاديث أيضًا، وقد يكون الخوف هو ردة فعل عقولكم، لكنني أحثكم على الصبر والإصغاء بانتباه، فمن المُمكن جدًا أن يقودكم تفهم الجنس إلى معبد روحكم.
تلك هي رغبتي، وأتمنى من الإله أن يُحقق لي تلك الرغبة.

الفصل الثالث:
قمة التأمل

29/ 9/ 1968

أستأنف حديثي بحكاية صغيرة: منذ سنوات عديدة في أحد البلدان، كان هناك رسام شاب مشهور قرر أن يبتكر لوحة عظيمة حقًا، لوحة مليئة بالحيوية وبالفرح الإلهي، يرسم فيها رجلاً تُشعّ عيناه بسلام أبدي. أخذ الرسام يبحث عن شخص لديه وجه يعكس ذلك النور السماوي الخالد. جال الرسام من قرية إلى أخرى، ومن غابة إلى غابة بحثًا عن موضوعه، فصادف أخيرًا بعد طول بحث راعي غنم ذي عينين مُشرقتين، ووجه وقسمات حملَتْ في طياتها شيئًا من السماوات، لقد كانت نظرة واحدة إلى وجهه تكفي للإقتناع بأنّ الإله موجود في هذا الراعي الشاب.

رسم الفنان صورة ذلك الراعي، فطُبعت منها ملايين النسخ وبيعت في كلّ مكان، وشعر الناس بامتنان عظيم لمُجرّد كونهم استطاعوا تعليقها على جدران منازلهم.

بعد قرابة عشرين سنة، وبعد أن كبر الفنان في السن: قرر أن يرسم صورة أخرى من وحي تجربته التي بينت له أنّ الحياة ليست خيرًا في كلّ جوانبها، وأنّ الشيطان موجود أيضًا في الإنسان، وألحّتْ عليه فكرة رسم صورة الشيطان، فعندما يتحقق مشروعه، قد تُكمِل اللوحتان بعضهما البعض ويظهر الإنسان الكامل. لقد رسم فيما مضى صورة التقوى، والآن يُريد أن يُصوّر تجسد الشر.

بحث عن شخص ليس بإنسان بل شيطان، فذهب إلى أوكار القمار، وإلى الحانات والأماكن الصاخبة، إذ لا بُدّ أن يكون الشخص المنشود مُمتلئًا بنار الجحيم، ولا بُدّ من أن يُظهِر وجهه كلّ ما هو شيطاني وقبيح وسادي.

بعد بحث طويل التقى الفنان أخيرًا بسجين داخل السجن، وكان قد ارتكب سبع جرائم قتل وحُكم عليه بالإعدام شنقًا في غضون أيام قليلة. كان الجحيم واضحًا في عيون الرجل، وكان ينضح بالكراهية وكان وجهه بشعًا إلى درجة لا يُمكن أن تُوصف. بدأ الفنان برسمه.

بعدما أكمل الرسم، أخرج الصورة السابقة ووضعها بجانب الصورة الجديدة من أجل المُقارنة. لقد كان من الصعب تقييم أيّهما كانت أفضل من الناحية الفنية، فكلتاهما كانتا رائعتين. وقف الرسام يُحدّق فيهما، بعد ذلك سمع بكاء، فالتفت وشاهد السجين المُقيّد يبكي! احتار الرسام في أمره وسأله: «يا صديقي، لماذا تبكي؟ هل تُزعجك هذه الصور؟».

أجاب السجين: «كنتُ أحاول إخفاء شيء عنك كلّ هذه الفترة، أنا اليوم إنسان ضال، ومن الواضح أنّك لا تعرف أنّ الصورة الأولى هي لي أيضًا. إنني راعي الغنم نفسه الذي التقيتَه منذ عشرين سنة في التلال، أنا أبكي على انهياري في السنوات العشرين الماضية، فقد سقطتُ من الجنة إلى الجحيم، وتحولتُ من إله إلى شيطان».

لا أعرف مدى صحة هذه القصة، ولكن هناك شيء واحد مُؤكّد، وهو أنّ حياة كلّ إنسان لها وجهان مُتعاكسان، وكلتا الصورتان مُمكنتان عند كلّ الناس. إنّ الإله والشيطان موجودان في داخل كلّ إنسان، وهناك إمكانية وجود الجنة وإمكانية وجود الجحيم فيه، ومثلما يُمكن أن تنمو في داخله باقة زهور، كذلك يُمكن أن تتراكم فيه كومة من الطين أيضًا. إنّ كلّ إنسان يتأرجح ما بين هذين النقيضين، ويُمكن للمرء أن يختار أحدهما، لكنّ مُعظم الناس يميلون نحو الشيطاني وجهنم، بينما نجد هنالك قلة نادرة محظوظة يتطلعون إلى الأبدي، وقد تركوا الربانية تنمو في داخلهم. هل

سننجح في جعل حياتنا معابد للإله؟ هل يُمكننا أيضًا أن نُصبح مثل الصورة التي فيها لمحة عن الإله؟.
بهذا السؤال أُتابع حديث اليوم: كيف يُمكن أن يُصبح الإنسان انعكاس الإله؟ كيف يُمكن أن نجعل حياة الإنسان جنة، كي تكون عطرة وجميلة ومتناغمة؟ كيف يُمكن أن يعرف الإنسان ما الخلود؟ كيف يتمكن الإنسان مِن دخول معبد الإله؟.
في هذا السياق تُبين حقائق الحياة أنّ كلّ تقدمنا حتّى الآن كان في الاتجاه المعاكس. ففي مرحلة الطفولة نكون في الجنة، ولكن عندما نُصبح أكبر، ننحدر إلى الجحيم شيئًا فشيئًا. إنّ عالم الطفولة مُمتلئ بالبراءة والنقاء، بيد أننا نبدأ تدريجيًا بالسفر على طريق مرصوفة بالأكاذيب والخيانة والغدر، ومع الزمن ننضج ونكبر في السن ليس جسديًا فقط بل روحيًا أيضًا، ويُصبح الجسد ضعيفًا وواهنًا وكذلك الروح تُصبح في حالة من الخراب والدمار، ولكننا نقبل هذا ببساطة، ولا ندع المسألة تنتهي على ذلك فقط وإنّما نُنهي أنفسنا في الوقت ذاته.
ينظر الدين على نحو قدري إلى هذه المسألة وإلى هذا الانهيار، وإلى هذه الرحلة من الجنة إلى الجحيم. على الرغم من ذلك ينبغي عكس تلك الرحلة، كي تكون رحلة مُرضية، ورحلة من الحزن إلى الفرح، ومن الظلمة إلى النور، ومن الفاني إلى الأبدي، فرغبة الإنسان الداخلية هي الانطلاق من حد الموت وصولاً إلى الخلود. هذا ما يتعطش له الإنسان من أعماق روحه، فبغية الروح هي العبور من الظلمة إلى النور، ودافع طاقتنا الأولية الأساسي هي الوصول من الزيف والكذب إلى الحقيقة.
يحتاج الإنسان أن يُحافظ على طاقته من أجل تلك الرحلة، بل يحتاج أن يسمح لها بالنمو. ولكي يُصيب الحقيقة ويصل إلى الروح، فلا بُدّ أن يُجاهد كي يُصبح خزان قوة بلا حدود، فالجنة ليست من أجل الضعفاء.
أُكرر، الجنة ليست من أجل الضعفاء، وحقيقة الحياة ليست من أجل أولئك الذين يُبددون طاقتهم، وليست من أجل أولئك الذين يسمحون لأنفسهم أن يُصبحوا واهنين وضعفاء. إنّ أولئك الذين يُبددون طاقات الحياة، وقد أصبحوا عاجزين من الداخل وبلا نكهة أو طعم، لا يُمكنهم تولي قيادة هذه العجلة، فهي تتطلب طاقة عظيمة من أجل بلوغ المُرتفعات.
إنّ حفظ الطاقة هو من مُستلزمات الدين الأساسية، ولكننا جيل ضعيف ومريض، ومن خلال خسارة هذه الطاقة، ننحط تدريجيًا إلى مُستويات أضعف واضعف، لقد جفّتْ حيويتنا، وكلّ ما تبقى في داخلنا هي خلايا أقراص عسل جافة، ولم يبقَ سوى فراغ مُخيف. إنّ حياتنا قصة خسارة مُستمرة مُحزنة. إنّ حياتنا ليست مُنتجة على الإطلاق.
لماذا يتواجد هذا الوضع القبيح؟ وكيف نفقد طاقتنا؟.
إنّ أكبر مخرج لطاقة الإنسان هو الجنس، وهو استنزاف مُتواصل ولا بُدّ من إيقافه. إذ لا يُوجد شخص يرغب أن يفقد أيّ شيء، ولكن كما قلتُ لكم سابقًا، هناك سبب لا يُقاوم يجعل الإنسان يُسرف كثيرًا في هدر طاقته. من أجل لمحة جنسية مُمتعة يتمّ سحب الإنسان شاء أم أبى إلى خسارة طاقته المرة تلو الأخرى. تلك النشوة المُضيئة العابرة التي تأتي مع الجنس، تملك ذلك القدر الكبير من الجاذبية إلى درجة تجعله يتهوّر في خسارة الشيء الذي هو أساس كلّ شيء.
إذا أُتيح للإنسان الحصول على النشوة نفسها بطرق أخرى، ألن يتوقف عن هدر طاقته عبر الجنس؟ هل هناك طرق أخرى للحصول على تلك التجربة نفسها؟ أليست هناك طريقة أخرى من أجل تحقيق التجربة الرفيعة نفسها كي نسبر غور أعماق الروح السحيقة، ونلمس أعلى قمة في

الوجود، وتُعطى لنا ومضات مُنعشة من النشوة الرقيقة والفرح الخالص، وتتبخر كل التعريفات والتقييدات؟ هل هناك تقنية ما من أجل النزول إلى ذلك القاع الساكن في أنفسنا؟ هل هناك أيّ عملية أخرى من أجل الاتحاد مع مصدر السلام والفرح الأبدي الذي يتواجد فينا؟ إنّ هذه المعرفة ستؤدي إلى تحوّل الإنسان، وعندئذ سيدير ظهره لِـ«كاما» ويتوجه نحو «الراما»، عندئذ ستكون رحلته هي «رغبة الرب»، وعندئذ تحدث الثورة الداخلية وينفتح باب جديد.

لقد منحت الطبيعةُ الإنسانَ منفذًا واحدًا فقط وهو الجنس، ولكنّ التعاليم المُنحدرة عبر القرون صفقَتْ ذلك الباب بعنف في وجه الإنسان وحصرَتْ ذلك المُتنفس. في غياب المنفذ المُلائم، أخذت دوامة الطاقة في الإنسان تدور هنا وهناك، وتُحاول الصعود دون جدوى، ثمّ أخذَتْ تُحطّم شخصيته وتحطّ من شأنه وتُحوله إلى شخص عصابي. علاوة على ذلك فإنّ هذا الشخص العصابي المُحطّم لا يستطيع استغلال حتّى منفذ الجنس الطبيعي، فاندفعَتْ الطاقة من الداخل تُحطّم جدران ونوافذ كيانه وتنفجر نتيجة ذلك، فانهار الإنسان وتصدّع رأسه وتعثّر وتكسّرتْ أطرافه.
بسبب أنّ المنفذ الطبيعي محصور ومُغلق، والمنفذ ما فوق الطبيعي غير مفتوح بعد، فإنّ الطاقة الجنسية للإنسان تتدفق من خلال وسائل غير طبيعية. إنّه لمن حظ الإنسان السيء أنّه لم يتمّ فتح باب جديد، بينما المنفذ القديم مُغلق في الأصل.
من أجل هذا أنا ضدّ التعاليم التقليدية المُعادية التي تقمع الجنس، فسبب هذه التعاليم القديمة لم تنمو الشهوانية فحسب عند الإنسان، بل أصبح فاسدًا أيضًا. ما العلاج؟ ألا يوجد بديل آخر؟.
دعونا نُمعن النظر في هذه الحالة بانتباه. إنّ الإدراك الذي يأتي في لحظة هزة الجماع يتكون من عنصرين: تلاشي الأنا والخلود، إذ يتجمّد الزمن وتتبخّر الأنا، وبسبب ذلك يحصل الإنسان على رؤية واضحة عن ذاته الحقيقية. غير أنّ ذلك المجد لحظي، فبعده يعود الإنسان إلى المجرى القديم نفسه، بعد أن يخسر في لحظة تلك الكمية الهائلة من الطاقة.
إنّ العقل يتوق إلى تلك الومضة ويشتاق إلى الإمساك بها مُجددًا، لكنّ ذلك النور وذلك الإدراك لحظيان جدًا إلى درجة أننا بالكاد نُلاحظهما قبل أن يختفيان مُجددًا، وما يتبقى بعدهما هو الرغبة والهاجس والقلق العميق من أجل تحقيق تلك التجربة من جديد. يُحاول الإنسان طوال حياته، مرارًا وتكرارًا، إمساك تلك اللمحة وتلك التجربة المُبهجة، إلا أنّها لا تتريث أبدًا.
هناك طريقتان من أجل تحقيق أعلى مراحل الوعي، والوصول إلى جوهر الذات الداخلية: الجنس والتأمل. إنّ الجنس هو الباب الذي زودتنا به الطبيعة وهو المسار الطبيعي، فالحيوانات تملكه والطيور أيضًا وكذلك النباتات والإنسان. طالما أنّ الإنسان يستهلك هذا المنفذ الطبيعي فهو ليس أعلى شأنًا من الحيوانات، ولا يُمكنه الارتقاء إلى مستوى أعلى من مستوى الحيوانات، فذلك المنفذ مُتاح لها أيضًا. في ذلك اليوم الذي يعثر فيه الإنسان على منفذ جديد، يُمكن اعتباره يوم بزوغ فجر الإنسانية في داخله، وأمّا قبل ذلك اليوم فلسنا بشرًا ويكون منفذنا هو منفذ الحيوانات، المنفذ المُعطى من الطبيعة. ما لم نترفّع عن هذا ونتجاوزه، نكون حقيقة عند مستوى الحيوانات، ولا نكون بشرًا إلا من حيث المظهر فقط، إذ نلبس مثل البشر، ونتحدث لغة البشر، ولكننا في الداخل وفي الجوهر نكون مثل الحيوانات ولن نُصبح أكثر من ذلك، ولهذا السبب ينفجر الحيوان في داخلنا عند أول فرصة تُتاح له.
أثناء فترة تشكّل «الهند» و«باكستان»، عرِفنا أنّ الحيوانات من أكلة اللحوم قد تتخفى في زي إنسان، وعرفنا كيف يستطيع بعض المسلمين والهندوس، ممن يرتادون المساجد ويُصلّون ويتلون

«الغيتا» في المعابد، أن ينهبوا ويذبحوا ويغتصبوا. لقد كانوا يُصلون ويتعبدون في اليوم السابق وهم اليوم يغتصبون النساء في الشوارع. ماذا حدث لهم؟.

هناك من الناس مَن يأخذ يوم عطلة من إنسانيته عندما تُتاح له فرصة تافهة كي يتحلل من التزاماته، فالحيوان في داخله مُتأهب من أجل الوثوب دائمًا، ويتلهف دائمًا إلى التحرر من القيد، أمّا الإنسان فهو مُتوتر دائمًا في مُحاولاته لجم هذا الحيوان وتقييده.

في داخل الحشد وضمن الجماعة، يجد المرء فرصة كي يخلع زيه البشري وينسى نفسه. في داخل الحشد تظهر شجاعة الإنسان في نسيان هويته الحقيقية التي كان يقمعها فينطلق الحيوان. إنّ الإنسان لا يرتكب من الخطايا كفرد مثلما يرتكبها وهو ضمن الحشد، فالشخص المُنعزل يخاف إلى حدّ ما أن يتعرف عليه أحد، كما يخاف على المظهر الإنساني الذي يرتديه. إنّ الشخص المُنعزل يُفكّر أولاً بما سيُقدِم عليه، وهو يخشى أن ينعته الآخرون بالحيوان، بينما في وسط حشد كبير من الناس نراه يفقد هويته، فهو لا يخشى أن يُكتشف أبدًا، وهو جزء لا يتجزء من الجماعة، وبالتالي يفعل ما يفعله الناس من حوله.

ما الذي يفعله؟ إنّه يقذف الأحجار ويُشعل الحرائق ويغتصب النساء، وبما أنّه جُزء من الجماعة «الغوغاء» فهو يقتنص الفرصة كي يُطلق العنان لحيوانه، وهذا سبب أنّ الإنسان يتلهف إلى الحرب كلّ خمس إلى عشرة سنوات، ويبقى مُنتظرًا دومًا على أمل أن يندلع الشغب ولو كان ذلك تحت ذريعة مُسلم وهندوسي فلا بأس بالنسبة إليه. إن لم يكن الأمر بسبب الدين، فلتكن الحرب بين قومية وأخرى «جوجاراتي – ماراتهي» فالأمر مُناسب أيضًا. إذا كان كلا الطرفين غير ناضجين من أجل الشغب، فسيُرضيه النزاع بين مَن يتكلمون الهندية ومَن لا يتكلمونها. إنّه لا يحتاج سوى إلى ذريعة، بل أيّ ذريعة كي يتحرر الوحش الذي في داخله.

إنّ الحيوان الذي في داخل الإنسان مُحبط بسبب العبودية المُتواصلة، وهو يصرخ ويقوم بالعويل كي يخرج. ما لم يتمّ التغلب على هذا الوحش والقضاء عليه، فلن يرتقي وعي الإنسان فوق البهيمية أبدًا.

إنّ طبيعتنا أو طاقة حياتنا، ليس لديها سوى مُتنفس سهل واحد وهو الجنس، وإغلاق تلك القناة سيخلق المشاكل، ولذلك يجب قبل إغلاقها إيجاد منفذ جديد كي تتحول الطاقة إلى اتجاه جديد، وهذا أمرٌ مُمكن، لكنّه لم يحصل إلى الآن لسبب بسيط، وهو أنّ الكبت أسهل بكثير من التحوّل. من الأسهل بالنسبة إلى الإنسان أن يُغطي شيئًا بالجلوس فوقه، بدلاً من علاجه أو تحويله، لأنّ التحوّل يحتاج إلى مُمارسات روحية «سادهانا» أو برنامج تأمل ثابت، وبالتالي نختار كبت الجنس الداخلي فهو الطريقة الأسهل.

في الوقت نفسه نحن لا نُدرك أنّه لا يُمكن القضاء على أيّ شيء بالكبت، بل على العكس، إنّ الكبت يُقوي ردة الفعل. إننا ننسى أيضًا أنّ كبت الإنسان لشيء يزيد من انجذابه له، وما نكبته لا يُصبح مركز وعينا فحسب، بل يغوص في أعماق عقلنا الباطن. عندما نقمع شيئًا أثناء ساعات الاستيقاظ، نراه في الليل يُومض عبر أحلامنا، ويبقى مُنتظرًا في الداخل يتلهف إلى الهجوم والانقضاض عند أول فرصة.

إنّ الكبت لن يُحرر الإنسان مِن أيّ شيء، بل على العكس ستنغرس جذور هذا الشيء في عقله الباطن وبالنتيجة ستُقيده. لقد ازدادت أمور الإنسان تعقيدًا في مُحاولته القضاء على الجنس فأصبح مُكبّلاً مسجونًا.

إنّ الحيوانات لديها حدود وفترات في مُمارسة الجنس، بينما ليس لدى الإنسان أيّ حدود أو فترات، فهو مهتمّ بالجنس في كلّ ساعة وعلى مدار السنة دون استثناء.
لا يُوجد في مملكة الحيوانات أيّ حيوان جنسي إلى هذه الدرجة كالإنسان. فالحيوان له فترة مُحددة لذلك وموسم مُحدد يأتي ويذهب، فبعد موسم السفاد لا يُفكّر الحيوان في الجنس مُجددًا، ولكن انظروا ما يحدث مع الإنسان: إنّ الشيء الذي يُحاول كبته وقمعه، يزيد طوال فترة حياته مثل البركان دائم الفوران. هل لاحظتَ أنّه لا يُوجد حيوان يبقى في حالة هياج جنسي طوال الوقت غير الإنسان الذي يميل إلى الجنس في كلّ الأوقات والحالات؟ إنّ الشهوانية تشتعل داخل الإنسان كما لو أنّ الجنس هو كلّ شيء في الحياة، كيف يحدث هذا الشذوذ؟ كيف حصلت هذه الكارثة؟ لماذا لم تحدث مع أيّ حيوان؟ في الحقيقة هناك سبب واحد فقط، وهو أنّ الإنسان بذل قصارى جهده في قمع الجنس، فانفجر على نحو موازٍ في كلّ أنحاء شخصيته.
ما أكثر الأشياء التي فعلناها من أجل قمع الجنس! لقد أظهرنا عدم مبالاة تجاهه، وكنّا نحتقره ونشتمه ونُطلق عليه تسمية «الإثم»، لقد صرخنا من أعلى المنابر أنّ الجنس خطيئة، وأعلنّا أنّ أولئك المُنغمسين في الجنس هم أُناس مُنحطون وينبغي احتقارهم. وكُنّا نخترع أسماء كثيرة مُهينة للجنس من أجل تبرير قمعنا له، ولم ينتابنا القلق ولو للحظة أنّ هذه الانتهاكات والاعتراضات في النهاية سوف تُسمم كياننا بأكمله.
ذات مرة أدلى «نيتشه» بتصريح ذي مغزى كبير قائلاً: إنّه بالرغم من أنّ الدين حاول قتل الجنس من خلال تسميمه، إلا أنّه لم يمُتْ وبقي حيًا ولكن مُمتلئًا بالسمّ. كان من الأفضل لو أنّه مات ولكنّه لم يمت. إنّ آلية الجنس لم تُحقق الهدف، والشهوانية التي نراها حولنا اليوم هي خلاصة الجنس المسموم.

إنّ الخطوة الأولى في تحرير الإنسان من الشهوانية هي ضرورة أن يُعلّم الجنس إلى كلا الجنسين من الأطفال، ذكورًا وإناثًا، كما قلتُ لكم من قبل. وبالإضافة إلى إعطائهم تلك المعرفة يجب إزالة تلك المسافة غير الطبيعية والقبيحة بينهم، ويجب في واقع الأمر تقريبهم من بعضهم البعض أكثر، فهذا الفصل يُخالف الطبيعة بالكامل.
لقد أصبح الرجال والنساء أصنافًا مختلفة، وبالنظر إلى الفاصل والحجرات المُصطنعة التي تفصل بينهم، فمن الصعب أن نُصدّق أنّ الرجال والنساء من الصنف نفسه، وأنّهما كلاهما جزء من البشرية نفسها. إذا كان الأولاد والبنات أحرارًا في تحركهم داخل المنزل وهم عراة كلّما رغبوا بذلك، فسوف يتعطل لديهم برعم الفضول الفاحش غير الطبيعي الذي ينشأ في وقت لاحق. نحن أساسًا نعرف حق المعرفة كيف أنّ جهل كلّ طرف بجسد الآخر يظهر بوضوح في فضول الأطفال: انظروا كم يُحبّ جميع أطفال الناس المُتحضرين لعبة « الدكتور».
علاوة على ذلك، أتساءل عمّا إذا سمعتم عن حركة جديدة بدأت من قبل شريحة من المُجتمع الأمريكي تُسمّى «المتدينون». هؤلاء المتدينون هدفهم وضع حدّ على خروج الكلاب والقطط والأحصنة والحيوانات الأخرى دون ملابس، إنّهم يُريدون إلباسها الثياب قبل الخروج بها إلى الشوارع، والفكرة التي تكمن خلف ذلك هي أنّ الأطفال قد يُصبحون فاسدين إذا نظروا إلى الحيوانات العارية في الشوارع. يالها من فكرة مُضحكة! إنّهم يُشكلون جمعيات من أجل حظر الحيوانات العارية في الشوارع. اِنظروا كم من الأشياء التي قاموا بها من أجل إنقاذ البشرية!

إنّ هؤلاء الذين يُسمّون «المُنقذون» هم أنفسهم الذين دمّروا الإنسان. هل لاحظتَ كم هي الحيوانات رائعة وجميلة وهي عارية؟ إنّها بريئة وواضحة وبسيطة على الرغم من أنّها عارية. نادرا ما يلفت نظر الإنسان أنّ الحيوانات عارية، ولن ينظر إلى الحيوانات على أنّها عارية إلا إذا كان يُخفي عورته داخله، ولكنّ أولئك الخائفون والجبناء سيفعلون أيّ شيء وكلّ شيء من أجل التعويض عن خوفهم من العري. إنّ البشرية تنحطّ يومًا بعد يوم بسبب اختراع مثل هذه العلاجات. ينبغي أن يكون الإنسان بسيطًا جدًا إذ يستطيع الوقوف عاريًا دون ثياب بريئًا ومُمتلئًا بالبهجة. لقد قام حكيم مثل «مهافير» بالظهور عاريًا، وعلى نحو مُماثل ينبغي على كلّ إنسان أن يرتقي ذهنيًا كي يستطيع وفقًا لهذا الأمر أن يقف أيضًا دون ملابس. إنّ من يُسمّون «المتدينون» يقولون إنّ «مهافير» نبذ ملابسه وتخلّى عن ارتداء الثياب. غير أنني أرفض هذا التفسير، لأنّ وعيه أصبح واضحًا جدًا، وبريئًا جدًا، ونقيًا كنقاء الطفل، فنما كالوردة عاريًا يُواجه العالم. عندما لا يُوجد شيء مخفي على الإطلاق، يُمكن للمرء أن يستلقي عاريًا.

إنّ الإنسان يُغطي نفسه لأنّه يشعر أنّ هناك شيء ما في الداخل يجب قمعه، ولكن عندما لا يُوجد شيء يُخفيه، فلن يحتاج حتّى إلى لبس الثياب. في الحقيقة، هناك حاجة ماسة إلى العالم الذي يكون فيه الإنسان بريئًا جدًا ونقي الذهن وهادئًا جدًا إلى درجة يكون فيها قادرًا على التخلص من ملابسه.

أين الجريمة في ذلك؟ ما هو الخطر في التعري؟.

إنّها مسألة مُختلفة عندما ترتدي الملابس من أجل أسباب أخرى، أمّا أن ترتديها فقط بسبب خوفك من التعري فهذا أمرٌ جدير بالإزدراء. إنّ ارتداء الملابس بسبب الفزع من التعري يدلّ على عري أعظم وعلى فساد التفكير. بيد أننا اليوم نشعر بالذنب في حال ارتداء الملابس، لأننا غير قادرين إلى الآن على التخلص من عُرينا الداخلي.

يا إلهي! كان من السهل عليك أن تخلق الإنسان بملابس!.

بالمناسبة، أرجو ألا تظنّوا أنّني ضد ارتداء الملابس، لكنني لم أتوانَ عن القول إنّ ارتداء الملابس بسبب الخوف الكبير من العري هو أمرٌ لا يستر العورة بل بالأحرى يكشفها. إنّ فهم العُري بهذا الشكل الشاذ هو فهمٌ حقير ومُنحط، وقد تمّ فرضه عبر تقليد اجتماعي طويل الأمد.

غير أنّه يُمكن أن تظهر عورة الإنسان وهو يرتدي ثيابًا، مثلما يُمكن أن يختفي شكل الإنسان العاري وكأنّه يرتدي ثيابه. هل هناك ضرورة للتوسع في هذه النقطة بعد أن شاهدنا ملابس الرجال والنساء الحديثة الضيقة على حدّ سواء؟ إنّ هذه الثياب الضيقة تأتي نتيجة الرغبة غير المشبعة في العري وعرض الجسد. لو تعوّد الرجال والنساء وألفوا أجساد بعضهم البعض، فلن تخدم الملابس تلقائيًا أيّ غرض سوى حماية الجسد، ولكن للأسف، فإنّ ملابس هذه الأيام صُممت من أجل استثارة الشهوانية.

إلى أين تسير حضارة الإنسان عندما لا تكون الثياب إلا ملابس تُساعد على استثارة الشهوانية؟ من أجل هذا السبب أُدافع عن مسألة السماح للأطفال أن يظلوا عراة حتّى عمر معين، إذ ينبغي أن يفهموا أنّ الحاجة إلى الملابس ترتبط بشيء آخر لا علاقة له بالجنس!.

علاوة على ذلك فإنّ مفهوم العُري هو مفهوم شخصي، فالتعري بالنسبة إلى صاحب العقل البسيط والعقل البريء ليس أمرًا مُهينًا، بل أمرٌ له جماليته. بيد أنّ الإنسان غُذّيَ حتّى الآن بالسُمّ، وقد انتشر هذا السمّ تدريجيًا مع مرور الزمن من شمال الأرض إلى جنوبها، فأصبح موقفنا من العري موقفًا لا ينسجم إطلاقًا مع ما هو طبيعي.

عندما تحدثتُ بهذا الأمر في لقائنا الأول في قاعة «بهاراتيا فيديا بهافان»، جاءتني سيدة وقالت لي: «أنا مُنزعجة وغاضبة منك جدًا، فالجنس موضوع مُشين، إنّ الجنس خطيئة. لماذا تحدثتَ عنه بهذا الإسهاب؟ إنني أحتقر الجنس حقيقة».
الآن كما ترون، هذه المرأة تحتقر الجنس بالرغم من أنها سيدة متزوجة، ولديها أولاد وبنات. كيف يُمكن أن تُحبّ زوجها وهو يقودها إلى مُمارسة الجنس؟ كيف يُمكن أن تُحبّ أطفالها الذين وُلدوا من الجنس؟ إنّ موقفها من الحياة قد تخلله السمّ، فأصبح حُبها سامًا، وبالتالي مِن المُؤكّد أنّ هناك شرخًا أساسيًا وعميقًا بين هذه المرأة وزوجها، وهناك أيضًا سياج شائك بينها وبين أطفالها، لأنّهم بالنسبة إليها ثمار الخطيئة. إنّ العلاقة بينها وبين زوجها تحكمها الخطيئة، وهي تشعر بعقدة الذنب عندما يتعلق الأمر بالجنس، فهل يستطيع الإنسان أن يعيش بوئام مع الخطيئة؟.
لقد أفسد الذين يفترون على الجنس حياة الناس الزوجية، وبدلاً من أن يحمل لهم هذا الموقف «الذي يُعطّل الجنس» الخلاصَ من الشعور بالخطيئة، فقد أحدث أثارًا ضارة للغاية. إنّ الرجل الذي يجد حاجزًا غير مرئي بينه وبين زوجته لن يشعر بالرضا معها وسيُفتّش عن نساء أُخريات وسيذهب إلى العاهرات. لقد كان ينبغي أن تكون كلّ نساء العالم بالنسبة إليه بمثابة أخوات وأمهات لو أنّه حصل على الإشباع الكامل في منزله. غير أنّه الآن، بسبب غياب ذلك الرضا، سينظر إلى جميع النساء على أنهنّ زوجات مُحتملات، وذلك أمرٌ طبيعي، وكان لا بُدّ أن يكون الأمر على هذا النحو، فهو لا يجد سوى السمّ والاشمئزاز والحديث عن الخطيئة، بينما كان ينبغي له أن ينعم بالفرح والنشوة والسكينة. لا يجد الإنسان حاجاته الأساسية في المنزل، ولهذا يتجوّل في كلّ مكان بحثًا عن الإشباع في كلّ ركن وزاوية، وما الذي لم يخترعه الإنسان كي يعثر على تلك الحاجات الضرورية!. سوف تُذهلون إذا حاولنا إحصاء كلّ الأدوات التي اخترعها الإنسان.
لقد خرج الإنسان عن المعقول في ابتكاره الكثير من الأشياء والكثير من الخدع، ولكنّه لم يُفكّر بعناية في المشكلة الأساسية أبدًا. إنّ بحيرة الحب تلك قد أصبحَتْ الآن مُستنقع جنس مسموم. وعندما يكون هناك شعور حاد بالخطيئة وبالسمّ، وعندما يكون هناك إحساس بالتردد بين الزوج والزوجة، فإنّ التردد يقضي نظرًا إلى الإحساس بالذنب على أيّ إمكانية للنمو في عيشهما مع بعضهما البعض.

لقد سمعتُ ذات مرة أنّ «كاستوريا» زوجة «غاندي» ذهبت إلى «سيلان» مع زوجها وأعضاء من حزبه. في كلمته الترحيبية قال المُضيف عن زوجة «غاندي» التي كانت تُرافقه وتجلس جانبه: «نحن محظوظون جدًا بتكريمنا وتشريفنا بحضور والدة السيد غاندي». في الحال أُسقط في يد سكرتير «غاندي» لأنّ الخطأ كان خطأه، فقد كان يتوجب عليه قبل ذلك أن يُقدّم أعضاء الحزب إلى مُنظمي الحفل، ولم يعد الآن بالإمكان تدارك هذا الخطأ.
وقف «غاندي» أمام المايكروفون وبدأ حديثه. لقد خشي السكرتير من التعرض للتوبيخ بعد ذلك من قِبل «غاندي» لكنّه لم يعرف أنّ «غاندي» لن يغضب منه أبدًا، لأنّ المرأة القادرة على التحول من زوجة إلى أم، هي امرأة نادرة بالفعل. قال غاندي: «إنّها مُصادفة سعيدة أنّ الصديق الذي قدّمني قد نطق بالحقيقة عن طريق الخطأ، فمنذ سنوات قليلة أصبحت «كاستريا» أمي بالفعل. لقد كانت زوجتي يومًا ما، أمّا الآن فهي أمي».
يُمكن أن يحدث هذا معكم أيضًا، فإذا بذل الزوجان القليل من الجهد من أجل دراسة حياتهما الجنسية معًا، يُمكنهما عند ذلك أن يُصبحا أصدقاءًا يُساعد كلّ منهما الآخر على تحويل الجنس،

وفي اليوم الذي ينجح فيه الزوجان بتحويل الجنس، يُولد بينهما شعور هائل بالامتنان. في هذه الأيام لا تُوجد سوى العداوة الغريزية المُبطّنة بين الأزواج، ولن تصفى العلاقة بينهما ما دام الشجار مُتواصل وقائم.
إنّ الإحساس بالرضا العميق يُولد بين الزوجين عندما يساعد كلّ طرف الآخر على خلق الجو المناسب من أجل تحويل الرغبة الجنسية لدى الطرف الآخر، ثمّ تزدهر الصداقة الحقيقية عندما يُصبح الزوجان شريكين في السيطرة على الجنس وتحويله. آنذاك سيطفح الرجل بالاحترام تجاه المرأة لأنّها ساعدته على نيل الخلاص من الشهوة، وبدورها ستحمل له كلّ الامتنان لأنّه حررها مِن الأمر ذاته. منذ ذلك اليوم سيعيشان في حب حقيقي مُنسجم وليس تحت سيطرة الشهوة. إنّها بداية الرحلة التي يُصبح فيها الزوج إلهًا في نظر زوجته، وتُصبح الزوجة آلهة في نظر زوجها. بيد أنّ تلك الإمكانية قد تمّ تسميمها.
ذكرتُ في السابق أنّه من الصعوبة أن تعثروا على شخص أكثر عداوة منّي للجنس، وأنا لم أقصد ضمنًا شتم أو انتقاد الجنس، فقد صرحتُ بذلك من أجل التعبير عن قلقي، ولكي أُشير إلى مسألة تجاوز الجنس وكيفية تحويل الشهوة والتسامي بها. أنا عدو الجنس: بمعنى أنني أُفضّل تحويل الفحم إلى ماس، وأرغب بتحويل الجنس والتسامي به وتجاوزه.
كيف يُمكن القيام بهذا؟ وما هو الإجراء الذي سنتخذه؟.
أقول إنّه لا بُدّ من فتح باب آخر، ولا بُدّ من فتح باب جديد. إنّ الجنس لا يُمكن أن يتولى أمره بنفسه بمُجرّد أن يُولد الطفل، فالجسد يستجمع الطاقة وتزداد الخلايا قوة، وما زال هناك وقت طويل قبل أن يكتمل نمو الجسد. إنّ الطاقة ستعمل على تجميع نفسها تدريجيًا، وبعد ذلك ستدفع الباب الذي أُغلق في الأربع عشر سنة الأولى من العمر، وهذا هو مدخل الطفل إلى عالم الجنس.
عندما ينفتح باب، فمن الصعب جدًا فتح باب جديد. وبسبب طبيعة طاقة الحياة، فإنّها تندفع بكامل حيويتها وطاقتها في الإتجاه الذي فتحتْهُ بفعل قوتها. حالما يتخذ نهر «الغانج» مجرى لنفسه، فسيتدفق فيه ويستمرّ بالجريان في المسار نفسه، ولن يبحث كلّ يوم عن مجرى جديد. يُمكن أن يتدفق الماء العذب يوميًا، لكنّه يستمرّ بالجريان في القناة نفسها. وبالمثل، فإنّ طاقة حياة الإنسان تشقّ طريقًا لنفسها ومن ثمّ تُواصل السير فيه.
إذا كان لا بُدّ من علاج الإنسان من الشهوانية، فمن المُهمّ جدًا أن نخلق فتحة جديدة قبل أن ينفتح باب الجنس، وتلك الفتحة الجديدة هي التأمل.
إنّ كلّ طفل يجب أن يتعلم التأمل منذ نعومة أظفاره، ولا بُدّ من إعطائه دروسًا في التأمل. ولا بُدّ من محو التعاليم الزائفة المُعادية للجنس، وتعليمه التأمل بدلاً منها، فالتأمل باب إيجابي وهو فتحة راقية، ويجب أن يتمّ الاختيار بين الجنس أو التأمل، والتأمل هو الخيار الأسمى. إذًا لا تُدينوا الجنس، بل علّمُوا أطفالكم التأمل.
إنّ الوقوف ضدّ تعليم الأطفال أيّ شيء عن الجنس سيلفت نظرهم إلى وجوده. وهذا النهج في مُنتهى الخطورة لأنّه يُؤدي فيما بعد إلى انحراف نشاطهم الجنسي الذي لم ينضج بعد. علاوة على ذلك، عندما يتمّ إغلاق كلّ الأبواب، وعندما يكون كلا المنفذان مُغلقين، وعندما تبقى الطاقة محفوظة، إذ ذاك من الممكن أن يُفتح أيّ منفذ، ولكنّ العزف المُتواصل على وتر العداء تجاه الجنس، يُشبه الطرق على باب الجنس.
إنّ النبتة الغضة يُمكن أن تميل إلى أيّ اتجاه، ويُمكن أن تنحني بتواضع من تلقاء نفسها. غير أنّها كلّما نمت أصبحَتْ أصلب، وإذا حاولتَ ثنيها فسوف تتشوه وقد تنكسر، والحالة مع التأمل ذاتها.

من الصعب جدًا تحقيق التأمل عندما يُصبح الإنسان أكبر سنًا، فكبار السن الذين يُحاولون التأمل، هم كمن يزرع البذور بعد انقضاء الموسم. يُمكن زرع بذور التأمل في الأطفال بسهولة، أما الإنسان فيُبدي كعادته اهتمامًا بالتأمل في نهاية حياته فقط، ويتلهف للتأمل بعد أن تنحسر طاقته وبعد أن تجفّ كلّ إمكانيات تقدمه. آنذاك فقط يسأل عن التأمل واليوغا، ويُريد إصلاح نفسه بعد أن طرحه الموت أرضًا، وبعد أن أصبح التحوّل صعبًا جدًا. إنّ العجوز الذي أصبحت إحدى قدميه في القبر، يطلب القيام بأيّ شيء كي يفلت من الموت، حتّى لو كان ذلك من خلال التأمل، وهذا أمرٌ غريب حقًا! إنّ هذه الفكرة في مُنتهى الجنون.

في الحقيقة، لا يُمكن أبدًا أن يكون هذا الكوكب في سلام ما لم نبدأ رحلة التأمل في كلّ عقل شاب، ومِن غير المُجدي أن نُحاول ذلك مع أناس في نهاية الطريق، ومع أناس قد أشرفت شمس حياتهم على المغيب. حتّى لو حاولتَ مع هؤلاء فسيتطلب ذلك مجهودًا ضخمًا، ولن يكون في الأمر فائدة كبيرة، أمّا لو تمّتْ المُحاولة في وقت مُبكر من الحياة فمن المُمكن تحقيق الكثير، ولن يتطلب الأمر الكثير من الجهد.

إنّ الخطوة الأولى نحو تحويل الجنس هي البدء بتعليم التأمل إلى الأطفال الصغار، وتدريبهم على الهدوء والسكون والتكتم على خصوصياتهم، وأن يتعلّموا كيف يكونوا صامتين ويفهموا ما حالة اللاتفكير. بالرغم من أنّ الأطفال هادئون في الأصل ومُسالمون بالمُقارنة مع البالغين، ولكن إذا ما تمّ توجيههم في الاتجاه الصحيح وتعلّموا مُمارسة التكتم والسكون ولو فترة قصيرة كلّ يوم، فسينفتح باب جديد قبل أن يبلغوا الرابعة عشرة من العمر. وعندما يُطلّ الجنس برأسه وترتفع مناسيب آبار الطاقة الجنسية وتُوشك أن تطفح، تنساب الطاقة من خلال الباب الجديد الذي تمّ فتحه، ويكون هؤلاء الأطفال مُدركين أساسًا للصفاء والنعيم والفرح، ويكونوا قد اختبروا الخلود وانعدام الأنا في التأمل قبل أن يختبروا الجنس بفترة طويلة. هذه المعرفة ستحول دون تدفق طاقة الأطفال في قنوات خاطئة، ثمّ ستُحوّلها إلى المسار الصحيح.

إننا نُعلّم أطفالنا الاشمئزاز من الجنس بدلاً من أن نُعلّمهم سكينة التأمل، فنقول لهم: «الجنس خطيئة، الجنس قَذِر، الجنس قبيح وسيء، الجنس جحيم». غير أنّ الشتم لا يُغيّر من الحقيقة شيئًا، بل على العكس، يُصبح الأطفال فضوليين، ويرغبون بمعرفة المزيد عن هذا الجحيم وعن هذا الشر، وعن هذا الشيء القذر الذي يجعل آباءهم ومُعلميهم خائفين ومرعوبين. ثمّ يبحثون في أيّ مكان وفي كلّ مكان عن إجابة وهم يتلهفون إلى فهم سبب كلّ هذه الضجة.

خلال فترة قصيرة جدًا يعرف الأطفال أنّ آباءهم أنفسهم مُنغمسون ليل نهار في القضية نفسها التي لا يسمحون لهم بمعرفة أيّ شيء عنها. والنتيجة التلقائية والفورية عند اكتشاف هذه الحقيقة هي الكفّ عن الإعجاب بآبائهم. إنّ التربية الحديثة ليست هي المسؤولة عن نقص احترام الآباء كما يُظنّ عمومًا، بل إنّ الآباء أنفسهم هم المسؤولون عن ذلك، فسُرعان ما يلحظ الأطفال هذا التناقض، ويستنتجون على الفور أنّ آباءهم مُنغمسون تمامًا في الشيء ذاته الذي يُعلمونهم كراهيته.

إنّ الأطفال يتمتعون بقوة الملاحظة، فهم يرون أنّ حياتك في الليل تختلف عن حياتك في النهار، وأنّ الفرق شاسع ما بين مُمارساتك ومواعظك، فهم يُشاهدون ما يحدث في المنزل. إنّهم يُشاهدون أنّ الأشياء نفسها التي يُسميها الأب «قذارة» وتُسميها الأم «أشياء سيئة»، تجري على قدم وساق في المنزل. إنّهم يفهمون ما يحدث، وهذا يُفقدهم احترامهم لوالديهم بالكامل لأنّهم يستنتجون أنّ آباءهم مُحتالون ومُنافقون.

تذكّرْ أنّ الأطفال الذين فقدوا إيمانهم بآبائهم لن يكون لديهم أيّ إيمان بالإله، فمن خلال الوالدين يحصل الأطفال على لمحة الأيمان الأولى بالإله، فإذا تحطّم هذا الإيمان فسيكونون مُلحدين بالتأكيد عندما يكبرون. ذلك أنّهم يحصلون على أول إدراك للإله مِن خلال استقامة آبائهم، فإذا ثبت لهم زيفها فسيكون من الصعب تحويل هؤلاء الأطفال إلى الإله، ولن تكون هنالك علاقة بينهم وبين الإله لأنّ آلهتهم الأوائل «والديهم» قد خانوهم، وأثبتوا أنّهم غير شرفاء.
إنّ الأجيال الشابة الجديدة اليوم تُنكر وجود الإله، وتسخر من فكرة الانعتاق، وتُسمي الدين خدعة، وذلك ليس لأنّهم بحثوا وتوصلوا إلى استنتاج هذا الأمر بأنفسهم، بل بسبب الخيانة من قِبَل آبائهم الذين استبعدوهم كي يعيشوا مسرحية هزلية.
لقد حصل هذا الشعور بالخيانة لأنّ الجنس مُثّل بطريقة خاطئة من قِبل الكبار، في حين كان ينبغي أن يُوضّح لهم بشكل صريح أنّ الجنس هو جزء لا يتجزأ من الحياة، وأننا جميعنا مولودون من هذا الجنس، وأنّه جزء من حياتهم أيضًا، فذلك سيُساعدهم على فهم سلوك والديهم في المنظور الصحيح، وعندما يكبرون ويختبرون الحياة بأنفسهم سيمتلئون بالاحترام بسبب مصداقية آبائهم، وسيضع هذا الإيمان والصدق والاحترام حجر أساس الحياة الروحية لدى الطفل منذ البداية. غير أنّ أطفال اليوم يُشككون في مصداقية آبائهم، وهذا سبب وجود التعارض الأيديولوجي بين الأجيال الصغيرة والأجيال الكبيرة، فقمع الجنس قد فصل الزوج عن زوجته، وأوغل صدور الأطفال ضدّ والديهم.
في الحقيقة، لسنا بحاجة إلى قمع الجنس، وإنّما في حاجة إلى توضيحه كي يكون حديث الساعة.
حينما ينضج الأطفال ينبغي على الآباء أن يضعوا أمامهم حقائق الحياة الأساسية بأسلوب مُستساغ بمُجرّد أن يستفسروا عن هذا الأمر، ويجب القيام بهذا قبل أن يُصبح الأطفال فضوليين على نحو ضار أو غير ضروري، وقبل أن يبدأ افتتانهم بالنضوج على نحو غير صحي أو يقودهم الأمر إلى إرضاء فضولهم في أماكن خاطئة. خلاف ذلك، وكما هو الحال اليوم، فإنّ الأطفال سيكتشفون الجنس من خلال أشخاص سيئين، وتحت ظروف غير سوية وعبر مُمارسات خاطئة ضارة ومُدمّرة، قد تُؤدي إلى نتائج مُؤلمة تُعذبهم طوال حياتهم، وفي النهاية ينشأ جدار من الخجل والتكتم بين الأولاد وآبائهم.
إنّ الآباء لا يعرفون أيّ شيء أبدًا عن حياة أبنائهم الجنسية، تمامًا مثلما يجهل الأطفال حياة آبائهم الجنسية. فالنفور الذي ينتج عن لعبة «الغميضة» هذه، هو بالفعل أمرٌ خطير للغاية. فلا بُدّ من تثقيف الأطفال جنسيًا على نحو صحيح، ولا بُدّ من تعليمهم الثقافة الصحيحة عن الجنس.
ثانيًا: يجب أن يتعلّم الأطفال كيفية التأمل، وكيفية البقاء ساكنين وهادئين وصامتين، ويتعلموا كيفية الوصول إلى حالة اللاتفكير، فباستطاعتهم إنجاز هذه العملية على نحو سريع جدًا. يجب على كلّ منزل أن يكون لديه برنامج يُساعد الأطفال على الانتقال إلى الصمت، ويُمكن تحقيق ذلك عندما تُمارسون كوالدين الصمت مع أطفالكم. يجب أن يكون المكوث يوميًا بصمت مُدة ساعة إلزاميًا في كلّ بيت ومنزل، حتّى لو تطلب الأمر التضحية بوجبة طعام، فلا بُدّ من التقيد بساعة من الصمت مهما كان الثمن. من الخطأ تسمية المنزل منزلاً، ولا يُمكن أن نُسمّي الأسرة أسرة ما لم تتقيد بساعة من الصمت يوميًا.
إنّ ساعة من الصمت يوميًا ستحفظ طاقة الطفل، وفي سن الرابعة عشرة، ستندفع الطاقة مثل موجة البحر أثناء المد فاتحة باب التأمل بفعل قوتها حيث يُلامس الإنسان الخلود وتتلاشى الأنا،

ويحصل الإنسان على لمحات من الروح ومن الأعلى. إنّ اللقاء بتلك القمة قبل تجربة الجنس يضع حدًا لذلك الاندفاع المجنون بعد تجربة الجنس، إذ تجد الطاقة طريقًا أفضل وأكثر سعادة وبهجة.
إنّ أول مرحلة في عملية العزوبة هي تخطي الجنس، أمّا طريقة التسامي عن الجنس فهي التأمل.
أمّا القاعدة الثانية فهي الحب، إذ ينبغي أن يُعلّم الأطفال الحب منذ نعومة أظفارهم. إنّ الخوف الشائع من أنّ تعليم الأطفال الحب سيُؤدي بالإنسان إلى متاهات الجنس فلا أساس له. إنّ تدريس الجنس يُمكن أن يُؤدي بالإنسان إلى الحب ولن يجرّه إلى الشهوانية أبدًا، فالحقيقة تختلف عن الاعتقاد الشائع، وذلك لأنّ الطاقة الجنسية تتحول إلى حب.
إنّ الإنسان قادر على نشر الحب في مُحيطه بصورة تتناسب طردًا مع الحب الذي ينمو في داخله. أمّا أولئك الفارغين من الحب فهم أشخاص ممتلئون بالجنس وسيبقون ذوي تفكير جنسي، وكلّما قلّ الحب تزداد الكراهية، وكلّما نقص الحب في حياة الإنسان أكثر، ازداد حقدًا وكراهية. إنّ أولئك الخاوون من الحب، هُم أناس يمتلئون غيرة وحسدًا بمقدار خلوهم من الحب، وبالتالي كلّما نقصت محبة الإنسان، أصبحَتْ مُعاناته من النزاع أكثر. ثمّ إنّ قلق البشر وتعاستهم تتناسب طردًا مع نقص الحب في حياتهم، وكلّما انغمس الإنسان في الغيرة والقلق والحسد والغرور والكذب وما شابه، اضمحلت قدراته وغدا ضعيفًا وواهنًا، وأصبح مُتوترًا باستمرار، إذ أنّ المخرج الوحيد لهذه المجموعة من المشاعر المُنحطة والغبية والفظة هو الجنس.
إنّ الحب هو شعور سلس مُتدفق مُبدع يُحوّل الطاقات ويُحقق الامتلاء، ويكون التشبع به أكثر عمقًا وأكثر قيمة من ذلك الشعور الذي يتمّ الحصول عليه من خلال الجنس. إنّ الشخص الذي يعرف الرضا لن يبحث عن أيّ بديل أبدًا، تمامًا كالشخص الذي يكسب الجواهر، فلن يبحث عن الحجارة.
أمّا الشخص المُمتلئ بالكراهية فلن يجد الرضا أبدًا، فهو دائم التوتر ويُدمّر كلّ شيء يأتي في طريقه، وهذا التدمير لن يجلب له السعادة، بل إنّ الإبداع فقط هو الذي يغمر الإنسان بشعور من الرضا. إنّ الإنسان المُمتلئ بالغيرة والحسد هو دائمًا في حالة عداء ومنافسة، وهذا الوضع لا يُمكن أن يجلب الرضا أبدًا، إذ لا يعتدي على الآخرين سوى الشخص الذي لم يعرف الرضا ولا القناعة.
يُمكن الحصول على السعادة بالعطاء فقط وليس بالأخذ. فالاستيلاء على كلّ شيء على مد البصر والأخذ عنوة لن يجلب راحة البال أبدًا، وإنّما يُمكن الحصول عليها بالعطاء والمشاركة المفيدة. إنّ الإنسان الطموح الذي يقفز من مكان إلى آخر لا يعيش في حالة سلام أبدًا، أمّا أولئك الذين لا يسعون وراء السلطة أو القوة بل يسعون وراء الحب ثمّ ينشرونه في كلّ مكان، فهم يعيشون في نعمة عالية. كلّما امتلأ الإنسان بالحب، امتلأ بالقناعة العميقة والرضا والفرح والإحساس بالإنجاز الذي سيجده في أعماق قلبه. إنّ هذا الإنسان المُتنوّر لن يتضايق من الجنس، ولن يُحاول حتى الالتفات إليه، لأنّ القناعة والنشوة التي سيجدها في الجنس، سيحصل عليها بصورة دائمة من الحب.
إنّ الشعار التالي الذي يقول: «اِسعَ لأن تمتلئ بالمحبة»، يعني أنّه ينبغي أن نعشق مبدأ المحبة، وأن نمنح الحب ونعيش فيه. غير أنّ محبة الآخرين وحدها ليست بيت القصيد، فأن نكون مُخلصين للحب فهذا يعني أن نستكمل ملء شخصيتنا بالحب. أنا أتحدث هنا عن تربية مُتكاملة في المحبة، إذ ينبغي أن نكون قادرين على التقاط حجر كما لو كنا نلتقط صديقًا، وأن نكون قادرين على مُصافحة العدو كما لو كُنّا نُصافح صديقًا.

هناك بعض الأشخاص ممن يتعاملون مع الأشياء المادية بعناية ومحبة، في حين أنّ هناك من يتعاملون مع الآخرين من البشر بطريقة لا ينبغي أن يتعاملوا بها حتى مع الأشياء التي لا حياة فيها. إنّ الشخص المُنغمس في الكراهية ليس أفضل من الأشياء التي لا حياة فيها، لكنّ الإنسان الذي يطفح بالمحبة يُضفي التميّز على كلّ شيء يلمسه.
ذات مرة جاء رحالة مُثقف من أجل رؤية ناسك ذائع الصيت، وكان هذا الرحالة مُنزعجًا لسبب ما، رُبّما بسبب مصاعب الرحلة، ففك أربطة حذائه بغضب وقذفه إلى ركن ما، ثمّ دفع الباب بلكمة ثقيلة.
لقد خلع الرجل حذائه بغضب كما لو أنّ الحذاء أسوأ عدو له، ودفع الباب بعنف كما لو أنّ هناك عداء كبير بينه وبين الباب. دخل الرحالة وانحنى احترامًا أمام الناسك.
قال الناسك: «لن أقبل تحيتك قبل أن تذهب وتعتذر إلى الباب والحذاء».
سأل الرجل: «ماذا أخطأتُ بحقك، هل أعتذر إلى الباب؟ وإلى الحذاء أيضًا؟ لماذا؟ هل هم أحياء؟».

فكّرَ الرحالة بأنه طالما جاء من أجل مُقابلة هذا الناسك الشهير فسيكون من المُضحك إنهاء هذه المحادثة بسبب هذا الأمر التافه، فذهب واعتذر من الحذاء بيدين مضمومتين قائلاً: «أعتذر عن وقاحتي يا صديقي». ثمّ قال للباب «إنني آسف، لقد كان من الخطأ أن أدفعكَ بمثل هذا الغضب».
يا لها من لحظة بالنسبة إليه!
لقد كتب هذا الرحالة في مذكراته أنّه شعر في بداية الأمر بسخافة كبيرة، لكنّه بعد أن قدم اعتذاره، شعر بشيء جديد ظهر في داخله، فقد شعر بالهدوء والسكينة والسلام. لم يكن الرحالة في أقصى تخيلاته الهمجية ليتخيل أنّ الإنسان رُبّما يشعر بهذا الهدوء وهذه الرزانة وهذا الفرح من خلال طلب المغفرة من الباب وزوج من الأحذية.
بعد أن قدَّم اعتذاره، دخل وجلس قرب الناسك الذي أخذ يضحك قائلاً: «لقد أصبحَتْ الأمور على ما يُرام الآن. لقد أصبحتَ مُتناغمًا الآن، ويُمكننا التحدث، لقد أظهرتَ بعض الحب وتحررت من العبء، الآن يُمكن أن تكون هنالك علاقة بيننا».
إنّ المبدأ ليس أن تُحبّ البشر وحدهم، بل المسألة أن تمتلأ بالمحبة.
عندما يُقال يجب على المرء أن يُحبّ أمّه فهذا قول خاطئ وسوء فهم للمحبة. إذا طلب الأب من ابنه أن يُحبه لمُجرّد كونه والده، فهذه عملية خداع لأنّه يُعطيه سببًا للحب. وبالمثل، إذا قالت الأم لابنها إنّه يجب أن يُحبها لسبب بسيط هو أنّها أمه فهذا فرض وإجبار. إنّ الحب الذي يرتبط بخيوط اسمها «لأنّ» و«من أجل ذلك» ليس بحب. فالمحبة يجب أن تكون بلا حافز ولا ينبغي تعطيلها بأسباب. إنّ الأم التي تقول لابنها «لقد اعتنيت بك وربيتك، لذلك عليك أن تُحبني»، فهي تُعطي سببًا للحب وهنا ينتهي هذا الحب. إذا أُرغم الطفل على هذا، فقد يُظهِر مُكرهًا شيئًا من العاطفة لأنّها أمّه، ولكنّ الهدف من تعليم المحبة ليس إرغام الطفل على التعبير عن محبته لسبب ما، بل خلق بيئة يمتلئ فيها الطفل بالمحبة.
إنّ نمو الطفل ونمو شخصيته ومستقبله بأكمله يتوقف على تنشئته كي يشعر بالفرح من خلال محبته لأيّ شخص وأيّ شيء يُصادفه، سواء كان حجرًا أو إنسانًا أو زهرة أو حيوانًا أو أيّ شيء آخر. إنّ المغزى من ذلك ليس أن يُحبّ الحيوان أو الزهرة أو أمّه أو أيّ شخص آخر، بل أن يمتلئ الطفل بالمحبة. لا يعتمد على ذلك مُستقبل الطفل فقط، بل مُستقبل البشرية بأكملها. إنّ

الاحتمالات الكبيرة لازدهار وانبعاث الفرح والسعادة في حياة الإنسان تعتمد على مقدار المحبة التي يحملها في داخله. إنّ الإنسان المُحبّ يُمكن أن يتحرر من الشهوانية، ولكننا في الحقيقة لا نمنح المحبة ولسنا مُتحمسين لها.
هل تظنّ أنّه يُمكن أن يُحبّ الإنسان شخصًا ويكره آخر في الوقت ذاته؟ كلا، هذا مُستحيل. إنّ الإنسان المُحب حتّى عندما يكون وحيدًا، يكون مُمتلئًا بالمحبة لأنّ المحبة من طبيعته ولا ترتبط بعلاقتك به. أمّا الإنسان الغضوب، فهو غضوب حتّى لو كان وحده، وكذلك الإنسان المُمتلئ بالكراهية. راقِبْ هذا الشخص حينما يكون وحده، وستشعر بغضبه رغم أنّه قد لا يكون غاضبًا على شخص مُعين في ذلك الوقت. إنّ كلّ كيانه ببساطة يطفح بالكراهية والغضب. على العكس من ذلك، إذا رأيتَ شخصًا مُمتلئًا بالمحبة، يُمكنك أن تشعر أنّه يطفح بالمحبة حتى عندما يكون وحيدًا.
إنّ الأزهار التي تتفتح في الغابة تنشر عبيرها سواء كان هنالك شخص يُعجب بها أم لا، وسواء مرّ بجانبها شخص أم لا. إنّ نشر العبير من طبيعة الزهرة، فلا تتوهم أنّ الزهرة تبعث برائحتها من أجلك فقط!.
يجب على الناس أن يمتلئوا بالمحبة، ولا ينبغي أن يعتمد ذلك على «مع مَن يكون هذا الحب».
لكنّ الواقع أنّ المُحبّ يُريد من حبيبه أن يُحبه هو فقط دون سواه. إنّه يقول: «أحببني وحدي»، لكنّه لا يعلم أنّ من لا يُحبّ الكلّ، لا يُمكن أن يُحبّ شخصًا واحدًا. تقول الزوجة لزوجها إنّه يجب أن يُحبّها هي فقط، وألا يُظهر أيّ عاطفة تجاه أيّ شخص آخر، غير أنّها لا تُدرك أنّ هذا النوع من الحب هو حب زائف وأنّها هي التي تسببت في ذلك. كيف يُمكن لزوج لا يمتلئ بالمحبة تجاه الجميع أن يُضمر الحب لزوجته؟.
إنّ المحبة هي طبيعة الحياة، ولا يستطيع الإنسان أن يكون مُمتلئًا بالمحبة تجاه شخص، وخاليًا منها تجاه شخص آخر، ولكنّ البشرية لا تستطيع أن ترى تلك الحقيقة البسيطة، فالأب يطلب من الطفل أن يُحبّه، ولكن هل علمه أن يُحبّ الخادم العجوز الذي في المنزل؟ أليس إنسانًا أيضًا؟ رُبّما يكون الخادم عجوزًا، لكنّه رُبّما يكون أيضًا والد شخص آخر، ولكنّ الأب يعتقد أنّه مُجرّد خادم، وبالتالي لا يعتني بمسألة أن يحترمه الابن أو يُحبّه. إنّ هذا الأب لا يُدرك أنّه حينما يُصبح عجوزًا فسيتذمر كثيرًا عندما لا يُظهر أولاده أيّ عاطفة تجاهه، مع أنّه كان بالإمكان أن يتحوّلوا إلى رجال مُمتلئين بالمحبة لو أنّهم تعلّموا أن يُحبوا جميع الناس، وكانوا عند ذلك سيحترمون أباهم عندما يُصبح عجوزًا أيضًا.
إنّ الحب ليس علاقة بل حالة فكرية. إنّه عنصر أساسي في شخصية الإنسان، ولذلك فإنّ المرحلة الثانية في تعليم الطفل هي تعليمه محبة كلّ شيء، وحتّى إذا لم يُرجع الطفل كتابًا إلى مكانه على نحو مُلائم، يجب لفت نظره إلى حقيقة أنّه من غير اللائق أن يُعيد ذلك الكتاب بتلك الطريقة. إذا تصرّفتَ بوحشية مع كلبك، فذلك يدلّ على عيب في شخصيتك، ويدلّ أنّك خال من المحبة، والإنسان الذي يخلو من المحبة ليس بإنسان على الإطلاق.
أتذكر قصة عن ناسك عاش في كوخ صغير، وذات مرة عند منتصف الليل، كانت السماء تُمطر بشدة، وكان الناسك وزوجته نائمين. وفجأة قُرِعَ الباب، وكان الطارق شخصًا يُريد مأوى.
أيقظ الناسك زوجته قائلاً: شخص ما في الخارج، رُبّما يكون مسافرًا أو صديقًا مجهولاً. هل لاحظتَ كلمتَهُ «صديق مجهول»؟ إنّك لا تُصادق حتّى أولئك الذين تعرفهم، وبذلك كان موقفه موقف شخص مُحب.

قال الناسك: «هناك صديق مجهول ينتظر في الخارج، مِن فضلكِ افتحي الباب».
قالت زوجته: «لا يُوجد مكان يكفينا نحن الاثنين حتّى، فكيف نُدخل شخصًا آخر؟».
أجاب الناسك: «عزيزتي إنّ هذا ليس قصر شخص غني، ولا يُمكن أن يصبح أصغر من ذلك، إنّ قصر الغني سيبدو صغير الحجم إذا وصل إليه ضيف واحد، لكنّ هذا كوخ رجل فقير».
سألت الزوجة: «ما علاقة هذا الأمر بالغني والفقير؟ الحقيقة الواضحة أنّ هذا الكوخ صغيرٌ جدًا!».
قال الناسك: «إذا كان في قلبكِ مُتسع كافٍ فستشعرين أنّ هذا الكوخ قصر، أمّا إذا كان قلبك ضيقًا فحتّى القصر سيبدو صغيرًا. من فضلكِ افتحي الباب. كيف لنا أن نرفض إنسانًا أتى إلى بابنا؟ ما زلنا مُضطجعين لغاية الآن! إنّ ثلاثة أشخاص لا يُمكن أن يستلقوا في هذا الكوخ، ولكن على الأقل يُمكن لهؤلاء الثلاثة أن يجلسوا، فهناك مكان من أجل شخص آخر إذا جلسنا جميعًا.
كان لا بُدّ للزوجة أن تفتح الباب، فدخل الرجل وكان مُبتلاً جدًا، جلسوا جميعًا وبدؤوا بالدردشة.
بعد قليل أتى شخصان آخران وقرعا الباب.
قال الناسك: «يبدو أنّ شخصًا آخر قد أتى»، وطلب من الضيف الجالس قُرب الباب أن يفتحه، فقال الضيف: «هل افتحُ الباب ولا يُوجد مُتسع؟». لقد نسي الرجل ذاته الذي اتخذ من الكوخ مأوى له قبل لحظات قليلة، أنّه لولا وجود محبة الفقير له لما وجد له مكانًا. لقد وجد مأوى لأنّه هناك حب في هذا الكوخ، والآن، جاء أُناس آخرون جُدد ولا بُدّ من أن تستوعب المحبة أولئك الوافدين أيضًا.

فُتح الباب ودخل الوافدان الجديدان، وجلسوا جميعًا مع بعضهم البعض وبدؤوا بالتعارف.
بعد قليل، أتى حمار ونطح الباب برأسه. كان الحمار مُبللاً، وقد أراد المأوى أيضًا هذه الليلة. طلب الناسك من أحد الذين كانوا محشورين عند الباب أن يفتح للزائر الجديد قائلاً: «لقد جاء صديق جديد».
ألقى الرجل نظرة خاطفة إلى الخارج وقال: «هذا ليس بصديق أو أيّ شيء يُشبه الصديق: إنّه مُجرّد حمار، ولا ضرورة لأن نفتح الباب».
قال الناسك: «لعلك لا تُدرك أنّ الفقراء يُعاملون كالحيوانات عند أبواب الأغنياء، لكنّ هذا الكوخ هو كوخ ناسك فقير، ونحن اعتدنا أن نُعامل الحيوانات حتى كالكائنات البشرية، مِن فضلكَ افتَحْ الباب».
اعترض الجميع في وقت واحد قائلين: «ولكنّ المكان...؟»
قال الناسك: «هناك مُتّسع من المكان، وبدلاً من الجلوس، يُمكننا الوقوف جميعًا، فلا تنزعجوا. إذا اقتضَتْ الضرورة، سأخرج كي أُفسح لكم مجالاً كافيًا».
ألا تستطيع المحبة أن تفعل هذا أيضًا؟
من الضروري أن نمتلك قلبًا يمتلئ بالمحبة. إنّ الموقف الودود هو ما ينبغي أن نمتلكه جميعًا.
إنّ الإنسانية تُولد عندما يمتلك الإنسان قلبًا مُحبًا، وبالقلب المُحب يحصل الشعور بالرضا العميق المُبهج. ألم تُلاحظ أنّك عندما تُظهر القليل من المحبة إلى شخص ما، فإنّ موجة عظيمة من الرضا، بل رعشة هائلة من الفرح تتغلغل في كامل كيانك؟ ألم تُدرك أنّ أصفى لحظات الرضا هي تلك التي تأتي في لحظات الحب غير المشروط؟ إنّ المحبة الصافية النقية يُمكن أن تبقى على قيد الحياة إذا لم تكن مغشوشة بالشروط، فالحب المشروط ليس بحب.

ألم تشعر من قبل بالرضا بعد أن ابتسمتَ لغريب في الشارع؟ ألم تتبعه نسمة سلام؟ ليس هناك حدّ لموجة الفرح الهادئ الذي ستشعر به عندما ترفع رجلاً سقط على الأرض، وعندما تسند شخصًا يُوشك أن يسقط، وعندما تُقدم الأزهار إلى شخص مريض، ولكنّك تفعل ذلك ليس لأنّ الشخص أبوك أو لأنّها أُمك. كلا، فقد لا يمتّ لك هذا الشخص بِصِلة مُعينة، ولكن أن تُقدم له هدية ببساطة، فالأمر في حدّ ذاته مُكافأة عظيمة لك، لا بل سعادة عظيمة.
يجب أن يطفح داخلك بالمحبة تجاه النباتات والبشر، وتجاه الغرباء والأجانب، وتُجاه أولئك الذين في طريقهم نحو القمر والنجوم. ينبغي أن تتزايد محبتك على الدوام.
إنّ إمكانية الجنس في حياة الإنسان تقل كلّما ازدادت المحبة في داخله. إنّ المحبة والتأمل سيفتحان ذلك الباب الذي يقود إلى الإله. بالحب والتأمل معًا تُلامس الإله وعند ذلك تُثمر العزوبة في حياة الإنسان، وعند ذلك تصعد طاقة الحياة وقوتها بأكملها عبر ممر جديد، ولا تتسرب بعد ذلك تدريجيًا ولا تتقهقر أبدًا. إنّ الطاقة تصعد إلى الأعلى من داخل الإنسان في رحلة نحو السماء. أمّا في الوقت الحاضر فرحلتنا هي نحو المُستويات الأدنى، إذ أنّ الطاقة بحُكم طبيعتها تتدفق باتجاه الأسفل، باتجاه الجنس، بينما تصعد العزوبة في رحلة نحو الأعلى، وتكون المحبة والتأمل هما مُكونا العزوبة الأساسيان.
غدًا سنتحدث عمّا نُحققه من خلال العزوبة، وماذا نكسب من خلالها؟ وإلى أيّ ارتفاعات تقودنا؟.
لقد حدثتُكم اليوم عن شيئين: الحب والتأمل. لقد قلتُ إنّ التدرب يجب أن يبدأ من الطفولة، ولكن لا ينبغي أن تستنتج من هذا أنّه نظرًا لأنّك لم تعُدْ طفلاً، فلم يبقَ لك شيء تفعله. في تلك الحالة ستذهب كلّ مساعيي سُدى!. مهما كان عمرك، يُمكنك البدء بهذا العمل الجيد في أيّ يوم مِن حياتك. وبالرغم من أنّ الأمر يُصبح أصعب مع تقدم العمر، إلا أنّك تستطيع البدء في هذه الرحلة في أيّ وقت من حياتك. من الأفضل أن تبدأ الرحلة في مرحلة الطفولة، ولكن مع هذا يُمكنك البدء في أيّ مرحلة من حياتك، بل يُمكنك أن تبدأ اليوم. إنّ الأشخاص كبار السن الراغبين بالتعلم، والذين لديهم استعداد من أجل التعلم، هم أطفال حتى لو كانوا كبارًا في السن، ويُمكنهم أن يبدؤوا من جديد وأن يتعلموا إذا لم يعتبروا أنفسهم يعرفون كلّ شيء أو أنّهم حققوا بالفعل كلّ ما يرغبون فيه.
كان عند «بوذا» تلميذ مُكرّس منذ سنين عديدة، وذات يوم سأله بوذا: «أيها الراهب كم عمرك؟».
أجاب الراهب: «خمس سنوات».
دُهش «بوذا» وقال: «خمس سنوات؟ إنّك تبدو في السبعين على الأقل. أيّ جواب هذا؟».
أجاب الراهب: «أنا أقول هذا لأنّ شعاع التأمل دخل حياتي منذ خمس سنوات مضت، وغمر الحب حياتي في السنين الخمس الماضية فقط. أمّا قبل ذلك فقد كانت حياتي مثل الحُلم، لقد كنتُ في الحقيقة نائمًا، وعندما أحسب عمري، فأنا لا أحسب تلك السنين، كيف لي أن أفعل هذا؟ لقد بدأت حياتي الحقيقة منذ خمس سنوات فقط، وعمري الآن هو خمس سنوات فقط».
طلب «بوذا» من كلّ تلامذته أن يُدونوا جيدًا إجابة هذا الراهب.
ينبغي أن تحسب عمرك بهذه الطريقة، فهذا هو المعيار في احتساب العمر. إذا لم يُولد الحب والتأمل في داخلك بعد، فإنّ حياتك حتّى الآن لم تبدأ ولا وجود لها، أنت لم تُولد بعد. بيد أنّه لم يفُتْ الأوان إلى درجة أنّك لا تستطيع البدء من جديد، علينا جميعًا أن نُكافح من أجل حياة أرقى ولم يفُتْ الأوان بعد من أجل هذا.

من أجل ذلك لا تستنجوا من كلماتي أنّ هذا الكلام ينطبق على أجيال المستقبل فقط وأنّكم تجاوزتم مرحلة الطفولة، فلا يُوجد إنسان سار في طريق خاطئة ولا يستطيع العودة إلى جادة الصواب، ولا يُوجد إنسان ضال إلى درجة أنّه لا يُمكنه أن يستفيد من النور الحقيقي.
على سبيل المقارنة فإنّ هذه الرحلة لا تتطلب الكثير من السعي، فعائدات النجاح والرضا عند حصول الاستنارة تفوق كثيرًا أيّ جُهد تبذله. إنّ مُجرّد لمحة من ذلك الشعاع النوراني، وتلك البهجة وتلك الحقيقة تمنحنا شعورًا أننا حققنا الكثير بمجهود قليل، وتُظهر لنا أننا أحرزنا أشياء ثمينة بالفعل مُقابل جهد تافه جدًا.
مِن فضلكم لا تفهموا كلماتي على نحو خاطئ، هذا هو طلبي المُتواضع منكم جميعًا.

الفصل الرابع:
الجنس والذرة الفائقة

30/ 09/ 1968
في مدرسة قرية صغيرة، كان المُدرس يروي للأطفال قصة «راما»، وكان جميع الطلاب تقريبًا يكادون يغفون، ولم يكن هذا الأمر غريبًا عندما تُسرد قصة «الرامايانا»، فحتّى البالغون ينتابهم النعاس في مثل هذه الأوقات، فالقصة التي أُلقيت وأعيد إلقاؤها مرات كثيرة قد فقدت مغزاها ولم يعُدْ فيها عنصر التشويق.
سرد المدرس القصة على نحو آلي، ولم يكن هناك حتّى القليل من الارتجال أثناء فتحه الكتاب الذي أمامه، لا بل حتّى المُراقب من الخارج كان بإمكانه رؤية المُدرس وهو يغفو أيضًا. لقد حفظ القصة عن ظهر قلب وكان يسرد الأحداث كالببغاء، ولم يكن مُدركًا أبدًا ما يقول. إنّ الشخص الذي يحفظ شيئًا عن ظهر قلب لا يُمكن أن يعرف أبدًا معنى ما يتلفظ به.
فجأة حصل هياج في الصف، ودخل المُفتّش، وأصبح التلاميذ كلّهم في حالة انتباه وكذلك المدرس الذي تابع إلقاء الدرس.
قال المُفتش: «إنني سعيدٌ لرؤيتكم تدرسون «الرامايانا»، وسأسأل التلاميذ سؤالاً عن «رامايانا»، من المُفترض أن يتذكر التلاميذ بسهولة قصص الأشياء المكسورة والمعارك، ولذلك سأسأل سؤالاً بسيطًا، أخبروني مَن الذي كسر قوس «شانكارا»؟».
رفع أحد التلاميذ يده وقال: «المعذرة سيدي، أنا لم أكسر القوس، فقد كنتُ غائبًا مُدة خمسة عشر يومًا، ولا أعرف أيضًا مَن كسره، أنا أُريد أن أُوضح هذا الأمر الآن، لأنّه كلّما حدث شيء في هذه المدرسة، أكون أول من يُلام على ذلك».
نزل هذا الكلام على رأس المفتش مثل الصاعقة، وتحوّل إلى المُدرس الذي كان على وشك أن يرفع عصاه وسمعه يقول: «هذا المُؤذي هو الجاني بالتأكيد، فهو أسوأ تلميذ في الصف هنا». ثمّ صرخ في الولد قائلاً: «إذا لم تكن قد فعلت ذلك، لماذا أفقتَ من غفوتك وقلتَ إنّك لم تفعلها؟»، ثمّ التفت إلى المُفتش قائلاً: «إيّاك أن يخدعك هذا الولد بكلامه المعسول!».
فكّر المُفتش أنّه من الأفضل عدم قول أيّ شيء، فاستدار وترك الصف ببساطة، ولكنّه كان غاضبًا، فذهب مُباشرة إلى مكتب مُدير المدرسة وروى له الحادثة بالكامل، وطلب معرفة ما يعتزم المُدير فعله بهذا الشأن.
ألحّ المُدير على المفتش ألا يُلاحق المسألة أكثر من اللازم، وشرح له أنّه من الخطير قول أيّ شيء للتلاميذ هذه الأيام، ثمّ أضاف: «لا يهمّ من الذي كسر القوس، أرجو أن تتجاهل الأمر. لقد حققنا السلام في المدرسة في الشهرين الماضيين، بينما حطّم التلاميذ قبل ذلك الكثير من الأثاث وأحرقوه. من الأفضل المُحافظة على الهدوء، لأنّ قول أيّ شيء لهم هذه الأيام سيُحرضهم على إحداث مُشكلة خطيرة، وسيكون هنالك في أيّ لحظة إضراب وصوم حتى الموت!».
صُعِقَ المفتش، وكان في حالة ذهول تام، فذهب إلى مجلس إدارة المدرسة وأخبرهم بكلّ ما حدث، أخبرهم كيف أنّ قصة «الرمايانا» كانت تُدرّس في الصف، وأنّ ولدًا قال إنّه لم يكسر قوس «شانكارا»، وروى لهم ما قاله المُدرس إنّ ذلك الولد لا بُدّ أن يكون هو الجاني، وكيف توسّل إليه المُدير كي يتجاهل الأمر، وأنّه لا يهمّ مَن الذي كسر القوس، وأنّه من غير الحكمة مُلاحقة هذا

الأمر، وأنّ هناك خوف كبير من الإضراب، وإلى آخره. ثمّ طلب المفتش من رئيس مجلس الإدارة أن يقول رأيه.
قال رئيس مجلس الإدارة إنّه شعر أنّ الناظر كان ذكيًا في سياسته، ثمّ أضاف: «علاوة على ذلك، لا تنزعج مِن الجاني، بغضّ النظر عمّن كسر القوس، فإنّ اللجنة ستقوم بإصلاحه، من الأفضل إصلاحه على أن نتعمق في البحث عن السبب».
كان المُفتش مُشمئزًا بالكامل من الوضع، ونقل لي ما حصل معه. قلتُ له إنّه لم يكن هناك شيئًا جديدًا أساسًا في قصته، وإنّه عيب إنساني شائع أننا نتفاخر بأشياء لا نعرف أيّ شيء عنها مُطلقا.
لا أحد يتذكّر الجزء الذي يتحدث عن كسر قوس «شانكارا». ألم يكن من الأفضل لو سأل مَن هو «شانكارا»؟. إنّ الحقيقة هي أنّه ليس هنالك أحدٌ مُستعدٌ أن يعترف بجهله ولا أحد يتجرأ على ذلك.
هذا أكبر مأزق في تاريخ البشرية، وهذا الضعف دليل على الانتحار، فنحن نتصرف كما لو أننا نعرف كلّ شيء، وبالنتيجة تتشوش حياتنا. إنّ كلّ أجوبتنا على جميع مشاكل حياتنا تُشبه تلك الأجوبة التي أعطاها الولد، والتي أعطاها المدرس، والناظر، ورئيس مجلس إدارة المدرسة. إنّ مُحاولة الإجابة دون فهم السؤال تجعل الإنسان أحمقًا، ويكون الأمر مُجرّد خداع ذاتي محض.
إضافة إلى ذلك، هناك حالة من عدم المبالاة، فقد يسأل الإنسان بلا مبالاة: «هل سيحلّ علينا غضب جهنّم إذا لم نعرف مَن كسر قوس «شانكارا»؟».
بيد أنه على نقيض هذه الحكاية السخيفة، هناك ألغازٌ أكثر عمقًا في الحياة، ويعتمد على حلها المُناسب ما إذا كانت الحياة جديرة بالاحترام أم لا، وما إذا كانت الحياة مُتناغمة وتسير في منحى التقدم الصحيح أم لا، وهلمّ جرا. إننا نظنّ أننا نعرف الأجوبة، لكنّ النتائج تُظهر كم كان إدراكنا لحقيقة الحياة غير دقيق بالفعل، ذلك أنّ حياة كلّ واحد منا تُظهر أننا لانعرف مُطلقًا أيّ شيء عن الحياة، وإلا لماذا يُوجد الكثير من اليأس، والكثير من البؤس، والكثير من القلق؟.
أنا أقول الشيء ذاته فيما يتعلق بمعرفتنا عن الجنس. إننا لا نعرف أيّ شيء عنه. رُبّما لا تُوافقني على هذا الرأي، ورُبّما تقول: «من الجائز جدًا أننا لا نعرف أيّ شيء عن الروح وعن الإله، ولكن كيف تقول إننا لا نعرف شيئًا عن الجنس؟»، ومِن المُحتمل أن تُجيب أنّه لديك زوجة وأطفال، ومع ذلك أتحداك وأقول: «إنّك لا تعرف شيئًا عن الجنس»، على الرغم من صعوبة أن تُوافقني على ما أقول. قد تكون مررتَ بتجارب جنسية، ولكنك لا تعرف عن الجنس أكثر ممّا يعرفه الحيوان، لأنّ القيام بعملية ما بصورة آلية ليس كافيًا من أجل معرفتها.
قد يقود الإنسان سيارته ألف ميل، ولكنّ ذلك لا يعني بالضرورة أنّه يعرف أيّ شيء عن المُحرّك، رُبّما يسخر مِن كلامي ويقول: إنّه قاد السيارة ألف ميل، غير أنني لا أزال أُجازف باتهامه أنّه لا يعرف شيئًا عن السيارة، وأُكرر: إنّ قيادة السيارة أمرٌ يختلف عن معرفة آليتها الداخلية.
إنّ الإنسان يضغط على المفتاح فيُشعِل الضوء، ثمّ يضغط مُجددًا فينطفئ، لقد فعل ذلك آلاف المرات، ولكن لا يُمكنه أن يقول إنّه يعرف كلّ شيء عن الكهرباء، لأنّه يستطيع تشغيل الضوء أو إطفاءه حسب رغبته. سنقول إنّه أحمق، لأنّ الطفل حتّى يُمكنه تشغيل الضوء وإطفاءه، ولا يتطلب ذلك معرفة بالكهرباء.
إنّ أيّ شخص يُمكنه أن يتزوج، وأيّ شخص يُمكنه إنجاب الأولاد، ولا علاقة لهذا بفهم الجنس، فالحيوانات تتكاثر، ولكنّ ذلك لا يعني أنها تعرف شيئًا عن الجنس.
إنّ حقيقة الأمر هي أنّ الجنس لم يُدرّس على نحو علمي، ولم ينشأ علم أو فلسفة للجنس لأنّ الجميع يعتقد أنّه يعرف عن الجنس. في الحقيقة، لم يسبق لأحد أن شعر بالحاجة إلى وجود كتاب

مُقدس عن الجنس، وهذا خطأ فادح ارتكبته البشرية.
عندما يأتي اليوم الذي نضع فيه كتابًا مقدسًا، أو نُطوّر علمًا أو نظام تفكير كامل عن الجنس، فسيكون هنالك جنس بشري جديد، وعند ذلك لن يكون هناك حاجة إلى إنجاب مثل هذه الكائنات البشرية البشعة والضعيفة والعرجاء التي لن نعود نراها على هذه الأرض.

إننا لم نذهب عميقًا في موضوع الجنس أبدًا، ولم نعكف أبدًا على دراسة المُمارسة الجنسية، ولم نُحاول الوصول أبدًا إلى زر تشغيلها وإطفاءها، كما لم نتأمل فيها مطلقًا، وذلك بسبب وهم أننا نعرف كلّ ما يجب علينا معرفته. عندما يعرف الجميع كلّ شيء فما الحاجة إلى دراسة الموضوع؟. في الوقت نفسه، أودّ أن أقول إنّه لا يُوجد سر أو موضوع في هذا العالم، أو في الحياة في حدّ ذاتها أعمق من موضوع الجنس.
لقد تعلمنا شيئًا في الآونة الأخيرة عن الذرة، ومرّ العالم بتغيرات هائلة، ولكن حينما ننجح في معرفة «ذرة» الجنس بالكامل، فستدخل البشرية في عصر جديد من الحكمة. في الحقيقة يستحيل التنبؤ بأهمية وعظمة ما يُمكن أن نصل إليه من رقي عندما نُدرك عملية وطريقة خلق الحياة. بيد أنّ هناك شيء واحدٌ يُمكن قوله على وجه التأكيد: إنّ الجنس هو الأكثر غموضًا والأكثر قيمة، وفي الوقت نفسه، هو الموضوع الأكثر لعنة عندما نكون في ظلمة حالكة بشأن معرفته، ولكننا لم نُولِ هذه الظاهرة الهامة أيّ اهتمام، فالإنسان يمضي في روتين الجماع طوال حياته دون أن يعرف ماهيته.
عندما تحدثتُ في البداية عن الفراغ وتلاشي الأنا وحالة اللا تفكير، فإنّ الكثير من الأصدقاء لم يقتنعوا بهذا، وبعد ذلك قال لي أحدهم: «إنني لم أفكر بذلك من قبل، ولكن ما تقوله قد حدث». ثمّ جاءت سيدة وقالت لي: «لم أُدرك هذا على الإطلاق، ولكن عندما تحدثتَ عن هذا الأمر، تذكرتُ أنّ دماغي أثناء المُمارسة الجنسية قد يُصبح ساكنًا ومُكتفيًا، ولكنني لم أشعر مُطلقًا بتلاشي الأنا، أو بأيّ تجارب عميقة». في الحقيقة من الجائز أنّ الكثيرين لم يُفكّروا بهذا من قبل، وبالتالي اسمحوا لي أن أُفصّل بضعة نقاط.
في المقام الأول: لا يُولد الإنسان وعنده معرفة مُسبقة في علم الجنس، فالأشخاص الذين يحتفظون بانطباعات عن العديد من حيواتهم السابقة هم أشخاص نادرون، وكذلك هم نادرون أولئك القادرون على فهم فن الجنس على نحو كامل، وفهم استراتيجيته ومعرفة تعقيداته. هذه هي الأرواح التي يُمكنها تحقيق مرحلة العزوبة الحقيقية. فالشخص الذي يعرف حقيقة الجنس والمعنى المتضمن فيه على نحو كامل، يُصبح الجنس عديم الفائدة بالنسبة إليه، ويستطيع أن يمرّ به ببساطة ويتجاوزه، ولكن ليس من عادتنا أن نُناقش الجنس مع هؤلاء الذين حققوا أساسًا عملية التجاوز. إلى جانب هذا، فإنّ هؤلاء الذين حققوا نقاء العزوبة، يتحدثون بالكاد عن ولاداتهم وحيواتهم السابقة.
إنّ العازب المثالي هو وحده مَن يستطيع كشف الحقيقة الكاملة حول الجنس والألوهية. لأنّ المُنغمسين في الشهوات الحسية لا يُدركون أيّ شيء دقيق أو شيء أثيري، وبسبب جهلهم، فقد انغمست حيواتهم في الشهوانية حتّى النهاية. لقد قلتُ سابقًا إنّ الحيوانات لديها مواقيت مُحددة من أجل التناسل، ولديها مواسم مِن أجل التكاثر، وهي تنتظر ظهور النزوة والشهوة، بينما نجد أنّ الإنسان ليس لديه أيّ وقت مُحدد من أجل هذا الأمر. لماذا؟ لأنّ الحيوان، بخلاف الإنسان، يتواجد في أعمق طبقة من الجنس.

إنّ الذين بحثوا في الجنس ومضوا عميقًا في فهمه، وتأمّلوا في تجارب الحياة المتنوعة، استنتجوا أنّه إذا استمرّ الجماع مُدة دقيقة واحدة فقط، فإنّ الإنسان سيرغب في الجماع مُجددًا في اليوم التالي، ولكن إذا طالت المدة إلى ثلاث دقائق فلن يُفكر بالجنس مُدة أسبوع. لقد لاحظوا بالإضافة إلى ذلك، أنّه إذا أمكن إطالة مدة الجماع إلى سبع دقائق، فسيتحرر مِن التفكير بالجنس ومن الشعور بالحاجة إليه مُدة ثلاثة أشهر قادمة، وإذا أمكن أن يُطيل مُدة المُمارسة إلى ثلاث ساعات، فسيتحرر الإنسان من الجنس إلى الأبد، ولن يرغب فيه مرة أخرى أبدًا!.
إنّ تجربة الإنسان مع الجماع تكون عمومًا لحظات قصيرة، ومن الصعب حتّى تخيل فترة ثلاث ساعات من المُمارسة الجنسية. على الرغم من ذلك، أُكرر: إذا أمكن أن يبقى الإنسان في وضع الجماع، ويبقى في ذلك «السامادهي»، وذلك الانغماس مُدة ثلاث ساعات، فإنّ مرة فقط من تلك المُمارسة تكفي كي يتحرر من الجنس بقية حياته، لأنّها تُخلّف وراءها مقدارًا كبيرًا من الرضا والسعادة يستمرّ طوال العمر. إنّ عملية جماع مثالية كافية كيلا يعود هناك حاجز أمام تحقيق عزوبة حقيقية.
إننا بعد عمر من تجربة الجنس، لا نقترب من أيّ نقطة من المرحلة العليا ومرحلة الربانية. لماذا؟ لأنّ الإنسان يصل إلى سن طاعنة، وإلى نهاية حياته وهو غير خال أبدًا من شهوته إلى ممارسة الجنس ومن حبه للجماع. لماذا؟ لأنّه لم يفهم الجنس أبدًا، ولم يُخبره أحدٌ شيئًا عن فن الجنس، وعن علم الجنس، ولم يدرس الجنس مُطلقًا ولم يُناقشه مع شخص مُستنير.
ربما تكون متشككًا في أن يقدر الإنسان على إطالة التجربة التي عادة تكون مدة لحظة، إلى ثلاث ساعات، من أجل ذلك سأُقدّم لك بعض النصائح، التي لو أصيغتَ لها فستُصبح الرحلة إلى العزوبة أبسط.
كلّما كان تنفس الشخص أسرع كانت مُدة الجماع أقصر، وكلما كان تنفسه أهدأ وأبطأ كانت فترة الجماع أطول، وكلّما كانت فترة الجماع أطول ازدادت امكانية جعل الجنس مدخلاً إلى «السمادهي»، وامكانية من أجل الوصول إلى الوعي الأسمى. كما قلتُ سابقًا، إنّ تحقيق تلاشي الأنا وتلاشي الزمن سيحصل مع الشخص الذي يصل إلى «سامادهي» الجنس. من أجل ذلك يجب أن يكون التنفس بطيئًا جدًا، لأن بطء التنفس سيفتح أفاق تحقيق الفهم أعمق فأعمق.
ينبغي أن تتذكّر شيئًا آخر أثناء عملية الجماع، وهو أنّ انتباهك يجب أن يتركز بين العينين في شاكرا «أجنا» أي مركز الطاقة في مركز الجبين. إذا تركّز الانتباه في تلك النقطة، فإنّ مُدة الجماع يمكن أن تطول حتّى إلى أكثر من ثلاث ساعات، وهذا النوع من الجماع يُمكن أن يغرس الإنسان في تربة العزوبة بإحكام، ليس فقط في هذه الحياة، بل في الحياة التالية أيضًا. لقد كتبت لي سيدة تقول أنّ «فينوبا» كان عازبًا، وهي تسأل عمّا إذا كنتُ أُوافقها الرأي أنّه رُبّما لم يختبر حالة «السامادهي» أبدًا، ثمّ تُتابع قائلة: إنّه نظرًا لكوني عازب وغير متزوج، فلم أختبر أنا أيضًا حالة «السامادهي». أرغب أن أقول لتلك السيدة: إنّه لا «فينوبا»، ولا أنا، ولا أيّ شخص يُمكن أن يُدرك معنى العزوبة دون تجربة جنس حقيقية، وأُريد أن أقول لها أيضًا: إنّ هذه التجربة قد تكون في هذه الحياة أو في حياة سابقة، والشخص الذي يُحقق العزوبة في هذه الحياة، يكون هذا بسبب أنّه حصل على اتحاد جنسي عميق في حياة سابقة، وليس بسبب أيّ شيء آخر، وهذا هو التفسير الوحيد. إذا حصل الإنسان على اختبار جنسي عميق في حياة سابقة، فسيُولد شخصًا مُتحررًا من الجنس في هذه الحياة، ولن يُشوشه الجنس حتّى في خياله، بل على العكس من ذلك، سيُفاجأ بسلوك

الآخرين الذي ينتهجونه حيال الجنس، وسيكون مذهولاً من جنون الناس من أجل مُمارسة الجنس، وهذا الشخص سيبذل جهدًا كبيرًا كي يُميّز بين الرجل والمرأة.
إذا تخيّل الإنسان أنّه يستطيع ببساطة أن يكون عازبًا منذ طفولته، وأنّه يستطيع أن يبقى عازبًا دون أيّ تجربة جنسية، فسيُصبح شخصًا مريضًا بالعصاب. إنّ أولئك الذين يعزفون دائمًا على وتر العزوبة، ويصرخون بأعلى صوتهم من أجل التقيّد بالعزوبة، يتسببون في تحطيم وتفكك الإنسان إذ لا يُوجد شيء أكثر تحطيمًا للإنسان من هذا. إنّ العزوبة لا يُمكن أن تُفرض عنوة، بل تأتي نتيجة تجربة داخلية. إنّ العزوبة «براهماتشاريا» هي نتيجة تجربة عميقة وهادئة، وهذه التجربة ما هي إلا مُمارسة الجنس. إذا حصل الإنسان أثناء مُمارسة الجنس على إلهام مُطلق ولو مرة واحدة، فسينعتق من أسر الجنس في رحلة حياة لا تنتهي.
لقد تناولتُ لغاية الآن عاملين من أجل الحصول على تجربة جنسية مُطلقة: الأول: يجب أن يكون التنفس ضحلاً جدًا بحيث يكون غير موجود تقريبًا، والعامل الثاني هو التركيز على شاكرا الجبين، أي على النقطة التي تقع ما بين العينين، وكلّما تركّزَ وعي الشخص أكثر على النقطة ما بين العينين، أصبح الجماع عنده عميقًا تلقائيًا، وستكون مُدة الجماع مُتناسبة طردًا مع بطئ التنفس. بعد ذلك ستُدرك للمرة الأولى أنّ الانجذاب والتوق ليس إلى الجماع في حدّ ذاته، بل بسبب قوة «السمادهي» المغناطيسية الجاذبة. إذا أمكنك أن تصعد إلى تلك المرتفعات وأمكنك أن تلمح ذلك التألق، فسيُضيء طريقك إلى المستقبل.

إنّ الإنسان الذي حصل على لمحة من «السمادهي» في الجنس مهما كانت عابرة، سيعرف على الفور الفارق بين الداخل والخارج، بين الحرية والسجن. لكننا بطريقة ما، وُلدنا جميعًا في حُجرات ضيقة قذرة ومُظلمة، ومن الضروري أن نُدرك أنّ العالم الخارجي موجود، وهذه المعرفة تُلهمنا في النهاية كي نطير إلى الخارج. إنّ الشخص الذي لا يفتح النافذة، ويجلس في ركن قائلاً إنّه لا يُريد أن يعرف شيئًا عن البيت القذر، لا يُمكنه أن يُغيّر من وضعه قيد أنملة، ويبقى في البيت القذر إلى الأبد.
إنّ مَن يدّعي العزوبة هو شخص مسجون في حجرة الجنس مثل أيّ شخص آخر، والفرق الوحيد بينه وبينك هو أنّه لديه موقف مُنغلق في حين أنّ عيونكم مفتوحة. إنّ ما تفعله جسديًا يفعله هو عقليًا. علاوة على هذا، فإنّ الفعل الجسدي هو فعل طبيعي، لكنّ التخيلات بديلة الفعل الجسدي هي الفساد بعينه. لذلك أحثّكَ على ألا تكون ضدّ الجنس، بل أن تُحاول فهمه بتعاطف، وأن تمنحه وضعًا مُقدسًا في حياتك. لقد ناقشنا إلى الآن شيئين مُهمّين. أمّا الشيء الثالث المُهمّ الذي يجب أن تتذكره فهو نظرتك إلى الجنس. إنّ الإنسان أثناء الجماع يكون قريبًا من الإله الذي يتواجد في فعل الخلق الذي يبعث حياة جديدة، وبالتالي فإن موقفه يجب أن يكون كمَن يذهب إلى معبد أو كنيسة. في ذروة النشوة، نكون أقرب إلى الأعلى، ونُصبح أدوات تنقل حياة جديدة إلى حيز الوجود، كيف نُساهم في خلق الأطفال؟ في لحظات الجماع نكون أقرب إلى الخالق ذاته، فيُحوّلنا ظله إلى صُنّاع أيضًا. إذا نظرنا إلى الجنس بعقلية نقية وباحترام وتقديس، فسنحصل على لمحة من الخالق.
لكننا مع الأسف، ننظر إلى الجنس نظرة لا مبالية، ونشعر بالذنب، ونُخفق في الإحساس بوجود الخالق المبدع. في الحقيقة لا ينبغي أن يقترب الإنسان من الجنس عندما يكون متألمًا، أو مغتاظًا، أو بدافع الغيرة أو السخط، ويجب ألا يقترب مِن الجنس وهو مُمتلئ بالهموم أو في جو غير نظيف. أمّا التصرف المُعتاد عند الناس فهو عكس ذلك تمامًا، فكلما امتلأ الشخص بالغضب أو

الحزن أو الإحباط أو القلق أو اليأس، لجأ إلى مُمارسة الجنس. إنّ الشخص السعيد لا يجري وراء الجنس، ولكنّ الإنسان الحزين يفعل ذلك لأنّه يرى فيه مهربًا مثاليًا من تعاسته. تذكّرْ، إذا اقتربت من الجنس بدافع المرارة أو الهياج أو الإدانة أو بدافع الكآبة، فلن تحصل أبدًا على ذلك الرضا وذلك الإنجاز الذي تتعطش له روحك بالكامل.
إنني أشجعك على الاقتراب من الجنس عندما تكون مُبتهجًا، ومُمتلئًا بالحب، وأخيرًا وليس آخرًا، عندما تكون مُمتلئًا بالصلاة، وعندما تشعر أنّ قلبك مُمتلئ بالفرح والسلام والامتنان، عندئذ فقط ينبغي أن تُفكّر بالجماع. إنّ الإنسان الذي يقترب من الجماع على هذا النحو يُمكن أن يُحقق التسامي والإدراك النهائي، بل إنّ مرة واحدة مِن مُمارسة الجنس على هذا النحو تكفي كي يتحرر الإنسان من الجنس إلى الأبد، إذ يستطيع من خلال تجربة واحدة أن يكسر الحاجز ويدخل دائرة «السمادهي».
إنّ الطفل يخرج من رحم أمه وهو في محنة كبيرة، ويُشبه الأمر اقتلاع شجرة من التربة، فكلّ كيانها يتوق إلى العودة إلى الأرض، لأنّ ارتباطها بالأرض يعني حياتها وحيويتها وغذاءها. عندما تُقتلع الشجرة تصرخ كي تعود، لأنّها الآن مفصولة عن خط الحياة. كذلك الطفل يُقتلع من عالمه حينما يخرج من رحم أمه، ولذلك ترغب روحه وكيانه بأكمله بالاتحاد مُجددًا مع الأم، مع المصدر. إنّ هذا التوق هو التعطش إلى الحب. أيّ شيء نعني بكلمة حب غير ذلك؟.
إنّ جميع البشر يُريدون الانغماس في منح الحب والحصول عليه، وكلّ شخص يُريد الاتحاد مُجددًا مع مجرى الحياة، ويأتي ذلك الاتحاد من خلال تحقيق الفعل الجنسي، ومن خلال الجماع، ومن خلال اتحاد الرجل والمرأة. إنّ الجنس هو إعادة تجربة الوحدة الأصلية. إنّ اقتران الرجل والمرأة فيه مغزى عميق جدًا، إذ تتبخر الأنا في هذا الاندماج بين كائنين بشريين، والشخص الذي يفهم جوهر هذا الاتحاد، وجوهر هذا التوق إلى الحب وإلى التوحد، يُمكن أن يفهم أيضًا معنى نوع آخر من الوحدة، وهو اتحاد اليوغي، اتحاد الزاهد، اتحاد القديس، اتحاد المُتأمّل. إنّ الشخص الذي اتحد في الجماع أيضًا، تندمج هويته مع هوية الشخص الآخر ويُصبحان شخصًا واحدًا. في حال «السمادهي» يتحد الإنسان مع الكون بأكمله ويُصبح هو والكون واحدًا. عند مُمارسة الجنس يندمج شخصان، أمّا في حال «السمادهي» فإنّ الشخص يفقد هويته ويُصبح هو والكون واحدًا. إنّ اللقاء بين شخصين هو لقاء مؤقت، لكنّ اتحاد الإنسان مع الكون هو اتحاد أبدي.
إنّ أيّ شخصين هما كائنان محدودان، ولذلك فإنّ اتحادهما لا يُمكن أن يكون غير محدود، ولا يُمكن أن يكون أبديًا، إذ يُؤثّر على ذلك الاحتكاك والقيود الزوجية والحب الجسدي، وبالتالي لا نستطيع أن نتّحِد إلى الأبد، فنحن نجتمع لحظة الذروة، ولكن بعد ذلك ننفصل مرة أخرى والانفصال مُؤلم، ولهذا السبب يبدو العشاق في حالة يأس مستمر، ويبدو الشخص الآخر هو المسؤول عن شعور الإحباط هذا، وعن الإحساس بالوحدة، وبعدها تندلع الثورة في هذه العلاقة.
يقول ذوو المعرفة: إنّه يُمكن أن يلتقي شخصان «لديهما في الأساس هويتان مُختلفتان» على نحو مُؤقت، غير أنّه لا يُمكنهما أن يبقيا مُلتحمين إلى الأبد حتّى روحيًا، ومن هذه العاطفة الجامحة يظهر النزاع بين العشاق، ويبدأ كلّ منهما بازدراء الآخر، ويتسلل إليهما التوتر والشقاق والإحساس بالنفور والاغتراب، لا بل حتى الإحساس بالكراهية، وذلك بسبب أنّ أحدهما يتخيل أنّ الآخر رُبّما لا يرغب به، وبالتالي فإنّ الاندماج ليس كاملاً. غير أنّه لا يُمكن إلقاء اللوم في هذا النقص على أيّ فرد، فالبشر كائنات محدودة، وبالتالي فإنّ اندماجهم محدود أيضًا، ولا يُمكن أن يدوم إلى الأبد.

إنّ الالتحام الأبدي لا يكون إلا مع الإله فقط، مع «براهما»، مع الوجود. إنّ أولئك الذين يُدركون رهافة ودقة الجماع يعرفون أنّ الإتحاد لحظات مع شخص يُمكن أن يُعطي الإنسان سعادة غامرة، فكيف يكون الحال نتيجة اللقاء مع الأبدي؟. إنّ الشخص العادي لا يُمكنه حتّى تخيّل ذروة النشوة تلك، فهي شيء مذهل، وشيء أثيري يتجاوز حدود الكلمات، إنّها سعادة أبدية.
لنفترض أنّك تجلس أمام شمعة، كي تتخيل الفارق بين ضوء الشمعة وبين ضوء الشمس. ستجد أنّ المقارنة مُستحيلة ولا أمل فيها، فالشمعة هي مُجرّد شيء صغير الحجم، أمّا الشمس فكبيرة جدًا، وهي أكبر من أرضنا بستين ألف مرة، ومع أنّها بعيدة عنا حوالي ثلاثة وتسعون مليون ميل إلا أنّها تُدفئنا وتلفحنا بحرارتها العالية، وبالتالي كيف يمكن أن نُقدّر الفارق بين ضوء الشمعة وضوء الشمس؟.
بغض النظر عن الأرقام الفلكية، يُمكننا رياضيًا إحصاء الفارق، لأنّ كلتاهما تقعان ضمن نطاق المعرفة الإنسانية. يُمكن التحقق من الفارق بين الشمعة والشمس، ولكن يستحيل حساب الفارق بين نشوة هزة الجماع، وبين سعادة «سمادهي» الأبدية. إنّ اللقاء الجنسي بين كائنين زائلين هو لقاء مسعور محموم، أمّا في الاتحاد مع الكون فيفقد المرء ذاته مثل قطرة الماء التي تقع في المحيط. فلا مجال للمقارنة ولا تُوجد وحدة من أجل قياس حجم هذا الاتحاد.
هل سيتوق المرء إلى مُمارسة الجنس بعد أن يلمس هذه السعادة؟ هل سيُفكّر في هذه المُتعة الزائلة العابرة بعد أن حصل على المحيط الخالد الأبدي؟ إنّ لمحة من الأبدية تُقنع الإنسان أنّ المتعة الحسية لا معنى لها، بل على العكس، إنّها ضرب من الجنون. بعد الحصول على لمحات من الأبدية تُصبح عواطف الإنسان الحالية عواطف بغيضة ومصدر العذاب والألم، وتبدو مُجرّد قناة تصريف نخسر فيها الطاقة. إنّ حصول الإنسان على مثل هذا اليقين يجعله في طريقه نحو الهدف المنشود إلى العزوبة ذاتها.
إنّ الطريق طويلة مابين الجنس و«السامادهي» التي هي الهدف النهائي، وما الجنس إلا مُجرّد خطوة أولى. أنا أُريد الإشارة إلى أنّ هؤلاء الذين يرفضون الاعتراف بالخطوة الأولى، بل يرفضونها، لا يُمكنهم الوصول حتّى إلى الخطوة الثانية، ولا يُمكنهم أن يتقدّموا على الإطلاق. من المُهمّ اتخاذ الخطوة الأولى بوعي وتفهم وإدراك وحذر، فالجنس ليس غاية في حدّ ذاته بل هو بداية، ولكي نتقدم سيتطلب الأمر منّا اتخاذ المزيد والمزيد من الخطوات.

إنّ تقدير الموسيقى الرقيقة يُمهّد الطريق إلى الموسيقى الخالدة، وتجربة الشمعة الخافتة تقودنا إلى النور النهائي، ومعرفة قطرة الماء مُقدمة من أجل معرفة المُحيط.
إنّ معرفة الذرة يُمكن أن تكشف أسرار جميع القوى المادية، ورغم أنّ الطبيعة منحتنا ذرة صغيرة من الجنس ولكننا لم نفهمها على الإطلاق، بل لم نعترف بها كليًا، وذلك لأننا لم نمتلك وضوح الفكر ولا الإحساس بالسرّ كي نتعرف عليها ونفهمها أو نختبرها، وبالتالي نحن بعيدون جدًا عن فهم تلك العملية التي تقودنا من الجنس إلى «السمادهي»، ولكن بِمُجرّد أن يفهم الإنسان ويحترم عملية التجاوز والتسامي هذه، فسيندرج في طبقة اجتماعية جديدة وراقية.
إنّ الرجل والمرأة قُطبان مختلفان، أي قطب موجب، وقطب سالب للطاقة. وباجتماع هذين القطبين على نحو صحيح تكتمل الدارة وتُعطي نوعًا من الكهرباء. إنّ معرفة هذه الكهرباء المُباشرة مُمكنة إذا استمرت فترة الجماع أطول وقت مُمكن، ويحدث هذا بالطبع عندما يكون كلّ منكما مُستسلمًا إلى الآخر على نحو كامل وعميق، فإذا أمكن إطالة المدة إلى نحو ساعة، فإنّ شحنة الطاقة الكبيرة

ستُنتج هالة كهربائية تتطور من تلقاء نفسها، وعندما تكون تيارات الجسد الكهربائية محضونة بالكامل، يُمكن أن يرى الشخص في الظلام هالة من الضوء. إنّ الزوجين اللذين يختبران تيار الطاقة الكهربائي هذا، يشربان كأس الحياة الأكمل.
غير أننا لا نُدرك هذه الظاهرة، ونجد هذا الكلام غريب جدًا لأننا لا نُؤمن بما لم نجرّبه، ولأنّ الأمر خارج عن نطاق التجربة العادية. لكنني أقول: إذا لم تختبر هذه التجربة، ينبغي أن تُفكّر بها وتُحاول مُجددًا، وينبغي أن تستعرض حياتك، وبخاصة موضوع الجنس من الألف إلى الياء.
ينبغي ألا يكون الجنس أداة متعة فقط، بل يجب أن يكون أيضًا وسيلة من أجل التطوّر الروحي. إنّ الجنس عملية منطقية، ولا أعتقد أنّ ولادة «بوذا» أو «مهافير» أو غيره كانت بالصدفة، فكلّ ولادة هي ثمرة الاتحاد الكامل بين شخصين، وكلّما كان الاتحاد أعمق كانت الذُرّيّة أفضل. وكلّما كان اللقاء ضحلاً كانت الذرية أسوأ. تتدنى اليوم المعايير البشرية أكثر فأكثر، وبعض الناس يُلقون باللائمة على الجنس على أنّه سبب تدهور المعايير الأخلاقية، بينما يعزي آخرون الأمر إلى عصر «الكاليوغا»، عصر الفوضى القدرية، ولكن كلّ هذه الفرضيات خاطئة وعديمة القيمة.
إنّ تدهور الإنسان سببه غباء موقفنا الشديد تجاه الجنس من الناحية النظرية والعملية أيضًا. إنّ الجنس فقد قداسته الأصلية، وتشوّه الشعور الأصلي الذي كان يملكه الإنسان في احترامه الجنس، وانحطّ الجنس وتحوّل إلى كابوس آلي، وأصبح هذا الموقف من الجنس يشي بكلّ معنى الكلمة بعنف غير ملحوظ، إذ أنّ الجنس لم يعُدْ تجربة حب، ولم يعُدْ وسيلة عبور إلى القداسة، كما لم يعُدْ فعلاً تأمليًّا، وبسبب هذا تنحدر البشرية تدريجيًا نحو الهاوية.
إنّ نتيجة أيّ شيء نفعله تتوقّف على الموقف العقلي الذي نتصرف من خلاله، فإذا صنع نحّات مخمور تمثالاً، فهل تتوقع منه أن ينحت قطعة فنيّة جميلة؟ هل تتوقع من راقصة بالية أن ترقص وتقدّم عرضا شيّقًا إذا كانت مُضطربة عقليًا أو غاضبة أو مُمتلئة بالحزن؟ وبالمثل يكون الأمر إذا كانت نظرتنا إلى الجنس نظرة خاطئة.
إنّ الجنس هو القضية الأكثر إهمالاً في حياتنا، أليس خطأ فادحًا أن تكون الظاهرة التي يعتمد عليها إنتاج الحياة، ويعتمد عليها إنجاب أطفال جدد، ويعتمد عليها دخول أرواح جديدة إلى هذا العالم، هي الظاهرة الأكثر إهمالاً؟ رُبّما لا تُدرك أنّك حينما تكون في ذروة الجماع، فإنّك تُشارك في وضع تتنزل فيه الروح، وتتشكّل من خلاله حياة جديدة. إنّك تخلق الظروف فقط، وعندما يتحقق الظرف المُلائم الضروري من أجل روح معيّنة تُولَد هذه الروح، إنّ خاصيّة الروح أنّها تُؤثّر مُباشرة بالظروف، فالطفل الذي يتشكّل في الرحم في مناخ من الانزعاج والغضب، يُبتلى منذ الولادة بالقلق وعُقدة الذنب.
إنّ مقياس نسلنا يُمكن تحسينه، غير أنّه كي يتمّ الحمل بروح راقية، فلا بُدّ مِن أن تتوفر ظروف راقية أيضًا، وعند ذلك فقط يُمكن أن تُولَد أرواح راقية مُتفوقة، ويرتقي بالتالي معيار الإنسانية.
هذا سبب أنني أقول إنّه عندما يُصبح الإنسان مُلمًّا بعلم الجنس وفنه، وعندما يكون قادرًا على نقل هذه المعرفة إلى الصغير والكبير على حدّ سواء، فسنكون قادرين على توفير الظروف التي ستُنجب ما سمّاه «أوربيندو» و«نيتشه» بالإنسان الخارق. في الحقيقة يُمكن إنجاب مثل هذه الذرية، ويُمكن خلق مثل هذا العالم إذا توافرت هذه الظروف وأصبح الإنسان عارفًا بالجنس، وقبل أن يحدث هذا، لا يُمكن أن يكون هناك أيّ تقدم وتطور، ولا يُمكن أن يكون هناك سلام في العالم ولا يُمكن أن تُمنع الحروب، ولا يُمكن إزالة الضغينة واستئصال الشرّ واجتثاث الفساد وتبديد الظلمة الحالية.

حتّى لو حشدنا في الخدمة كلّ وسائل الراحة والابتكارات الحديثة، وحتّى لو بذل السياسيون وعلماء الاجتماع وزعماء الأديان قصارى جهدهم، فلن تتوقف الحروب ولن يهدأ التوتر ولن يختفي العنف والغيرة والحسد، فمنذ آلاف السنين والحواريون والمسيح ورجال الدين يُلقون عظاتهم ضدّ الحرب وضدّ العنف والغضب وما إلى ذلك. بيد أنّه لم يستمع إليهم أحد، بل على العكس، قتلنا «المسيح» الذي بشّر بالمحبة وحاول تعليمنا ألا نكون عنيفين وبيّن لنا الطريق الروحي، وكافأنا بالرصاص «غاندي» الذي علّمنا كيف نُدرّب أنفسنا على اللاعنف، وكيف نصقل نفوسنا كي نعيش بتناغم مع بعضنا البعض، لقد عبّرنا بقتله عن امتناننا لخدماته النبيلة!.
لقد أخفق كلّ الرسل إلى البشرية قديمًا وحديثًا، فلم تُثمر كلّ القيم والمُثل التي طوّروها وروّجوا لها ولم تنجح. لم يستطع أحدٌ منهم أن يُقدّم الدواء الشافي والحل العملي، وذهبَتْ كلّ مبادئهم الرنّانة أدراج الرياح. لقد جاؤوا وبشّروا ثمّ رحلوا، وما زال الإنسان يتخبّط في الظلام، وما زال يغرق أكثر فأكثر في نوع من الجحيم على الأرض. ألا يُثبت هذا وجود بعض المفاهيم الأساسية الخاطئة في تعاليمهم وعظاتهم؟.
إنّ الإنسان مُحبط لأنه حُمِلَ في رحم أمه في جوٍ من الإحباط، فهو يحمل جرثومة الإحباط منذ البداية، وروحه مريضة. إنّ مرض سرطان البؤس والحزن مُتجذّر في أعماق روحه، وقد تشكّل كيانه بأكمله على ذلك منذ اللحظة التي حملتْهُ أُمّه فيها، وبالتالي أخفقت «البوذية» و«المسيحية» وأتباع «مهافير» وأتباع «كريشنا» من الأساس، لقد فشلوا جميعًا بالفعل.
قد لا نعترف بذلك علانية من مُنطلق اللباقة أو المُداراة، لكنّ البشرية تُصبح أكثر همجية ولا إنسانية يومًا بعد يوم، وعلى الرغم من الكلام الكثير عن اللاعنف، وعن التسامح، فقد طوّر الإنسان الأسلحة بدءًا من الخنجر البسيط، ووصولاً إلى قنبلة الكوبالت. لقد قيل لي إننا قتلنا حوالي ثلاثين مليون شخص أثناء الحرب العالمية الأولى، ثمّ عاد الإنسان بعد الهدنة ليتكلم عن السلام والحب. أمّا في الحرب العالمية الثانية فقد قتلنا خمسة وسبعين مليون شخص، ثمّ بدأنا في التفاوض من أجل السلام والتعايش مرّة أخرى. إنّ الجميع من «برتراند راسل» إلى «فينوبا»، يصرخون بوجوب المُحافظة على السلام رغم أننا نُحضّر إلى حرب عالمية ثالثة ستجعل الحربين السابقتين تبدوان كأنّهما ألعاب أطفال مُقارنة بها.
ذات مرّة سأل أحد الأشخاص «أينشتاين» عمّا يُمكن أن يحدث في الحرب العالمية الثالثة، فقال: إنّه لا يُمكنه التنبؤ بشيءٍ عن الحرب العالمية الثالثة، لكنّه يستطيع التنبؤ بشيءٍ عن الحرب العالمية الرابعة. دُهِشَ السائل وقال: كيف هذا؟ إذا كان أينشتاين لا يستطيع قول شيءٍ عن الحرب العالمية الثالثة، فكيف يتنبأ بشيءٍ عن الحرب العالمية الرابعة. أجاب «أينشتاين» إنّ هناك شيئًا واحدًا أكيدًا عن الحرب العالمية الرابعة، وهو أنّه لن يكون هناك حرب رابعة، لأنّه لن تكون هناك إمكانية نجاة أيّ شخص في الحرب العالمية الثالثة.

من الإحصاءات التي جمعها الأطباء النفسيون الأمريكيون، خلصتُ إلى أنّ ثمانية عشر بالمئة فقط من عدد سكان مدينة «نيويورك» يُمكن أن يُقال عنهم إنّهم في وضع عقلي طبيعي، فإذا كانت النسبة هكذا فما وضع اثنتان وثمانين بالمئة المُتبقية؟ إنّهم في حالة تفكك فعلي. أنت نفسك ستتفاجأ إذا علمتَ مقدار الجنون الذي ينطوي في داخلك، إذا جلستَ في زاوية وعكفتَ على التأمل في نفسك لحظات. أمّا كيف تتحكّم بجنونك وتقمعه فهي مسألة أُخرى تمامًا؟ إذ يكفي حدوث نكسة عاطفية طفيفة لأيّ شخص حتّى يُصبح معتوهًا بالكامل.

من المُحتمل جدًّا أن يُصبح العالم في غضون مئة سنة القادمة مشفى ضخمًا للمجانين، وبالطبع، ستكون هناك العديد من الفوائد، فلن نحتاج إلى علاج الجنون، ولن نحتاج إلى الأطباء النفسين من أجل مُعالجة المُصابين بالأمراض العصبية، ولن يشعر أحدٌ أنّه مجنون، لأنّ العَرَض الأول للشخص المجنون هو أنّه لن يعترف أبدًا أنّه مجنون، وهذا المرض في ازدياد دائم. إنّ هذا المرض وذاك العذاب العقلي وتلك الظلمة العقلية تزداد باضطراد. إنّ البشرية الجديدة لا يُمكن أن تنشأ ما لم يترقّى الجنس، وما لم يُصبح الجماع عملاً ربانيًا مُقدّسًا.
لقد أكّدتُ على فكرة مُعيّنة في الأيام الثلاثة الماضية، وهي أنّه يجب أن يُولَد الإنسان الجديد!، فروح الإنسان تتلهّف إلى تسلّق المرتفعات والوصول إلى السماء، وتتلهّف كي تستنير بالقمر والنجوم وتتفتّح مثل الزهرة، وتتلهّف كي تخلق الموسيقى وترقص. إنّ روح الإنسان تتألم، وتتحرق عطشًا، ولكنّ الإنسان أعمى وهو يدور ويدور في حلقة مُفرغة دون أن يكون قادرًا على كسرها والخروج منها، كما أنّه لا يستطيع الارتفاع فوقها. ما السبب؟ في الحقيقة هناك سبب واحد فقط، وهو هذه العملية التناسلية السخيفة جدًّا التي تطفح بالجنون، وهي هكذا لأننا غير قادرين بعد على جعل الجنس مدخلاً إلى «السامادهي». إنّ عملية جنسية مُتنوّرة واحدة ستفتح الباب إلى «السامادهي».
لقد وضعتُ في هذه الأيام الثلاثة بعض المبادئ، والآن أُريد تلخيص نقطة واحدة فقط، ثمّ أنهي حديث اليوم.
أُريد القول إنّ هؤلاء الذين يقودون العالم بعيدًا عن حقائق الحياة هم أعداء البشرية، وأولئك الذين يطلبون منكم ألا تفكّروا في الجنس أبدًا هم أعداء لكم، ولن يسمحوا لكم بالتفكير والتأمّل فيه، وإلا لماذا لم نتّخذ إلى الآن موقفًا منطقيًا حيال هذا الموضوع؟.
علاوة على هذا، فإنّ الذين يقولون: إنّ الجنس لا علاقة له بالدين مُخطئون كلّيًا، ذلك أنّ الطاقة الجنسية في شكلها المتحوّل والمُتسامي هي المدخل إلى مملكة الروحانية. إنّ التسامي بهذه الطاقة الحيوية يرقى بالإنسان إلى عوالم لا نعرف عنها سوى القليل. إنّ تحويل الإنسان لطاقته الجنسية يصعد به إلى عالم حيث لا وجود للموت ولا للحزن، وإلى عالم لا يُوجد فيه سوى الفرح، الفرح النقي. إنّ أيّ إنسان يمتلك تلك الطاقة، طاقة الحياة، يستطيع أن يرقى بنفسه إلى عالم البهجة، وإلى عالم الوعي الحقيقي «ساتشيتاناند».
لكننا بددنا هذه الطاقة، إذ أننا نُشبه دلو الماء الذي تُوجد في أسفله ثقوب، ويُستخدم هذا الدلو من أجل استخراج الماء من البئر، فيتسرب الماء بأكمله من الثقوب، ولا نحصل في النهاية سوى على دلو فارغ. نحن نُشبِه كذلك قارب ذي قاع سفلي مثقوب، إذ نُجدّف في النهر كي نغرق فقط. إنّ مثل هذا القارب لا يُمكن أن يُوصلنا إلى الضفة الأخرى أبدًا، ومصيرنا المحتوم هو الغرق وسط النهر. إنّ كلّ هذا التسرّب هو بسبب التحويل الخاطئ لمجرى طاقة الجنس.
إنّ أولئك الذين يعرضون الصور العارية ويُؤلفون الكتب الخليعة ويُنتجون أفلام الجنس الفاضحة المُثيرة ليسوا مسؤولين عن تسرّب هذه الطاقة، بل إنّ المسؤولين هم مَن يضعون الحواجز في طريق تفهّمنا للجنس، فبسبب هؤلاء راجَتْ الصور العارية وبيعَتْ الكتب الإباحية وصُنعت أفلام الجنس العارية الفاضحة، ونحن نرى النتائج الخسيسة والحمقاء لذلك يوميًا. إنّ المسؤولين عن هذا الأمر هم الذين نُسمّيهم القديسين والزهاد، فإذا تمعّنت في الأمر بعُمق، فسترى أنّهم وكلاء إعلان الفحش الحقيقيين.
أخيرًا سأروي لكم حكاية صغيرة، وسأُنهي بها حديث اليوم.

كان أحد القساوسة مدعوًا إلى إقامة قدّاس في كنيسة قرية مجاورة، فأخذ يركض كي يصل إلى الكنيسة في الوقت المحدد. وبينما كان يجتاز حقلاً، شاهد في طريقه رجلاً مُصابًا بطعنة سكّين ومرميًّا قرب ساقية، وقد برز السكين من صدره الذي كان ينزف. فكّر القسيس بحمله والاعتناء به، ولكن بعد أن أعاد التفكير مرّة أخرى، شعر أنّ ذلك رُبّما يُؤخّر وصوله إلى الكنيسة. لقد اختار المحبّة موضوع عظته، وقرر أن يتوسّع في حكمة «المسيح» الشهيرة: «إنّ المحبة هي الإله»، وقد أعدّ شروحاته عندما كان يعدو في طريقه على الكنيسة.
غير أنّ الرجل المصاب فتح عينيه وصاح: «أعلَمُ أبتاه أنّك ذاهب إلى الكنيسة من أجل إلقاء عظة عن موضوع المحبّة، وكنتُ سأحضر إلى الكنيسة أيضًا لولا أنّ قطاع الطرق طعنوني وألقوني هنا. أصغِ إليّ، إذا نجوتُ من الموت، فسأخبر الناس أنّ رجلاً كان يموت على قارعة الطريق، فهرعتَ كي تلقي عظة عن المحبة بدلاً مِن أن تُنقذه. أنا أُحذّركَ فلا تتجاهلني».
خاف القسيس بعض الشيء، وأدرك أنّه إذا نجا هذا الرجل من الموت، وروى الحادثة لسكان القرية، فسيقولون إنّ عظاته كلّها كانت خداعًا ودجلاً. لم يكن القسيس قلقًا بشأن الرجل المُحتضَر، بل كان مُهتمًّا برأي العامة، لذلك اقترب من الرجل مُكرَهًا، ثمّ اقترب منه أكثر وشاهد وجهه بوضوح، فبدا له مألوفًا إلى حدٍّ ما. فقال: «بُنيّ، يبدو أنني رأيتك من قبل في مكان ما».
قال الرجل المجروح: «لا بُدّ أنّك قد رأيتني، أنا الشيطان، ولي صلة قديمة جدًا بالقساوسة ورجال الدين. إذا لم أكن مألوفًا بالنسبة إليك فلِمن سأكون مألوفًا؟».
عندئذٍ تذكّره القسيس بوضوح، فقد رأى صورة له من قبل في الكنيسة، فاقترب منه مُجددًا وقال: «لا أستطيع أن أُنقذك، ومِن الأفضل أن تموت. أنت الشيطان، ونحن على الدوام نتمنى لك الموت، لماذا أُنقذك؟ إنّ مُجرّد لمسك يُعتبر خطيئة، سأُتابع طريقي».
ضحك الشيطان ضحكة مجلجلة وقال: «اِسمَع، في اليوم الذي سأموت فيه ستُصبح أنت بلا عمل، لا يُمكنك أن تتواجد من دوني، أنت قسيس لأنّي على قيد الحياة، أنا أساس مهنتك، مِن الأفضل لك أن تُنقذني، لأنني إذا متُّ، فسيُصبح القساوسة والكهنة كلّهم عاطلين عن العمل، وسوف ينقرضون، ولن تكون هناك حاجة لهم بعد الآن».
فكّرَ القسيس بكلام الشيطان ثوان، ورأى أنّ كلامه صحيح، وعلى الفور رفعه على أكتافه وقال: «أيّها الشيطان العزيز، لا تقلق، سوف أنقلك إلى المشفى من أجل العلاج. مِن فضلكَ تماثلْ للشفاء بسُرعة، لا تَمُتْ بحق السماء. أنت على حق. إذا مُتَّ سنُصبح عاطلين عن العمل».

إنّ الإنسان عاجز، فهو عبدٌ للجنس، وهذا العجز جديرٌ بالازدراء. إنّ ما نُريده في الحقيقة هو المعرفة وليس الجهل، فالمعرفة في حدّ ذاتها قوة، ومعرفة الجنس هي أعظم قوة. ومن الخطر الاستمرار في العيش دون معرفة الجنس.
من الجائز أننا قد لا نصل إلى القمر من خلال معرفة الجنس، ولكن في الحقيقة ليست هناك حاجة فعلية إلى الوصول إلى القمر، وقد لا تنتفع البشرية كثيرًا بوصولنا إلى القمر، ولن ينتهي العلم إذا لم نستطع الوصول إلى عمق خمسة أميال في المحيط الهادي إذ لا يُمكن لأشعة الشمس النفاذ إلى تلك الأعماق. إنّ تحقيق هذه الأشياء لن يفيد البشرية كثيرًا، وليس أمرًا مُهمًّا جدًّا أن نشطر الذرّة أو لا نشطرها. ولكن أن ننجح في خلق إنسان جديد فهذه مسألة في غاية الأهمية، وأن نتقبل الجنس هي مسألة ملحَّة للغاية أيضًا، كي نتوصل إلى معرفة الجنس وفهمه بالكامل ومن ثمّ نقدر على تجاوزه.

لقد شرحتُ بعض الأشياء خلال الأيام الثلاثة الماضية، وغدًا سوف أسعى إلى الإجابة على الأسئلة الخاصة بكم. ينبغي وضع أسئلتك بصدق، ويجب ألا تكون الأسئلة عن الروح والإله، بل يجب أن تكون عن المعيشة والحياة، وعندما تُوجه استفساراتك هذه على نحو مُباشر وصادق فيُمكننا الخوض عميقًا في الموضوع. إنّ الحقيقة دائمًا على استعداد لتُكتشف، ولا يتطلب الأمر سوى وضع صحيح وفضول صادق واع كي تتعرف عليها، ولكننا للأسف ضعفاء في ذلك.

الفصل الخامس:
من الشهوة إلى الرب

01/ 10/ 1968

إنّ الأصدقاء قد سألوا الكثير من الأسئلة. سألني أحدهم: «لماذا اخترتُ الجنس موضوع نقاشاتي؟». دعوني أُوضّح لكم أمرًا: ذات مرة، كان هناك لقاء عام في سوق «بومباي» الكبير، وكان أحد العلماء يتحدث عن «كبير» وفلسفته، وقد تلا المقطع الشعري التالي له إذ قال للناس بينما كان يقف في منتصف السوق وهو يلوح بعصاه ويصرخ على الناس داعيًا الجميع دون استثناء: «مَن كانت لديهم الشجاعة لإحراق بيوتهم فليتبعوني».

لقد لاحظتُ أنّ الناس كانوا مسرورين بهذا النداء، وخمنتُ أنّ الناس الذين شعروا بالراحة عند سماعهم مثل هذه الرسالة العميقة والعنيفة من «كبير»، لا بُدّ أن يمتلكوا الشجاعة الفعلية كي يحرقوا بيوتهم ويخرجوا باحثين عن الحقيقة. لقد ظننتُ أنني استطيع التحدث بصراحة وصدق مع هؤلاء الناس. غير أنّه لم يكن هناك أحدٌ منهم على استعداد كي يترك بيته أو يحرقه. ما أقصده هو أنّه لو كان «كبير» حاضرًا هناك، فلا يُمكن أن يكون سعيدًا بهذا الوضع على الإطلاق، فكلنا هنا نستسيغ سماع ما قاله «كبير». ولكن في حقيقة الأمر لم يكن هناك أحدٌ من الناس الحاضرين فعلياً معه منذ أكثر من ثلاثمائة سنة سعيدًا بما قاله. لقد كنتُ أُجاهد تحت تأثير الوهم نفسه الذي كان يُجاهد تحت تأثيره «كبير» أو «المسيح». فالإنسان، هذا الحيوان العجيب، يستمتع بالإصغاء إلى حديث الأموات، ويتوعد بقتل الأحياء.

لقد كان من المُفترض أن أقول شيئًا عن الحقيقة. غير أننا كي نتحدّث عن الحقيقة، فمن الضروري تفنيد تلك الأضاليل التي قَبِلَها الإنسان على أنّها حقائق، لأننا كثيرًا ما نقبل مبدأ ما على أنّه حقيقة، بينما يكون في الواقع مبدأ كاذبًا، وما لم نكشف النقاب عن هذه الأكاذيب، فلا يُمكننا اتخاذ الخطوة الأولى باتجاه الحقيقة.

قيل لي أن أتكلّم عن «الحب»، لكنني شعرت أنّه طالما أننا مُقيدون ببعض الافتراضات الخاطئة عن الجنس والشهوة، فلن نفهم أو نُقدّر الحب. طالما أنّ هذه المُعتقدات المُضللة مُتجذّرة فينا عميقًا، فكلّ ما سنقوله عن الحب سيكون ناقصًا وغير صحيح وسيضيع هباء. لذلك ومن أجل التركيز على هذا الأمر، تحدثتُ عن الشهوة والجنس في اللقاء السابق، وقلتُ إنّ طاقة الجنس في حدّ ذاتها يُمكن أن تتحول إلى محبة.

إذا اشترى الإنسان سمادًا، والسماد بطبيعته ذو رائحة كريهة وقذرة، وكوّمَه أمام منزله جانب الطريق، فسيخلق ذلك الإزعاج عند كلّ مَن سيمرّ بالقرب من ذلك المكان. أمّا إذا نثر السماد في حديقته، فعندئذٍ ستنمو البذور وتُصبح نباتات، وستُعطي النباتات أزهارًا، ويُغوي أريجها الجميع، كما سيكون المرور بالقرب منها أمرًا ساحرًا. رُبّما لم تُفكّر حقيقةً في هذا من قبل، غير أنّ عبير الزهرة ليس سوى رائحة السماد العفنة، التي ترتقي من البذرة إلى النبتة، فتتحوّل إلى عبير الزهرة، إذن فالرائحة السيئة يُمكِن تحويلها إلى عطر جذاب.

بالمثل، يُمكن أن يتحوّل الجنس إلى محبة، ولكن كيف يُمكن لمَن يكره الجنس أن يُصبح شخصًا مُمتلئًا بالمحبة؟ كيف يُمكن للإنسان أن يُحوّل الجنس عندما يكون عدوًا له؟ من أجل هذا السبب أكّدتُ على ضرورة تفهم الشهوة، وضرورة التعرف على الجنس، كما أشرتُ إلى ضرورة تحويل الجنس.

لقد ظننتُ أنّ هؤلاء الذين تأمّلوا في مسألة إحراق بيوتهم سيكونون مسرورين عند سماع شيء من الكلام الصريح، ولكنني كنتُ مُخطئًا.
عندما أنهيتُ حديثي في ذلك اليوم، دُهِشتُ عندما لاحظتُ أنّ جميع المسؤولين الذين كانوا على المنصة إضافة إلى الأصدقاء الذين نظموا اللقاء قد اختفوا بالكامل! ولم أرَ أحدًا منهم عندما مشيتُ في الممر مُغادرًا. لقد ظننتُ أنّهم رُبّما هُرعوا إلى بيوتهم من أجل إخماد النيران التي اشتعلت في منازلهم، ولكنّهم على الأرجح تسابقوا إلى منازلهم من أجل إخماد نيرانهم الذاتية الخاصة.
لم يبقَ هناك حتّى مُنظّم الاجتماع الرئيسي كي يشكرني، لم يكن هنالك قبعات بيضاء على الإطلاق، ولم يكن هنالك «خادي كالد» بين الناس ولا على المنصة، لقد هربوا كلّهم قبل أن أُكمِل حديثي بفترة طويلة. إنّ الزعماء هم أجناس ضعيفة بالفعل، وهم سريعون في الحركة أيضًا، فقد فرّوا قبل أن يفرّ أتباعهم.
لكنّ بعض الشجعان اقتربوا مني، بعض الأشخاص المُتحمسين من الرجال والنساء، بعضهم من العجائز وبعضهم من الشبان. لقد صرحوا جميعهم إنني قلتُ لهم أشياء لم يسمع بها أحد من قبل، وإنّ أعينهم قد تفتحت، وإنّهم أصبحوا من الداخل أكثر تنورًا. لقد كانت نظرة الامتنان ودموع الفرح تملأ أعينهم، وطلبوا مني أن أُكمِل سلسلة أحاديثي. كان هؤلاء الناس الصادقين على استعداد من أجل فهم الحياة، وطلبوا أن أتوسّع في الموضوع، وهذا أحد أسباب عودتي إلى «بومباي».
لقد تجمّع حشد كبير، وعندما خرجتُ من «بهافان»، هنأني الناس على ما قلتُه. بعد ذلك، وعلى الرغم من هروب الزعماء، شعرتُ أنّ عامة الناس من الجمهور كانوا معي، وفي الحال، قررتُ أن أشرح الموضوع على نحو كامل، ولهذا السبب اخترتُ هذا الموضوع.
هناك سبب آخر وهو أنّ أولئك الذين هربوا مِن المنصة، بدؤوا يُحدثون الناس في كلّ مكان عن الأشياء «الكافرة» التي قلتُها، وأنّ الدين سيتهدم بالتأكيد، وأنّ ما قلتُه سيجعل الناس كفرة!، لهذا شعرتُ أنّه عليَ أن أُوضّح وجهة نظري وأردّ عليهم، كما شعرتُ أنّه ينبغي أن يدركوا أنّ الناس لن يصبحوا بعيدين عن الدين بِمُجرّد سماعهم أحاديثَ عن الجنس، بل على العكس من ذلك، إنّ الناس كفرة بسبب عدم فهمهم الجنس إلى الآن.
إنّ الجهل على خلاف المعرفة هو ما يجعل منّك شخصًا كافرًا. أنا أقول: إذا كانت المعرفة تتسبب بعدم اتباع الدين، فلا زلتُ أُفضّل المعرفة، ولكن بالطبع ليست هذه القضية.
إنّ المعرفة هي الدين الحق، والجهل هو الكفر. بالإضافة إلى هذا فالدين الذي يزدهر من نقص المعرفة ليس دينًا على الإطلاق، بل إنّه الكفر بعينه، وكلّما أسرعنا في التحرر منه كان ذلك أفضل. إنّ النور الذي ينقصه النور ليس بنور، بل هو ظلمة تحت اسم نور. إنّ النور يُشجّع النور دائمًا، والمعرفة تُرحِّب دائمًا بالمعرفة. تذكّرْ أنّ الدين ليس سوى اسم آخر للبحث عن المعرفة السامية، وإدراك النور الكامل. إنّ الجهل والظلمة ضاران دائمًا.
إذا أصبحَتْ البشرية أكثر انحطاطًا وحصل لها شذوذ وانحراف كُليّ، وأصبحَتْ بأكملها مريضة بالعصاب فإنّ هذا بسبب جهلها بالجنس، ولا يقع اللوم على أولئك الذين يتأملون ويتفكرون في موضوع الجنس، بل يقع اللوم على مَن يُسمّون دعاة الأخلاق والدين. لقد عملوا منذ آلاف السنين على إبقاء الإنسان مُغلقًا بالجهل، ولولا هؤلاء الظالمون لتحررَتْ البشرية من الجنس منذ زمن طويل. إنّ الجنس أمرٌ طبيعي، ولكنّ اختراع الشهوانية يُعزى إلى هؤلاء المعلمين، وهذا العائق لا يُمكن التغلب عليه طالما أنّ الجهل بالجنس موجود.

أنا لا أؤيد الجهل في أيّ مُستوى من مُستويات الحياة، ومُستعد دومًا من أجل الترحيب بالحقيقة بأيّ ثمن ومهما كان الخطر. لقد شعرتُ أنّه إذا كان شعاع شارد واحد من أشعة الحقيقة قد ينشر الكثير من الهرج والمرج بين الناس، فمن الأنسب أن أُناقش الموضوع بتفرعاته كافة، وأُوضّح مسألة ما إذا كانت المعرفة الجنسية تجعل الإنسان مُتدينًا أم كافرًا. هذه هي خلفية وسبب اختياري هذا الموضوع، ولولا ذلك لما خطر في ذهني اختيار هذا الموضوع أبدًا، ولما كنتُ تحدثتُ فيه على الإطلاق. لذلك، فإنّ هؤلاء الذين أوجدوا هذه الفرصة، وقادوني بطريقة غير مباشرة إلى اختيار هذا الموضوع، يستحقون منّي بعض الشكر. إذا كنتم تُفكّرون أن تشكروني على اختياري هذا الموضوع، فأرجوكم ألا تفعلوا، بل هنِّئوا أولئك الذين بثّوا الأضاليل عنّي، لأنّهم أجبروني على اختيار هذا الموضوع.
والآن لندخل إلى صلب الموضوع.
سألني أحد الأصدقاء: «إذا كان الجنس يتحوّل إلى حب، فهل تعني بالتالي أنّ حب الأم لولدها هو بسبب الجنس؟» كما سأل آخرون أسئلة مشابهة.

إنّ مستوى الجنس الأول هو المستوى البدائي، كأن يذهب الشخص إلى عاهرة على سبيل المثال. إنّ التجربة التي يحصل عليها هناك لا يُمكن أن تتجاوز الجسد، إذ يُمكن أن تبيع البغي جسدها، ولكن لا يُمكنها أن تبيع قلبها، وبالطبع لا مجال لأن تبيع روحها.
عند هذا المستوى تلتقي الأجساد، كما في الاغتصاب أيضًا، ولا تلتقي القلوب أو الأرواح، ويحدث الجماع على المستوى الجسدي فقط، إذ لا مجال لاغتصاب الروح. إنّ تجربة الاغتصاب هي تجربة جسدية محضة.
إنّ التجربة الجنسية البدائية تحدث على المستوى الفيزيائي، ولن يحصل أولئك العالقون في هذا المستوى على تجربة جنسية كاملة، ولا يُمكن أن يعرفوا الأعماق التي كنتُ أتحدث عنها. إنّ مُعظم الناس هذه الأيام توقفوا عند المستوى المادي.
في هذا الصدد من المُهمّ أن تعرفوا أنّه في البلدان التي تحصل فيها زيجات دون حب، يركد الجنس عند المستوى الجسدي، ولا يُمكن أن يتقدم إلى ما هو أبعد من ذلك، فهذه الزيجات يُمكن أن تكون بين جسدين ولكن ليس بين روحين لأنّ الحب لا يُوجد إلا بين روحين فحسب. لا يُمكن أن يكون للزواج معنى أعمق إلا إذا حصل عن حب، غير أنّ الزيجات التي تحدث وفق حسابات علماء الدين والمُنجّمين، أو من منطلق الاعتبارات الطائفية أو المذهبية أو المال، لا يُمكن أبدًا أن تذهب أعمق من المستوى المادي.
هناك فائدة واحدة لهذا النظام من الزواج، فنظرًا لأنّ الجسد هو أكثر استقرارًا من الفكر، فإنّ المُجتمع الذي يكون فيه الجسد هو أساس الزواج، فستكون الزيجات فيه أكثر استقرارًا وستدوم طويلاً، لأنّ الجسد مُستقرّ، ولأنّ الجسد عاملٌ ثابت تقريبًا ويتسلل إليه التغيير ببطء شديد وبصورة غير محسوسة تقريبًا. إنّ الجسد في حالة من الثبات، وتلك المجتمعات التي اعتقدت أنّه من الضروري تثبيت مؤسسة الزواج والمُحافظة على الزواج الأحادي وعدم ترك أيّ إمكانية للتغيير، كان لا بُدّ لها أن تتخلص من الحب، لأنّ القلب هو مقر الحب، والقلب عديم الاستقرار، وبالتالي فإنّ الطلاق يُصبح مسألة حتمية في المجتمعات التي ترتكز فيها الزيجات على الحب، ولن تكون الزيجات فيه مُستقرّة أبدًا، لأنّ الحب كالمادة السائلة والقلب زئبقي، أمّا الجسد فثابت ومُستقِر.

إذا كان هناك حجر في فناء منزلك، فسيكون عند المساء في المكان نفسه الذي كان فيه صباحًا، أمّا الزهرة فتفتح في الصباح، وعند المساء تميل وتسقط على الأرض. إنّ الحجر هو شيء لا حياة فيه، لأنّ الوضع الذي كان فيه في الصباح، سيكون هو ذاته عند المساء. إنّ الزواج الحاصل على المستوى المادي يجلب الاستقرار، ولكنّه لا يختلف عن ذلك الحجر، وهذا النوع من الزواج في صالح المجتمع ولكنّه ضار بالنسبة إلى الفرد.
في مثل هذه الزيجات، لا يُلامس الجنس بين الزواج والزوجة العوالم العميقة، ويُصبح مُجرّد روتين آلي، ثمّ يتكرر الفعل في كثير من الأحيان حتّى يُصبح مُبتذلاً ولا معنى له، ويُصبح مُملاً على نحو مُتزايد، ويُصبح الفارق بسيطًا بين الذهاب إلى عاهرة، وبين حالة الزواج دون حب، إذ أنّك تشتري العاهرة مُدة ليلة، بينما تشتري الزوجة طوال حياتك، وهذا هو الفارق الوحيد. عندما لا يكون هناك حب فأنت تقوم بعملية شراء، سواء استأجرت امرأة مُدة ليلة، أو قُمتَ بعمل الترتيبات من أجل بقية العمر. بطبيعة الحال، سيكون هنالك ارتباط بسبب العِشْرة اليومية، نُسمّيه حبًا ولكنّه ليس بحب، لأنّ الحب شيء مُختلف كليًا، وهذه الزيجات ما هي إلا زواج الجسد، وبالتالي لا يُمكن أن تذهب هذه العلاقة أعمق من المستوى المادي، ولو نظرنا إلى الأعمال الأدبية فسنرى أنّه لا يُوجد أيّ عمل أدبي أو نص من النصوص التي كُتبتْ عن الحب، بدءًا من «فاتيسيايانا»، ووصولاً إلى «كوكو بانديت» ذهبَتْ إلى ما هو أعمق من المُستوى الجسدي.
هناك مستوى آخر هو مُستوى الفكر والقلب. إنّ الأزواج الذين يقعون في الحب ثمّ يتزوجون، يذهبون إلى أبعد من المستوى الجسدي بقليل، ويصلون إلى القلب وإلى العمق النفسي، ولكنّهم بسبب الرتابة يعودون إلى المستوى الجسدي كلّ يوم. إنّ مؤسسة الزواج التي نشأتْ في الغرب على مدى مئتي سنة الأخيرة هي في هذا المستوى، وهذا سبب انحلال مُجتمعاتهم وفسادها.
إنّ السبب في هذا الانحلال هو أنّك لا يُمكن أن تعتمد على الفكر، فهو اليوم يرغب بشيء، وغدًا يطلب شيئًا غيره. إنّه يرغب صباحًا بشيء، وفي المساء يرغب بشيء آخر. وما يشعر به الآن يختلف تمامًا عمّا شعر به في اللحظة الفائتة.
رُبّما سمعتم أنّ اللورد «بايرون»، قبل أن يتزوج في آخر الأمر، كان على علاقة حميمية مع ستين أو سبعين امرأة على الأقل. غير أنّه حتّى بعد خروجه من الكنيسة غداة عقد قرانه، ويده بيد عروسه الجديدة، شاهد امرأة جميلة تمرّ بقربه، فبُهِر بجمالها ونسي مدة لحظة زوجته الجديدة ونسي زفافه، ولكن لا بُدّ أنّه كان رجلاً أمينًا جدًا لأنّه عندما دخل إلى العربة مع عروسه، قال لها: «هل لاحظتِ؟ لقد حصل للتوّ شيء غريب. البارحة قبل أن نتزوج، كنتُ قلقًا بخصوص ما إذا كنتُ بالفعل سأتمسك بك أم لا، وهل أنت المرأة الوحيدة في فكري، ولكن الآن، عندما تزوجتُ بالفعل، رأيتُ للتوّ امرأة جميلة على جانب الطريق عندما كنا ننزل من درج الكنيسة، فنسيتك مُدة لحظة، وبدأ فكري يجري خلف تلك المرأة، فقد اخترقَتْ عقلي، وأنا أتساءل: «إن كنتُ سأحصل على تلك المرأة أم لا».
إنّ الفكر مُتقلّب ومُتغيّر جدًا، وبالتالي فإنّ المُجتمعات التي أرادت تثبيت الحياة الأسرية لم تسمح بأن تصل الزيجات إلى المستوى النفسي، بل سعَتْ إلى تثبيت الزواج وإيقافه عند المستوى الجسدي، فقالوا: «تزوّج، ولكن ليس عن حب. إذا تحوّلَتْ الأمور إلى الحب بعد الزواج فلا بأس، وإلا فلتكُنْ الأمور كما هي عليه».
إنّ الاستقرار مُمكن على المستوى الجسدي، أمّا على المستوى النفسي فهو صعب جدًا. إنّ التجربة الجنسية أعمق وأكثر دقة على المستوى العقلي، ولهذا كانت التجربة في الغرب أكثر عُمقًا منها في

الشرق. لقد كتب علماء النفس الغربيون، من «فرويد» إلى «يونغ»، عن مرحلة الجنس الثانية، أي عن المستوى النفسي، ولكنّ الجنس الذي أتحدث عنه هو المرحلة الثالثة منه التي لم يفهمها أحد حتّى الآن، لا في الغرب ولا في الشرق. إنّ المستوى الثالث من الجنس هو المستوى الروحي.
بما أنّ الجسد خامل، فهناك نوع من الثبات والاستقرار على المستوى الجسدي، كما أنّ هناك نوع من الاستقرار أيضًا على المستوى الروحي، لأنّه لا يُوجد تغيّر على هذا المستوى أيضًا، فكلّ شيء ساكن هناك، وكلّ شيء خالد. ما بين هاتين المرحلتين «الجنس المادي والجنس الروحي» يتواجد مستوى الجنس النفسي، وهو غير ثابت مثل الذاكرة.
إنّ تجربة الغرب تقع في المستوى النفسي، ولهذا تنتهي الزيجات وتتفكك الأسر، فالزواج الناشئ عن التقاء الأفكار لا يُمكن أن يُنتج وضعًا عائليًا مُستقرًا، والنزعة السائدة في الغرب الآن هي الطلاق، إذ يحدث هذه الفترة كلّ سنتين تقريبًا، غير أنّه يُمكن أن يُصبح كلّ ساعتين أيضًا!، فالتفكير يُمكن أن يتغير في كلّ ساعة حتّى! إنّ المُجتمع الغربي مُتفكك، أمّا المُجتمع الشرقي بالمُقارنة معه فقد كان مُستقرًا، ولكنّه لم يكن قادرًا أيضًا على فهم أعماق الجنس السامية والدقيقة.
إنّ الرجل والمرأة اللذين يلتقيان على المستوى الروحي، ويُمكن أن يتحدا روحيًا ولو مرة واحدة، يشعران أنّهما اتحدا في حياة لا نهاية لها، وأنّ هناك سلاسة عميقة، وأنّ الخلود والنشوة الصافية هما مهر زواجهما.
إنّ الجنس الذي أتحدث عنه هو الجنس الروحي، أي التجربة الإلهية. أنا أرغب في يتوجّه الناس إلى الجنس الروحي.
إذا استوعبتَ وفهمتَ ما أقوله، فستُدرك أنّ حبّ الأم لابنها هو جزء من الجنس الروحي. بالطبع ستقول أنّ هذا الكلام غير عقلاني، وستتساءل عن هذه الرابطة الجنسية التي يُمكن أن تتواجد بين الأم وابنها. في الحقيقة ومن أجل أن نفهم هذا الأمر بالكامل، علينا أن نتفحص العديد من مظاهر الجنس الأُخرى والتفاعل في العلاقات بين الزوج والزوجة والطفل.

يلتقي الزوجان لبرهة فقط، ثمّ يعودان بعدها كما كانا من قبل، وبالتالي فإن حميمية الأم تجاه طفلها، غير ممكنة تجاه زوجها، ولا يمكن أن تكون.
إنّ الطفل في الرحم يتنفّس نفَس الأم، وقلبه ينبض من خلال قلب الأم، وكذلك دمه ودم الأم واحد، وحياتهما واحدة، فهو لم يُصبح فردًا بعد، وما زال جزءًا من الأم. في الحقيقة لا يُوجد شيء يملأ المرأة كالطفل، وليس هناك زوج يُمكنه أن يملأ كيان زوجته مثلما يفعل الطفل، ولا يُمكن أن يمنح الزوج زوجته ذلك الشعور العميق بالحميمة مثلما يفعل الطفل. كما أنّه لا يُمكن أن يكتمل نمو المرأة ما لم تُصبح أمًّا، وما لم تُحقق المرأة الأمومة، فلا يُمكن أن تتألق شخصيتها بالكامل ولا يُمكن أن يزدهر جمالها حتّى الحد الأقصى. إنّ المرأة لا يُمكن أبدًا أن تُحقق القناعة والرضا بالكامل ما لم تُصبح أمًا وما لم تعرف العلاقة الروحية العميقة التي تُوجد بين الأم وطفلها.
إلى جانب ذلك، يجب أن نضع في اعتبارنا أنّه بمُجرّد أن تُصبح المرأة أمًّا، سيضعف اهتمامها بالجنس تلقائيًّا، لأنّها حصلت على شراب الأمومة الخفي، فقد تعايشت مُدة تسعة أشهر مع حياة جديدة نابضة، وأصبح الآن انجذابها قليل تجاه الجنس. قد يحتار الزوج أحيانًا من فتور الزوجة تجاه الجنس، فكونه أصبح أبًا لا يُغيّر موقفه من الجنس على أيّ حال، فليست له علاقة عميقة بعملية الولادة، ولا يمتلك إحساسًا بالوحدة الروحية مع الحياة الجديدة التي وُلدت. أمّا عندما

أصبحت المرأة أمًّا فهذا يُحدِثُ تغييرًا أساسيًا فيها. إنّ الأبوة هي ببساطة تقليد اجتماعي، إذ يُمكن للطفل أن ينمو دون أب، ولكنّ علاقته بأمه علاقة مُتجذّرة.

إنّ نوعًا جديدًا من الطمأنينة والراحة يملأ كيان المرأة بعد إنجاب طفل. فإذا نظرتَ إلى امرأة أصبحت أمًا، وإلى أُخرى لم تُنجب بعد، فستشعر بالفارق بين هاتين الشخصيتين، وبالفارق في الراحة التي تبدو على محياهن. إنّ الوهج والسكينة باديتان على وجه الأم، تلك السكينة التي تراها في النهر الذي وصل إلى السهول، في حين أنّكَ ستتشعر أنّ المرأة التي لم تُصبح أُمًّا بعد، وكأنّها أمام نهر يفور أثناء انسيابه من بين الجبال، ستشعر بالصخب والهدير وهو يندفع مُسرعًا نحو السهول. إنّ المرأة تُصبح هادئة وساكنة من الداخل بعد أن تُصبح أُمًّا.

في هذا الصدد، أودّ القول إنّ النساء اللواتي ابتُلينَ بالولع بالجنس، كما هو شائع اليوم في الغرب، هنّ نساء لا يُردنَ أن يُصبحنَ أُمهات. فبعد الأمومة ينخفض انجذاب المرأة نحو الجنس فجأة، والمرأة الغربية التي ترفض أن تُصبح أُمًّا تفعل هذا لمعرفتها أنّها حالما تُصبح أمًّا فستفقُد رغبتها بالجنس، وهي تدعم إفراطها في الانغماس بالجنس بألا تُصبح أمًّا.

إنّ حكومات الكثير من البلدان الغربية قلقة من وراء هذا الأمر الذي لو استمرّ، فماذا سيحدث لسكان تلك البلدان؟. إنّ الشرق قلقٌ تجاه مسألة زيادة في عدد السكان، بينما نجد أنّ الحكومات في الغرب تتخوف من تناقص عدد السكان، ولن يحدث أيّ تغيير ما دامت النساء لا يُردنَ أن يُصبحنَ أُمهات كي لا يفقدنَ الرغبة في الجنس. إنّ القانون قد يُنفّذ برامج تنظيم الأسرة لكنه لا يستطيع أن يُرغم المرأة على أن تُصبح أمًا. إنّ مُشكلة الدول الغربية هي أكثر تعقيدًا من مُشكلة الانفجار السكاني الذي يُعاني منه الشرق، فلو أمكننا إيقاف الزيادة السكانية بالقوة أو القانون، فلن يُمكن أن نزيد العدد من خلال القوانين والتشريعات. في مئتي سنة القادمة ستتضخم هذه المشكلة في الغرب إلى حدّ كبير، بينما في بلدان الشرق يُمكن أن تُؤدي الزيادة المتفاقمة في عدد السكان إلى السيطرة على العالم بأكمله. بينما بشكل مُتزامن، مع مرور الوقت، تنخفض القوى العاملة في الغرب، سيتوجب عليهم جعل النساء يُوافقنَ على أن يُصبحنَ أمهات مُجددًا.

لقد بدأ البعض من علماء الغرب النفسيين يُروجون لصالح زواج الأطفال، فالمرأة الناضجة لن تهتمّ بأن تُصبح أمًا، بل ستكون أكثر اهتمامًا بالمُتعة الجنسية، ولهذا السبب ينصحون الناس أن يتزوجوا وهم صغار، وفي تلك الحالة لن تحصل النساء على أيّ أفكار أخرى قبل أن يُصبحنَ أُمهات. كان هذا أيضًا أحد الأسباب التي تكمن خلف زواج الأطفال في الشرق، فهم يعرفون أنّ الفتاة لن ترغب بالزواج كي تُصبح أُمًّا عندما تغدو مُراهقة وتعي الجنس وتختبر شيئًا منه. إنّ هذه العقلية وهذا الانجذاب الكبير إلى الجنس، سيظل موجودًا لدى النساء حتى يعرفنَ ما سيحصلنَ عليه عندما يُصبحنَ أُمهات. ولكنهنّ لا يُمكن أن يُدركنَ هذا إلا بعد تحقيق الأمومة، ولا تُوجد طريقة كي يحصلنَ على لمحة منه قبل أن يُصبحن أمّهات.

لماذا تسعد المرأة بعد أن تُصبح أُمًّا؟، لأنّها حصلَتْ على تجربة إلهية مُستمرّة من الجنس الروحي مع طفلها، وبسبب الحميمية القوية التي تُوجد بينها وبين طفلها. إنّ المرأة تُضحّي بحياتها مِن أجل طفلها، ولا يُمكن تصوّر أن تسلب طفلها حياته. قد تقتل المرأة زوجها، وهذا يحدث في أحيان كثيرة مع أنّها لا تقوم بالقتل فعليًا، فهي تستطيع أن تخلق في البيت ظروفًا تُؤدي إلى النتيجة ذاتها. أمّا بخصوص طفلها، فلا يمكن أن تُفكّر في هذا أبدًا، لأنّ العلاقة التي تربطها بابنها عميقة جدًا وفي غاية الحميمية.

في الوقت ذاته أريد القول إنّه عندما تُنشئ المرأة علاقة مع زوجها، يُصبح الزوج أيضًا طفلاً لها. ولن يكون بعد ذلك زوجها.
هناك الكثير من الرجال والنساء في هذا الاجتماع، وأرغب أن أسأل الرجال الموجودين هنا ألا يتصرفون تمامًا كالأطفال الصغار عندما يكونون في مزاج من الحب مع زوجاتهم. هل تعرفون لماذا تمتد يد الرجل بلا وعي نحو صدر المرأة؟ لأنّها يد طفل صغير تمتد إلى صدر أمه، فما إن يقع الرجل في حُبّ امرأة حتى تمتدّ يده تلقائيًا إلى صدرها. لماذا؟ ما علاقة الحب بالثدي؟ أو بالجنس؟ في الحقيقة لا علاقة للجنس بالصدور على الإطلاق، غير أنّ الطفل لديه صداقة عميقة مع ثدي أمه، فطفولته كانت حافلة بالوعي الذي يُوصله إلى صدر أمه، وهو خيط الحياة، فعندما يفيض الرجل بالحب يُصبح ابنًا!.
إلى أين تتجه يد المرأة؟ إنّ يدها تتجه إلى رأس الرجل، وتبدأ أصابعها بملاطفة شعره، هذه هي ذاكرتها تجاه طفلها، فهي تُلاطف شعر ابنها. لذلك، عندما يزدهر الحبّ على المستوى الروحي على نحو كامل، يُصبح الزوج ابنًا، وعند ذلك يعرف الإنسان أنّه وصل إلى مستوى الجنس الثالث، أي إلى المستوى الروحي، ولكننا في الحقيقة نجهل هذه العلاقة.
إنّ العلاقة بين الرجل والمرأة هي بداية الرحلة وليست نهايتها. تذكّروا أنّ حالة التوتر التي تنشأ باستمرار بين الزوجين تكون بسبب هذه الرحلة. إنّ الرحلة مُرهقة دومًا، والسلام لا يكون إلا في نهاية الرحلة. ولن يهدأ الزوج ولا الزوجة أبدًا، لأنّهما في حالة حركة مُستمرّة، ولأنّهما دائمًا على الطريق. إنّ مُعظم الناس يهلكون في الطريق، ولا يصلون أبدًا إلى الهدف، ولهذا السبب هناك دائمًا حالة من النزاع بين الزوجين، نزاع على مدار الساعة، وهذا ما نُسمّيه: «الحُب».
للأسف، لا يفهم لا الزوج ولا الزوجة سبب التوتر والنزاع الحقيقي، لأنّ كلاً منهما يعتقد أنّه اختار الشخص غير المناسب، فالزوج يعتقد أنّ كلّ شيء سيكون أفضل إذا تزوّج امرأة أخرى، والزوجة كذلك الأمر تظنّ أنّ الأمور ستكون جيدة لو أنّها تزوجَتْ برجل آخر. إنّ ما أُريد قوله لكم: هو أنّ هذه هي تجربة كلّ الأزواج في العالم، ولو أُتيحت لك الفرصة كي تُغيّر زوجتك، فإنّ الوضع لن يتغيّر قيد أنملة، وستكون الحال كتبديل حمل النعش من كتف إلى كتف في الطريق إلى المقبرة، إذ ستشعر بالراحة فترة قصيرة، لكنّك ستُلاحظ مرة أخرى أنّ الوزن قد عاد هو ذاته. تدلُّ التجربة في الغرب حيث يتفشّى الطلاق، على أنّ الزوجة الجديدة وفي مُدة قصيرة جدًا ستُثبت أنّها كسابقتها تمامًا، وفي غضون أسبوعين، سيُثبت الزوج الجديد أيضًا أنّه كالرجل الذي سبقه، فالسبب لم يكن يُوجد على السطح، بل في الأعماق، ولا يمتّ بِصِلة إلى الفرد، ولا يتعلّق بالرجل أو بالمرأة، بل في كون الزواج رحلة وتقدّم. إنّ الزواج ليس هدفًا ولا غاية، فالغاية يُمكن الوصول إليها عندما تُصبح المرأة أمًّا وعندما يُصبح الزوج ابنًا.

إنّ الجانب النفسي الذي يكمن خلف هذا السؤال هو أنّ الشهوة «الكاما» والرب «الراما»، يُعتبران لغاية الآن عدوّين لبعضهما البعض، وهذا إلى الآن يعني ضمنيًا بالنسبة إلى هؤلاء أنّ البحث في الدِّين لا علاقة له بالجنس، وأنّ الذين يُنقّبون في الجنس لا يُمكن أن يكون لهم علاقة بالروحانية.
في الحقيقة أنّ كلا التفسيرين ليسا سوى أوهام، فالرحلة إلى الشهوة «كاما» هي أيضًا رحلة إلى النور «راما»، والانجذاب الهائل نحو الجنس هو أيضًا بحث عن الأسمى.
بما أنّ الإنسان مُغلّفٌ في الجنس تمامًا، فلن يشعر أبدًا أنّ رحلته كاملة. وما لم تتحقق الشهوة «الكاما» وما لم تتصعّد وتتسامى فإنّ بحثه لن يتوقّف. إنّ سعي هؤلاء الذين يعيبون الرغبة في

محاولتهم الوصول إلى الإله «راما» ليس مسعى أصيلاً، والأمر ليس إلا هروبًا باسم الإله، فهم يختبئون خلف فكرة السعي إلى الإله من أجل الهروب من الشهوة والرغبة، لأنّهم يخافون بشكل مُميت من الجنس. إنّ حياتهم هي في حالة هياج جنسي مُتواصل، وهم يبحثون عن ملاذٍ عبر تكرار اسم «راما»، «راما»، «راما»، كي يتمكنوا من نسيان «الكاما» أي شهوة الجنس والرغبة فيه.

عندما تُلاحظ شخصًا يُردد اسم «راما»، فانظُرْ إليه عن كثب، وسترى أنّ صدى «كاما» يتردد خلف اسم «راما»، لأنّ وعي الجنس موجود هناك، فإذا لاحَتْ أمام نظرهم امرأة، فسيبدؤون بترديد سبحتهم المعتادة: «راما، راما، راما»، ويُسرّعون بتدوير خرزاتها بسرعة هائلة وهُم يُرتّلون اسم «راما» بأعلى صوتهم، أمّا الشهوة والرغبة «الكاما» فهي تضغطهم من الداخل، فيُحاول هؤلاء الانهزاميون تجاهلها وإغراقها وقمعها بترديد اسم «راما». لو أمكن أن تُغيّر هذه الخدعة البسيطة حياة الإنسان، لكان العالم قد تغيّر إلى الأفضل منذ زمن طويل، غير أنّ الدين لا يتحقق بهذه البساطة.

من المهمّ أن تعرف الشهوة «الكاما» إذا أردت البحث والوصول إلى الإله «راما». لماذا؟ على سبيل المثال رجل يُريد الذهاب من مدينة «بومباي» إلى مدينة «كالكوتا». في البداية عليه أن يحصل على معلومات عن «كالكوتا»، أين تقع؟ وفي أيّ جهة هي؟، ولكن إذا لم يكن يعرف أين تقع «بومباي»، وفي أيّ جهة هي من «كالكوتا»، فكيف سينجح في مُهمته؟. كي نصل من «بومباي» إلى «كالكوتا» من الضروري جدًا أن نعرف أين تقع «بومباي» أولاً. إذا كنتُ لا أعرف أين تقع «بومباي»، فإنّ معلوماتي عن كيفية الوصول إلى «كالكوتا» عديمة القيمة، ولا بُدّ رغم كلّ شيء أن أبدأ مِن «بومباي»، لأنّ رحلتي تبدأ من «بومباي». إنّ نقطة البداية تأتي أولاً، أمّا الوجهة فتأتي لاحقًا.

أين تقف الآن؟.

تقول إنّك تتوق من أجل القيام برحلة إلى «راما»؟ هذا جيّد.

تقول إنّك ترغب بالوصول إلى الإله؟ جيّد جدًّا.

ولكن أين تقف الآن؟

في الواقع أنت تقف الآن في الرغبة، وعند شهوة الجنس، ومِن هذه النقطة حيث أنت الآن، عليك أن تتخذ الخطوة الأولى إلى الأمام، من المُهمّ جدًا أن تُدرك أين أنت الآن، ومِن خلال تقبّل هذه الحقيقة البسيطة وفهم هذه الحقيقة المُرّة، يُمكنك رؤية إمكانية المُستقبل. من المُهمّ أن تعرف مَن أنت كي تعرف ما الذي تستطيع تحقيقه.

من الضروري أن تبدأ بالخطوة الأولى كي تصل إلى الخطوة النهائية، ذلك أنّ الخطوة الأولى ستُمهّد الطريق إلى الخطوة الثانية، وفي نهاية الأمر يصل الإنسان إلى الخطوة الأخيرة من الرحلة. إذا اتخذتَ الخطوة الأولى في الاتجاه الخاطئ فلن تصل إلى الوجهة المطلوبة أبدًا، ورُبّما تصل إلى الصحراء المُقفرة بدلاً مِن ذلك. بالتالي إذا كنتَ ترغب بالوصول إلى المُطلق، فمن المهم جدًّا بالنسبة إليك أن تفهم الشهوة والرغبة «كاما»، كي تفهم الرب «الراما». في الحقيقة لا يُمكنك الوصول إلى الإله دون أن تفهم الجنس أولاً.

أنا مطّلع أيضًا على آراء فرويد حول الجنس، والتي رُبّما تكون قيّمة ومقبولة، لكنني تساءلتُ كيف يُمكن أن أعتبرها حقيقية وصادقة. كيف تستطيع أن تُقرر ما إذا كنتُ صادقًا أمينًا أم لا؟ في هذا الصدد، مهما قلتُ فلن يكون أمرًا حاسمًا لأنني أنا نفسي موضوع قيد الدراسة. إذا قُلتُ إنني صادق

فهذا كلام لا معنى له، وإذا قلتُ إنني غير صادق فهذا أيضًا لا معنى له، لأنّ الموضوع مطروح للنقاش سواء كان الشخص الذي يُدلي بهذا التصريح صادقًا أم غير صادق. لذلك مهما قلتُ في هذا الصدد فسيكون بلا معنى، وسيكون تافهًا. إنني أقول: جرّب الجنس واكتشِفْ بنفسك ما إذا كنتُ صادقًا أم لا. سوف تكتشف حقيقة أقوالي عندما تُحقق التجربة بنفسك، ولا تُوجد أيّ طريقة أخرى.
على سبيل المثال، إذا كنتُ أتحدّثُ عن طريقة معيّنة في السباحة، رُبّما ينتابك الشك فيما إذا كانت طريقتي عملية أم لا. وجوابي على هذا سيكون بأن أطلب منك أن تذهب إلى نهر وتقفز فيه، فلو كانت طريقتي تُساعدك على السباحة في النهر، فستعرف أنّ ما قلتُه لك لم يكن عديم القيمة ولا نفاقًا.
أما فيما يتعلّق بِـ «فرويد»، فأنا أرغب أن أُوضّح لهذا الصديق أنّه من المُحتمل جدًا أنّ «فرويد» لم يكن مُدركًا لما أقوله لكم هنا، لأنّ فرويد كان أحد المُتنبئين القلائل الذين قادوا البشرية نحو التحرر الجنسي، ولكن لم تكن لديه أيّ فكرة من أيّ نوع عن وجود الجنس الروحي. إنّ المعرفة التي نظّمها «فرويد» كانت تتعلّق بالجنس المَرَضي، أي أنّ أبحاثه كانت في علم الأمراض. لقد كان «فرويد» طبيبًا وقد استُخدمت اكتشافاته كعلاجات وُزِّعت على الناس المرضى. لم يدرس «فرويد» الجنس الطبيعي والعادي، فهو كان عالمًا باحثًا بتعامل مع المرض والشذوذ، وكان جُلّ تفكيره ينصبُّ بشكل أساسي على العلاج والمداواة.
لذلك إذا كنتَ مُصرًّا على التأكد مِن صحة ما أقول، عليك أن تتحول إلى فلسفة «التانترا» التي قامت بمحاولات مُبكّرة من أجل جعل الجنس روحيًا، وبالرغم من أننا حُرِمنا من التفكير بـ«التانترا» منذ آلاف السنين، فإنّ تماثيل «خاجوراهو» ومعابد «بوري» و«كوناراك» هي شواهد حية. هل ذهبتَ إلى «خاجوراهو» مِن قَبْل؟ هل رأيتَ الصور هناك؟. إذا حصل هذا، فلا بُدّ وأنّك اطّلعتَ على ظاهرتين مُدهشتين: الأولى هي أنّك حتّى بعد أن تُشاهد صور الأزواج العارية في الجماع، فلن تشعر بأيّ إحساس مُبتذل، ولن ترى أيّ شيء قبيح أو سيء في صور النساء والرجال العراة. الظاهرة الثانية أنّك ستختبر معنى السلام وسيُغلّفك شعور بالقداسة، وستتفاجأ من ردة فعلك. لقد كان هؤلاء الذين تخيّلوا هذه التماثيل وصنعوها أُناسًا رأوا وعرفوا الجنس الروحي على نحو وثيق.
إذا رأيتَ الإنسان في وضع جنسي ونظرتَ إلى وجهه وعينيه فسيبدو قبيحًا ومُخيفًا ومُتوحشًا، وسترى الشهوة المُزعجة والوحشية بادية في عينيه. عندما ترى المرأة رجلاً يقترب منها وهو مُمتلئ بالشهوة، فسترى فيه عدوًا يقترب منها وليس صديقًا حتّى ولو كان عزيزًا عليها، ولن يبدو لها كائنًا بشريًا بل رسولٌ قادم من الجحيم. غير أنّك ستجد على وجوه تلك التماثيل ظلاً لعظَمَة «بوذا»، وترى انعكاس «مهافير» السامي، ثمّ إنّ الاتزان والصفاء اللذان يبدوان على وجوه تلك التماثيل هما من «السمادهي»، حيث تنبعث منها قدسية هادئة، إذا تمعنتَ في تلك التماثيل ستغمرك موجة سلام أبدي مهيبة.

على الرغم من أننا في كثير من الأحيان قد لاحظنا هذه الحقيقة نفسها في التجربة البشرية العادية، إلا أننا بالفعل لم نكن قادرين على رؤيتها. على سبيل المثال، إذا صادف ورأيتَ شخصين يتشاجران في الطريق فستشعر برغبة في التوقف ومُشاهدة العراك. لماذا؟ هل فكرتَ ما ستجنيه من رؤية الآخرين وهم يتعاركون؟ إنّك تترك العمل المُتراكم جانبًا وتتوقف مُدة نصف ساعة كي تُشاهد الناس وهم يتعاركون، كما أنّك تذهب أيضًا إلى مباريات الملاكمة، لماذا؟ ربما لا تُدرك أنّ

لها أثرًا علاجيًا عليك، فمن خلال مُشاهدة رجلين يتعاركان ستُرضي غريزة القتال الكامنة في داخلك، فتتبدد وتتخلص منها وتُصبح أكثر هدوءًا، وكذلك إذا جلس الإنسان وتمعَّن بعقل هادئ في صور الجماع، فيُمكن أن يُبَخِّر ذلك المهووس المجنون الداخلي، وذلك النشاط الجنسي الأحمق للإنسان.

ذهب رجل إلى طبيب نفسي يعرض عليه مُشكلة، فقد كان مُتضايقًا جدًا من رئيسه، وعندما كان رئيسه يقول له أيّ شيء فإنّه كان يغضب على الفور ويشعر بالرغبة في نزع حذائه كي يضرب رئيسه به.

كيف يُمكن أن تضرب رئيسك؟ هل هناك شخص لم يشعر برغبة في ضرب رئيسه في موقف ما؟ في الحقيقة من النادر أن يُوجد مثل هذا الموظّف.

على أيّ حال، اِستمرّ الرجل في قمع رغبته في ضرب رئيسه، وبدأت تتشكل لديه عقدة بسبب هذا الأمر، ولأنّه كان يخشى بالفعل من أن يضرب رئيسه يومًا ما، بدأ يترك حذاءه في البيت، ومع ذلك عندما شاهد رئيسه امتدّت يده تلقائيًا نحو قدميه، ولكن لحُسن الحظ كان قد تركَ الحذاء في المنزل، لقد شعر بالراحة بعض الشيء، ولكنّه كان يعلم أنّه يومًا ما في حالة جنون رُبّما يخلع حذاءه ويرمي به رئيسه.

لم يُحرر الرجل نفسه من الحذاء بتركه في المنزل، فقد استمرّ الحذاء في مخيّلته بالتضخم، فلو كان يعبث بقلم، فسوف يرسم حذاءًا على الورق، وفي لحظات الخمول يُخطط شكل حذاء. لقد ملأ الحذاء تفكيره، وكان يخشى كثيرًا من أن يُقدم على ضرب رئيسه في لحظة ما.

لقد أخبر عائلته في المنزل أنّه من الأفضل ألا يذهب مُطلقًا إلى المكتب فقد أصبحت حالته العقلية مهووسة بضرب مديره إلى درجة أنّه لو لم يجد حذاءه، فقد ينتزع حذاء شخص ما آخر ويضرب به رئيسه، لقد بدأت يده تتحرك إلى أقدام زملائه. عند ذلك قررت عائلته أنّه حان الوقت المناسب كي يأخذوه إلى طبيب نفسي، وهكذا ذهب إلى الطبيب النفسي.

قال الطبيب النفسي: إنّ مرضه لا يُثير القلق كثيرًا وأنّ المسألة قابلة للعلاج، فنصحه أن يُعلّق في المنزل صورة رئيسه ويضربها بالحذاء خمس مرّات كلّ صباح، ويجب أن تُضرب الصورة بإخلاص قبل أن يمضي إلى مكتبه، علاوة على هذا، فإنه لا ينبغي أن يفوّت يومًا واحدًا، ويجب أن يُمارس هذا الطقس يوميًّا تمامًا مثل صلاة الصباح، وأن يُكرر العملية بعد أن يعود من مكتبه كلّ يوم.

في البداية كانت ردة فعل الرجل أنّه قال: «أيّ هراء هذا؟»، بالرغم مِن أنّه كان مذهولاً من هذه الفكرة، ثمّ شعر بسعادة كبيرة حيالها، فتمَّ تعليق الصورة، وبدأ بتنفيذ الطقس في الأوقات المُحددة.

في اليوم الأول، عندما ذهب إلى المكتب بعد أن ضرب الصورة خمس مرّات، لاحظ إحساسًا غريبًا: لم يشعر بالغضب تجاه رئيسه كما في السابق. في غضون أسبوعين أصبح مُهذّبًا جدًا تجاه ربّ عمله، كما لاحظ رئيسه أيضًا هذا التغيّر، لكنّه بالطبع لم يكن مُدركًا لما حصل. لقد أخبره الموظفون معه أيضًا أنّه أصبح مُهذبًا ومُطيعًا جدًا ولطيفًا بالفعل، ثمّ طلب أن يعرف ماذا حصل. أجاب الموظّف: «أرجوكم لا تسألوني عن هذا، وإلا سيعود الاضطراب مُجددًا إلى كلّ شيء، لا يُمكنني إخباركم أبدًا».

ما الحقيقة التي تكمن خلف هذه القصة؟ هل يُمكن في الواقع تحقيق أيّ شيء من خلال ضرب صورة؟ في الحقيقة نعم، لأنّه ببساطة، من خلال ضرب الصورة، يختفي ويتلاشى هاجس الإنسان بأن يضرب رئيسه بالحذاء.

إنّ معابدَ مثل «خاجوراهو» و«كونارك» و«بوري» يجب أن تكون في كلّ زاوية وركن من هذا البلد. إذ لا يُوجد شيء مُهمّ في المعابد الأخرى، ولا يُوجد فيها شيء علمي، كما أنّها بلا تخطيط وليس لها أيّ معنى ولا حاجة لها على الإطلاق. أمّا وجود معابد «خاجوراهو» وما شابهها فهو مليء بالمعنى. إذ ينبغي لأيّ شخص يشغل الجنس تفكيره على نحو مُفرط أن يذهب إلى تلك المعابد ويتأمل فيها، وعندما يعود فسوف يستنير قلبه ويكون في سلام.
لقد سعى أتباع «التانترا» إلى تحويل الجنس إلى الروحانية، ولكنّ خطباء الأخلاق في بلدنا لم يسمحوا بوصول هذه الرسالة إلى العامة، وهم أنفسهم الذين أرادوا إسكاتي عن محادثاتي.
عندما عدتُ إلى «جابالبور»، وبعد ثلاثة أيام من أحاديثي في قاعة «البهاراتيا فيديا بهافان» في «بومباي»، وصلتني رسالة من صديق يقول فيها: إنني إذا تابعتُ هذه الأحاديث فسوف أُقتَل. أردتُ أن أردّ عليه، ولكن يبدو أنّ ذلك السيد العدواني هو شخص جبان، لأنّه لم يُوقِّع رسالته ولا أعطى عنوانه، رُبّما لأنّه خاف من أن أُبلّغ الشرطة، ومع ذلك، إذا كان حاضرًا هنا فينبغي أن يتقبّل إجابتي الآن، أنا مُتأكّد أنّه يختبئ خلف جدار أو شجرة ما، إن كان موجودًا حولنا في أيّ مكان، أُريد أن أقول له إنني لن أُبلّغ عن التهديد، لكنّه ينبغي أن يُعطيني اسمه وعنوانه حتّى أتمكن من إرسال رد إليه، ولكن إذا كان لا يجرؤ على ذلك، فسأُعطيه إجابتي هنا، وعليه أن يُصغي بعناية.
من الجائز أنّه لا يُدرك ما أقول، لكنّه في المقام الأول يجب ألا يتعجّل بقتلي، لأنّه في لحظة اطلاق الرصاصة عليّ فسيُصبح كلامي حقيقة أبدية، فلو أنّ «يسوع» لم يُصلَب، لكان العلم نسيه منذ زمن طويل. لقد كان الاضطهاد مُفيد بالنسبة إلى «يسوع» على نحو ما، يقول الكاتب «جورج جوزيت»: «إنّ «يسوع» قد خَطط لعملية صلبه، لقد أراد «يسوع» نفسه أن يُصلب، لأنّه بعد ذلك ستُصبح كلّ كلمة بشّرَ بها حقيقة حيّة عهودًا طويلة وتكون مُفيدة بالنسبة إلى ملايين الناس».
هذا الكلام جائز إلى حد ما، فقد كان «يهوذا» الذي باع «المسيح» بثلاثين قطعة نقدية من أحبّ تلامذته، وما لا يُمكن تصديقه أنّ الشخص الذي قضى سنوات كثيرة مع «يسوع»، يُمكن أن يبيعه بمثل هذا المبلغ التافه، ما لم يطلب منه «يسوع» نفسه أن يفعل ذلك، وما لم يقترح «يسوع» ذاته أن يخونه «يهوذا» ويُرتّب مسألة الاضطهاد كي تُصبح كلماته ينبوع رحيق أبدي تُحرر المليارات من البشر.
لو صُلب «مهافير» كان يُمكن أن يكون هناك ثلاثمئة مليون ياني في العالم وليس ثلاثة ملايين فقط، لكنّ «مهافير» تُوفّي بهدوء، ورُبّما لم يُفكّر أبدًا في الموت على الصليب، فلم يُحاول أحدٌ فعل ذلك أو ترتيبه لنفسه، ولم يسعَ إلى ذلك «بوذا»، ولا «محمد»، ولا «راما»، ولا «كريشنا»، ولا «مهافير»، ما عدا «يسوع» الذي سُمّرَ على الصليب، ممّا أدى إلى أنّ نصف العالم اليوم من المسيحيين، ورُبّما يعتنق العالم بأكمله ذات يوم المسيحية، وهذا هو جانب الصلب الأكثر إشراقًا.
من أجل هذا أقول لصديقي ألا يُسرع كثيرًا في إطلاق الرصاص عليّ، وإلا سيندم على فعلته طوال حياته.
الأمر الثاني: يجب ألا يقلق كثيرًا بشأن ذلك، لأنني لا أنوي أن أموت ميتة طبيعة، فعندما يحين الوقت المناسب، سأبذل أقصى جهدي كي أرى ذلك الشخص أو غيره وهو يُطلق عليّ النار، عليه ألا يتسرّع لأنني سأُرتّب هذا الأمر بنفسي. صحيح أنّ الحياة مُفيدة، ولكن عندما يُغتال شخص، يُصبح الموت مُفيدًا أيضًا فالموت بالرصاص يُمكن أن يحقق ما لا يُمكن أن تُحققه الحياة في كثير من الأحيان.

في الحقيقة لا أحد يموت بالاغتيال، وإنّما يُساعد الاغتيال على تخليد ذكرى الإنسان، فحبكة الحياة معقّدة، وقصة الحياة مليئة بالإثارة والأشياء التي ليست مثلما تبدو بسيطة. إنّ الإنسان الذي يموت ميتة طبيعية يموت إلى الأبد، بينما الإنسان الذي يموت برصاص قاتل مُتعصّب فلن يموت أبدًا.
بينما كان يُحضَّرُ السم لـ«سقراط»، سأله بعض أصدقائه عن كيفية التعامل مع جسده بعد أن يموت: «هل ينبغي أن تُحرق الجثة، أم تُدفن أم ماذا؟». ضحك «سقراط» وقال: «أيّها السُخفاء! أنتم لا تعرفون أنّكم لن تستطيعوا دفني أبدًا. سأعيش حتى بعد أن تموتوا جميعكم، وكلّ اللعبة أنني اخترتُ الموت كي أعيش إلى الأبد».
لذلك يا صديقي، إذا كنتَ موجودًا هنا، عليك ألا تتصرف على نحو طائش، وإلا ستجد على الفور أنّك أنت الخاسر، فلن يُصيبني أذى لأنني لستُ مِمَن يقتلهم الرصاص، بل واحد من أولئك الذين يبقون أحياء بإطلاق الرصاص عليهم، لا ينبغي أن تتسرّع بقتلي، ولا أن تنزعج أيضًا لأنني سأبذل قصارى جهدي كيلا أموت ميتة طبيعية. فهذا النوع من الموت لا يليق بي، لأنّه موت لا قيمة له. والنقطة الثالثة هي أن يتذكّر ألا يخاف من توقيع الرسائل، وألا يخشى من إعطاء عنوانه.
فإذا كنتُ مُقتنعًا أنّ هناك شخص شجاع إلى درجة كافية، ومُستعد تمامًا لإطلاق النار عليّ، فسألتزم بالموعد دون أن أُخبر أحدًا حتى لا يُتّهم لاحقًا.
لا يُوجد شيء غريب بالنسبة إلى هذا الرجل، فقد كتب رسالته وهو مُقتنع أنّه يحمي الدين، ولأنّه يعتقد أنني أُريد تدمير الدين، وهو يُريد الانتقام لقداسة الدين. لم تكن نواياه خبيثة، ومشاعره كانت صادقة جدًا وهي بالنسبة له مشاعر دينية خالصة.
إنّ هؤلاء الذين يُسمّون بالناس المُتديّنين يلعبون بمشاعر العالَم أجمع. رُبّما تكون نواياهم حسنة جدًّا، ولكنّ تفكيرهم ضحل جدًا، فمنذ عصور خنق هؤلاء المغرورون وأمثالهم عملية نمو الحقيقة على نحو كامل، وانتشر الجهل على نطاق واسع بسبب خنقهم المعرفة بالطريقة نفسها، فأصبح الناس يتخبّطون ضائعون في ظلام الجهل الدامس. بينما بنى هؤلاء الخطباء الأخلاقيون وسط الظلام منابر مرتفعة كي يُلقوا على البشرية مواعظهم.
بالمقابل عندما يبدأ شعاع الحقيقة في البزوغ في حياة البشرية فسيُصبح هؤلاء الوعّاظ ورجال الدين عاطلين عن العمل. عندما نكون قادرين على إحداث صِلات حيّة مع الإله، ونتوصل إلى معرفة «السامادهي»، وعندما تبدأ حياتنا الدنيوية والعادية في التحوّل إلى حياة إلهية، فلن يبقى أيّ عمل عند هؤلاء الواعظين والخطباء. عندما يبدأ الناس بتلمّس طريقهم في الظلام لا يعود للواعظ أيّ فائدة.
إنّ الحاجة إلى الطبيب تبرز عندما يُصبح الناس مرضى، ولكن إذا كفّ الناس عن الوقوع في المرض، فلن تكون هناك حاجة إلى الطبيب. إنّ مهنة الخطابة تزدهر مثل مهنة الطب من جراء الصراع الداخلي، إذ تعتمد معيشة الطبيب على اصابة الناس بالأمراض، ومع أنّه في الظاهر يُعالج الطبيب المرضى، أمّا في الباطن فهو يأمل أن يزدادوا مرضًا، وعندما يكون هنالك وباء فهو يشكر الإله على ذلك.
لقد سمعت قصّة.
ذات مساء أقام مجموعة من الأصدقاء حفلة كبيرة، فأكلوا وشربوا واستمتعوا حتى بزوغ الساعات الأولى مِن الصباح، وعندما بدؤوا بالانصراف، طلب مالك الفندق من زوجته أن تشكر الإله لأنّه أرسل لهم هذا العدد الكبير من الزبائن، فلو استمرّ هذا المُجون كلّ يوم فسيُصبحون أغنياء. أمّا

المُضيف الذي كان يدفع الفاتورة، فقد طلب من المالك أن يُصلّي من أجل أن يعودوا مُجددًا كي يزدهر عمله أيضًا.
سأله المالك: «بالمناسبة، ما عملك سيدي؟».
أجاب المضيف: «إنني مُتعهد دفن الموتى، وعملي يزدهر أكثر عندما يموت الناس».
بالمثل، فإنّ مهنة الطبيب مُعالجة الناس، ولكن كلّما مَرِضَ الناس أكثر، جنى مالاً أكثر، وهو يأمل ضمنيًا ألا يتعافى مرضاه بسرعة، ولهذا السبب تتطلب عملية الشفاء وقتًا كي يتعافى المرضى وخصوصًا الأغنياء منهم. أمّا المرضى الفقراء فيتماثلون للشفاء بسرعة، لأنّ الطبيب لا يحصل على الكثير من المال إذا مَرِض الفقير مُدة طويلة. إنّ الربح يأتي مِن المرضى الأغنياء، ولهذا يعمل الطبيب ببطء عندما يُعالِجُ الغني. وعلى أيّ حال فالأغنياء مُعتلّون دائمًا، وهم يُعتبَرون الإستجابة لصلوات ودعوات الأطباء.
يندرج الواعظ في الخانة نفسها، إذ كلّما كان الناس لا أخلاقيين وعدوانيين، وكلّما عمّت الفوضى أكثر، ارتفع منبره أكثر وازدادَتْ الحاجة إليه كي يحضّ الناس على اللاعنف، وعلى أن يتصرفوا باستقامة، وينتبهوا إلى النظام، ويلتزموا بالقانون، وهلمّ جرّا. إذا تصرّف الناس باستقامة والتزام وانضباط، وكانوا مُسالمين وصادقين وأتقياء، فإنّ مهنة الخطيب الداعية الواعظ سيُصيبها الكساد.
لماذا يُوجد الكثير من الخطباء وما يُسمّى زعماء الدين في «الهند» أكثر من أيّ مكان في العالم برمّته؟ لماذا يُوجد في كلّ قرية، وكلّ منزل، عالم دين أو مُعلّم أو راهب أو كاهن؟ لماذا يُوجد هذا الجيش الكبير من رجال الدين في هذا البلد؟
لا ينبغي للإنسان أن يفترض أننا أناس متديّنون عل نحو عميق لمُجرّد أنّه لدينا الكثير من القدّيسين والمعلّمين. في الحقيقة، نحن اليوم أحد أكثر البلدان لا تدينًا ولا أخلاقية في العالم. من أجل هذا السبب يجد الكثير من الخطباء والدعاة فرصًا ذهبية في بلدنا، فقد أصبح الوعظ سمتنا القومية. لقد أرسل صديق لي مقالاً من مجلة أمريكية، وأراد أن يأخذ رأيي في العيب الذي لاحظه فيه، وكان المقال مُضحكًا وطريفًا، إذ يُقرر أنّ السمة القومية لأيّ بلد يُمكن التحقق منها بأن نأخذ شخصًا ثمِلاً من ذلك البلد ونُراقبه. فإذا أصبح الهولندي ثمِلاً كما يذكر المقال، فسينقضّ على الطعام بعد تناوله الشراب ويرفض ترك المائدة قبل ساعتين أو ثلاث ساعات، وإذا ثمِل الفرنسي فإنّه يُصبح متوتّرًا ويُريد أن يرقص أو يغنّي. إذا ثمِل الإنكليزي، فسيذهب إلى ركن ما ويجلس فيه وينطوي ليُصبح أكثر هدوءًا. إنّ الانكليزي هادئ عادة، ولكنّه في حالة السُكر يًصبح أكثرهدوءًا. هذه هي ردود الأفعال النموذجية المُختلفة طبقًا لما ورد في المقال.
لم يأتِ المقال على ذكر الهندي بطريق الخطأ أو بسبب الجهل، وقد سألني صديقي ما إذا كان لدي شيءٌ أقوله عن شخصية الهندي، فماذا يحدث إذا أفرط الهندي في الشراب؟ كتبتُ له ذلك الجواب الشائع عالميًا: عندما يُصبح الهندي ثمِلاً فإنّه يبدأ بالوعظ على الفور، هذه هي سمتنا القومية.
إنّ هذا الطابور الذي لا ينتهي من الخطباء، والزهّاد، والرهبان، والمعلّمين هو دلالة على مرض واسع الانتشار، ودلالة على تفشي اللاأخلاقية على نحو كبير، وأغرب ما في الأمر أنّه لا أحد منهم يُريد أن ينقرض هذا الفجور والفساد والانحلال، ولا أحد يُريد أن يُستأصل هذا المرض، لأنّه عندما يبرأ الناس فلن تستمر مهنة الخطيب الواعظ، ولذلك تستمرّ رغبته الداخلية في أن يزداد هذا المرض وتلك العلة.
إنّ أسهل طريقة كي يسمح باستمرار هذا المرض دون رقيب أو حسيب هي اعاقة نمو المعرفة الشاملة عن الحياة، وتخويف الناس من فهم السمات العميقة والهامة لها. إنّ الجهل بحقائق الحياة

هو الذي يتسبب تلقائيًا بانتشار الانحراف والفجور والفساد، ولو سعى الناس لإدراك ومعرفة حقائق الحياة النيّرة والعميقة، فسيتلاشى اللاتدين والأمراض المرتبطة به تباعًا.
أُريد أن ألفت انتباهكم إلى حقيقة أنّ الجنس هو جانب من جوانب الحياة المسؤولة في الحياة عن مُعظم الفجور والعُهر، وقد كان دائمًا السبب الأساسي الأكثر جدية في الانحراف والفساد والغباء عند الإنسان، ولهذا السبب لا يُريد زعماء الدين التحدّث عنه أبدًا.

لو كانت لديّ أدنى رغبة في أن أُصبح «ماهاتما»، لما اخترتُ هذا الموضوع في المقام الأول. فالإنسان لا يُمكن له أن يُصبح «ماهاتما» إذا لم يكن ذكيًا جدًا في اختيار مواضيع خُطبه. أنا لم أكن «ماهاتما» يومًا، ولا أرغب بالتأكيد أن أُصبح «ماهاتما»، فتلك الرغبة في حدّ ذاتها هي انعكاس الأنا الواضحة والماكرة. أنا إنسان، وهذا جيّد بما فيه الكفاية بالنسبة إليّ، ألا يكفي أن أكون إنسانًا فحسب؟ ألا يستطيع الإنسان أن يكون سعيدًا دون الركوب على أكتاف الآخرين، ودون فرض نفسه على الآخرين، ودون الحصول على السلطة بشكل أو بآخر؟ ألا يُمكن للإنسان ببساطة أن يكون سعيدًا ببقائه إنسانًا؟ في الحقيقة أجدُ نفسي في كلّ الحالات سعيدًا وراضيًا.
أنا أتوق إلى العظمة في الإنسانية، وأرغبُ أن أرى إنسانًا عظيمًا، أليس مِن العظمة أن تُصبح إنسانًا، وأن تُحقق القدر الكافي من الإنسانية؟ إنّ كلّ إنسان يُمكنه أن يُصبح عظيمًا بالمعنى الحقيقي للكلمة. لقد ولّت أيام «الماهاتمات» والمعلِّمين، ولم يعُد هناك حاجة إليهم، فالبشرية العظيمة هي الأساس، والحاجة الراهنة هي إلى إنسانية عظيمة، لقد كان هناك رجال عظماء كثر، ولكن ما الذي كسبناه منهم؟ إنّ الحاجة ليست إلى رجال عظماء بل إلى بشرية عظيمة.
أحتاج إلى إنسان يقول الحقيقة على الأقل، أحتاج إلى شخص واحد يستنتج أنني لست رجلاً عظيمًا، لقد أراحني ذلك الرجل عندما خاب أمله وظنه فيّ. لقد كتب لي كي يُغويني «بالماهاتمية»، إذ يقول إنني سأكون مُعلّمًا عظيمًا لو توقّفتُ عن مناقشة هذه المواضيع. إنّ مثل هذه الأساليب كانت تنطلي حتّى الآن على «الماهاتمات» والمعلِّمين، والنتيجة هي أنّ هؤلاء العلماء «الضعفاء»، لم يُناقشوا هذه المواضيع التي رُبّما ثبت لهم أنّها تُدمّر موقعهم كمُعلمين و«ماهاتمات»، ولأنّهم مهتمّون جدًا بإنقاذ عروشهم، فلم يكترثوا إلى عدد الناس الذين يتأثرون بهذه المواضيع بصورة مؤذية.
أنا لا يعنيني أن أكون في مركز عالٍ ولا أحلم بذلك ولا أُخطط للحصول عليه، ولكن جُلّ ما أخشاه أن يأتي شخص ما ذات يوم ويجعلني «ماهاتما».
ليس هناك نقص في المعلمين أو «الماهاتمات» هذه الأيام، والمهمّ بالنسبة إليّ كشخص هو اتخاذ الموقف الصحيح وهذا ما يحصل دائمًا. إنّ جوهر الموضوع ليس توفّر «الماهاتمات»، بل كيف يتطوّر الإنسان الحقيقي. ماذا نفعل من أجل تحقيق ذلك الهدف؟ كيف نُعدّ أنفسنا من أجل تلك المهمة؟.
إنني واثق ومؤمن بأن ما ناقشناه سيكون دليلاً لكم على الطريق الصحيح باتجاه تحطيم تلك الحواجز التي تقف في طريق تطور الإنسان الحقيقي. إنّ الطريق واضح، وتحوّل الرغبة والشهوة التدريجي عندكم هو أمرٌ مُمكن، إذ يُمكن أن يتحوّل الجنس إلى «سامادهي».
أمّا الآن، فما أنتم إلا رغبتكم وشهوتكم ولستم أرواحكم، يُمكن أيضًا أن تُصبحوا أرواحكم، ولكن فقط عبر تحوّل رغبتكم الجنسية التدريجي، وعند ذلك فقط يُمكن أن تبدأ رحلتكم إلى الإله.
هناك الكثير من الأسئلة المشابهة التي أُرسلت إليّ، لذلك اسمحوا بأن أستعرض بضعة نقاط مُهمة.

قلتُ لكم سابقًا إنّه يجب عليكم السعي جاهدين باستمرار كي تُدركوا ومضة «السمادهي» في الجماع، ويجب أن تُحاولوا فهم هذه النقطة: إنّ ومضة «السمادهي» تُومض كالبرق أثناء الجماع، وتُضيء مُدة ثانية ثمّ تختفي، ويجب أن ينصبّ جهودكم على معرفتها، والإطلاع عليها والتمسّك بها، فإن نجحتم في ذلك ولو مرّة واحدة، فستعرفون في تلك اللحظة أنّكم لستم الجسد وإنّما شيء غير مادي، في تلك اللحظة من الزمن، أنتم لستم جسدًا وإنّما تتحولون إلى شيءٍ آخر، فتتركون الجسد في الخلف وتُصبحون الروح والذات الحقيقية. إذا حصلتُم على ومضة من تلك العَظَمة ولو مرة واحدة، يُمكنكم متابعتها بعد ذلك من خلال التأمّل كي تُنشئون علاقة دائمة وعميقة معها. عند ذلك تهتدون إلى الطريق الذي يقودكم إلى «السامادهي»، ويُصبح الأمر جُزءًا من فهمكم ومعرفتكم وجُزءًا مِن حياتك، ولن يعود هناك مكان مِن أجل الرغبة والشهوة.

يخشى صديق آخر مما قد يحدث لنسلنا وذريّتنا برمّتها إذا أسقطنا الجنس بهذه الطريقة فيقول: «إذا حقق الجميع العزوبة من خلال «السامادهي»، فماذا عن جيل المستقبل؟».

يُمكن القول إنّ هذا النوع من الأطفال التي يتمُّ انتاجه الآن لن يكون موجودًا بالتأكيد، فطريقة الإنجاب الحالية جيدة من أجل إنجاب القطط والكلاب وأنواع الحيوانات الأخرى، ولكنّها لا تليق بالإنسان بالقدر الكافي، فما هذا الموقف الغريب من التناسل؟ ما هذا الطيش في إنجاب الطفل؟ إنّ هذا الصنف من البشر، وهذا النوع من التناسل العرضي هو تناسل بلا هدف وبلا فائدة. انظروا كم أصبح عدد هذه البشرية! لقد انفجر عدد السكان في بلدنا إلى درجة لا تُصدّق، وإذا لم يتمّ ضبط زيادة السكان على الفور، فكما يقول العلماء، لن يكون هناك مكان لموطئ قدم في المئة سنة القادمة! وسيشعر الإنسان أنّه دائمًا في حالة اجتماع مع الناس، فحيثما نظرت سترى اجتماعًا مُنعقدًا، ولا حاجة إلى الدعوة إلى الاجتماع.

إنّ سؤال هذا الصديق في صميم الموضوع، ورُبّما يسأل: كيف سيتمّ إنجاب الأطفال إذا أصبحت العزوبة شيئًا اعتياديًا؟.

هنا أُريد أن أُقدّم مفاجأة أُخرى، وهو أنّه يُمكن أن يُولد الأطفال أيضًا في ظل حالة العزوبة، إلا أنّ الغرض والمعنى النهائي من إنجاب الأطفال سيكون له بُعْد مُختلف، فالرغبة والشهوة ليست وسيلة الإنجاب الصحيحة، أمّا العزوبة فهي البيئة المتميّزة بالقدر الكافِ، ذلك أنّ ولادة الطفل الآن هي ولادة عرضية، فأنت تُمارس الجنس بدافع أو بآخر، وتُنجب الأطفال ليكونوا ضيوفًا دخلاء، فلا تستطيع أن تحمل المحبة تجاه هؤلاء الأطفال إلا بالقدر الذي تحمله تجاه الضيوف المُتطفّلين.

كيف تتعامل مع الضيوف غير المدعوين؟ تُجهّز لهم الأسِرَّة، وتُقدّم لهم الطعام، وتستقبلهم بأدب وتُدلّلهم، ولكن كلّ ما تقوم به سيكون من مُنطلق آداب السلوك، دون شعور الحب من الداخل، بينما تقول في تفكيرك على نحو مُستمرّ: «متى يُغادر هؤلاء الأشخاص المُملّون؟».

كذلك تُعاملُ الأطفال غير المرغوب بهم بالطريقة نفسها، وذلك لسبب بسيط هو أنّك في الحقيقة لم تكن تُريدهم في المقام الأول، لقد كُنتَ تجري وراء شيء آخر والأطفال هم نتيجة عرضية، إنّ أطفال اليوم ليسوا نتاجًا مُتعمّدًا بل هم نتاجٌ عرضيّ. إنّهم ليسوا الغلّة في حدّ ذاتها، بل أتوا مع الجنس مثلما تظهر القشور مع الحبوب.

من أجل هذا يُحاول العالم بأكمله حماية الجنس مِن هذه المصادفات، فقد نشأ تحديد النسل من أجل الخروج من هذا الموقف، واختُرِعَتْ الوسائل غير الطبيعية كي نتمتّع بالجنس ونبقى محميين في الوقت ذاته من إنجاب الأطفال. منذ عصور والجهود تُبذل من أجل إنقاذ البشرية من هذا «الشر»، حتّى أنّ كتب الطب «الأيروفيدي» القديمة، تُشير إلى أدوية منع الحمل، وكذلك علماء اليوم

الأنانيين، مُهتمّون أيضًا بالأمر نفسه الذي اهتمّ به علماء الطب «الأيروفيدي» منذ ثلاثة آلاف سنة.
لماذا يُركّز الإنسان على هذه الأبحاث؟ لأنّ الأطفال يُثيرون العواصف ويطفون على السطح بين الأشياء، ويجلبون عبء المسؤولية، وهناك خطر حصول فتور لدى المرأة تجاه الجنس بعد الولادة.
إنّ الرجال أيضًا لا يُريدون الأطفال. من المؤكّد أنّه قد يرغب الرجل بالأطفال إذا لم يكن لديه أطفال، ولكن ليس لأنّه يُحبّهم بل لأنّه يُحبّ ثروته، فعندما يرغب الرجل بطفل، فلا تنخدعوا بمقولة إنّ روحه تتلهّف إلى طفل أو كائن بشري جديد وبريء. لقد جمع ثروته بعرق جبينه، ومن يدري بيد مَن ستقع هذه الثروة بعد موته! إنّه بحاجة إلى وريث من لحمه ودمه كي يحفظ ثروته ويتمتّع بمُمتلكاته. في الحقيقة، لا أحد يُريد طفلاً من أجل الطفل، فنحن نُحاول حماية أنفسنا منهم، غير أنّهم ببساطة يأتون مِن تلقاء أنفسهم. إننا لا نُريد سوى التمتّع بالجنس، بعدها يهبط الطفل فجأة! إنّ هذا النسل هو نتيجة الشهوة الجنسية العرضية، وهو مريض وضعيف يركبه الهمّ والقلق.

إنّك تستقلّ طائرة كي تذهب إلى «نيودلهي»، فالطائرة هي وسيلة من أجل الوصول إلى «نيودلهي»، وعندما تصل إليها لا تقول إنّك لا تُريد الخروج من الطائرة.
عندما تصل إلى حالة من الوعي الفائق عن طريق مُمارسة الجنس، وعندما تُحقق العزوبة، وتصل إلى حالة من التواصل مع الإلهي، فسيكون طفلك مولودًا حقيقيًا، ويكون خلقًا ابداعيًا حقيقيًا!، ولكن حتّى الآن، يتركّز عقل الإنسان المُبدع على بناء آليات دفاعية تُساعده على تجنب إنجاب الأطفال، وتسمح رغم ذلك بالتمتع بالجنس على أكمل وجه، في حين ينبغي أن تنصبَّ الجهود في الاتجاه المُعاكس، لكننا ما زلنا نُريد البقاء في مقاعدنا حتى بعد وصولنا إلى مطار «بالام» في «دلهي»، هل فهمتم قصدي؟ إذا أصبحَتْ العزوبة «براهماتشاريا» مُنتشرة على نطاق واسع، يُمكن أن نُوجّه قدراتنا الإبداعية في الاتجاه الروحي. أمّا في الوقت الحاضر فيتمّ الدفع إلى الجهة المعاكسة وهي أن يمقت الإنسان فكرة الأطفال ويتمتّع بالجنس من أجل الجنس في حدّ ذاته.
أودُّ أيضًا أن أسأل هذا الشخص: لماذا هو قلقٌ كثيرًا على إنقاذ العالم من المُترهّبنين العازبين «البراهماتشاريين»؟ إنّه خائف كثيرًا مِن أنّه إذا أصبح الناس في الوقت الحالي مُترهبنين فسيتوقف إنجاب الأطفال وينتهي العالم. فلتطمئن يا صديقي، لأنّ احتمال أن يُصبح الناس مُترهبنين حسب الحالة الراهنة هو احتمال معدوم، وسيظلّ الأمر كذلك طالما استمرّ ازدراء الجنس على نحو واع وغريب، كلّا يا صديقي، ليس هنالك خطر على العالَم من هذه الزاوية، لكنّ إمكانية انقراض العالَم تتزايد يومًا بعد يوم بسبب هذه الولادات العرضية المُستمرّة، فإذا استمرّت البشرية في إنجاب الأطفال بهذا الشكل فسينتهي العالم بكلّ تأكيد، ولن تحتاجوا إلى قنابل ذريّة أو هيدروجينية. إنّ هذا التزايد في عدد السكان، وهذا التناسل العرضي لحشود الديدان سيُدمّر العالم كليًا.
إنّ الإنسان الجديد المولود من العزوبة سيكون ذا منزلة مُختلفة، وتكون صحّته مُمتازة، ويكون خاليًا من الأمراض، ويكون شكله ومظهره شبيهًا بالتمثال المهيب، وينبعث منه عبير سماوي، ويمتاز بالطيبة والمحبة والصدق والجمال والتديّن. في الحقيقة، سيُولد والدين في داخله، ويكون نوعًا من التجسّد الإلهي.

لقد أنجبنا الكفرة واللامتدينين، وابتُلينا بالكفر منذ الولادة وسنموت في الكفر. لا زلنا في وسط الكفر من الصباح حتّى المساء، ومن يوم مولدنا إلى يوم مماتنا، ومع ذلك نتشدق ونتحدث ونتكلّم في الدين. إنّ الإنسان الأسمى لن يكون ثرثارًا ولن يتفوّه بأيّ كلام فارغ حول الدين، لأنّ الدين سيكون طريقته في الحياة. أمّا نحن فنتحدث عن أشياء ليست جُزءًا مِن حياتنا، ولا نتحدث عن الأشياء التي هي جزء منها. نحن لا نتحدّث عن الجنس لأنّ الجنس هو منهج حياتنا، ولكننا نُواصل التحدّث عن الإله، لأنّ الطريقة التي نعيش بها لا تمتّ بِصِلة إلى الإله بأيّ شكل. في الحقيقة، نبقى راضين عن أنفسنا من خلال الحديث عن الأشياء بالذات التي لا نستطيع الحصول عليها ولا نستطيع تحقيقها.

ألم تُلاحظ أنّ النساء يتكلّمن أكثر من الرجال؟ إنّ النساء دائمًا مُنشغلات بالحديث عن هذا الشيء أو ذاك، مع الجيران، ومع أيّ شخص يُمكن أن يستمع لهنّ، أنا لا أقصد الإساءة، وإنّما يُقال إنّه من الصعب جدًا تخيّل امرأتين تجلسان معًا فترة من الزمن دون التحدّث عن شخص آخر واستغابته.

لقد سمعتُ ذات مرّة عن مسابقة نُظِّمَتْ في الصين من أجل اختيار أعظم كاذب في البلاد، على أن يتلقّى الكاذب الفائز جائزة كبيرة، فتجمّع أفضل الكذّابين في المكان المُختار من أجل هذه المسابقة.

قال أحد الأشخاص عندما جاء دوره: «ذهبتُ إلى مُنتزه، وشاهدتُ امرأتين تجلسان على مقعد وقد التزمتا الصمت».

حدثَتْ ضجة كبيرة، وهلل الجميع وصفقوا قائلين: «لا يُمكن أن تكون هناك كذبة أكبر مِن هذه! هذه أعظم كذبة إلى الآن».

صوَّت الجميع لصالح هذا الرجل.

لماذا تتحدث النسوة بهذا القدر؟ إنّ الرجال لديهم أعمالهم، لكنّ النساء ليس لديهنّ الكثير مما يقُمنَ به، وعندما لا يُوجد عمل كثير، ولا يُوجد نشاط كبير، فهناك دائمًا ثرثرة خاملة. إنّ هذه السمة الأنثوية هي سمة «الهند» القومية، إذ لا يُوجد في الحقيقة أيّ تقدّم في هذا البلد سوى الأحاديث والنقاشات فقط.

لن يكون الإنسان الجديد، أي الإنسان المولود من العزوبة، إنسانًا ثرثارًا، بل إنسانًا يعيش الحياة، إنّه لن يتحدث عن الدين، بل سيعيش في الدين. سوف ينسى الناس الدين كموضوع نقاش تافه، لأنّ الدين سيكون من طبيعتهم. إنّه لشيء رائع ومُلهم أن نتخيّل ذلك الإنسان ونُفكّر به.

لقد وُلد هؤلاء الأشخاص غير أنّ وجودهم نادر، فمن حين لآخر يُولد مثل هذا الإنسان الجميل الذي لا يُمكن أن تُزينه حتّى أغلى الملابس، إنّه يظهر عاريًا دون أيّ ملابس فينتشر جماله المتألق على نطاق واسع، ويتحلّق الناس حوله كي ينظروا إليه ويتعجّبوا من هذه الربانية الحيّة. إنّ أحد الذين كان لهم مثل هذا الوهج وهذه الحيوية، هو ذلك الرجل «فاردهامانا» الذي سمّاه الناس «مهافير»، أي المُنتصر العظيم. لقد تجلّت عَظَمة ومجد «البراهماتشاريا» فيه إلى درجة أنّ الناس كانوا يسجدون أمامه، أمام هذا الرجل الإله. أحيانًا يُولَد «بوذا»، وأحيانًا يُولَد «لاو تسزي»، وقد نجد بضع أسماء قليلة كهذه في تاريخ البشرية جمعاء.

في اليوم الذي سيُولد فيه الأطفال من خلال العزوبة، ومن خلال التواصل مع الإلهي، ورُبّما لا تُحبّون سماع عبارة «أطفال من خلال العزوبة»، إلا أنني أتحدثُ عن مفهوم جديد، وعن إمكانية أكثر سموًا، في ذلك اليوم ستكون البشرية جميلة جدًا، وقوية جدًا، وعطوفة جدًا، ونشيطة وذكية

جدًا، ولن تكون معرفة الذات أو الوعي الكوني بعيدة عن أيّ شخص. وعلى الرغم مِن أنّ هذا أمرٌ صعبُ التخيّل، لكن دعوني أوضّح ذلك بمثال.
إذا قلتُ لشخصٍ يُعاني من الأرق إنّه سيخلد إلى النوم لحظة يُلقي برأسه على وسادة، فعلى الأرجح لن يُصدّقني، وسيقول لي إنّه يتقلّب دائمًا في السرير أو يجلس أو ينهض منه، أو يعدّ الأغنام ولكنّه لا يستطيع أن ينام، وسيتّهمني بالكذب وسيتساءل: كيف يُمكن أن ينام الإنسان على الفور بِمُجرّد أن يستلقي على السرير؟ وسيشكو من أنّه بالرغم مِن كلّ التجارب التي قام بها، إلا أنّه لم يتمكن مِن النوم على نحو عميق، بل أحيانًا لم يستطع أن ينام على الإطلاق كلّ الليل.
إنّ ثلاثين أو أربعين بالمئة من سكان مدينة «نيويورك» يتناولون العقاقير المنوّمة، ويخشى الأطباء النفسيون من أنّه في غضون مئة سنة لن يقدر أحد على النوم على نحو طبيعي، وسيتوجب على الجميع أن يتناولوا المُهدّئات عندما يخلدون إلى النوم، فإذا كانت الحالة الراهنة للصحة العقلية في «نيويورك» على هذا النحو، فسيحدث الشيء ذاته في «الهند» خلال مئتي سنة القادمة، فزعماء «الهند» لا يتلكأون أبدًا في تقليد الأجانب، وبالتالي لن نكون مُتخلفين كثيرًا عن اللحاق بسكان «نيويورك»، فنحن نستورد كلّ شيء منهم، فكيف لنا أن نتجاهل أمر القلق قبل النوم؟.
هكذا في غضون خمسمئة سنة سيكون مُحتملاً أن يتناول كلّ إنسان على هذه الأرض العقاقير المنومة قبل أن يذهب إلى السرير، أما الطفل الرضيع الذي وُلِد للتوّ فسيطلب على الفور مُهدِّئًا بدل الحليب، ذلك أنّه لم يكن في سلام وهو في رحم أُمّه! بعدها سيكون من الصعب جدًّا إقناع الناس في ذلك الحين، أنّ البشر قبل خمسمئة سنة كانوا يخلدون إلى النوم دون عقاقير منوّمة، بل سيقولون إنّ هذا غير مُمكن، وسيتساءلون بعدها: كيف حصل هذا الأمر؟.
بالمثل، سيكون من الصعب جدًا إقناع الذين وُلدوا من العزوبة أنّ الناس من قبل كانوا عديمي الشرف، وأنّه فيما مضى كان هناك لصوص وقتلة، وأنّ هناك أناس انتحروا، وأنّهم سمموا وطعنوا بعضهم البعض وشنّوا الحروب، كما لن يصدّقوا أيضًا أنّ البشر من قبل كانوا يُولدون من جرّاء نشاط جنسي مُبتذَل، ولم يذهبوا إلى ما هو أعمق من مُجرّد الاتصال الجسدي قيد أنملة.
خلاصة القول أنّه يُمكن أن يتطور الجنس الروحي، ويُمكن أن تبدأ البشرية حياة جديدة.

لقد جاءني صديق وعبّر عن خشيته مِن أنّ بعض الأشخاص يشعرون أنّه لا ينبغي التحدّث بهذا الموضوع، ورُبّما ينهضون ويعلو صراخهم من أجل إيقاف هذه المحاضرات، وقد شعرَ أنّ البعض قد يحتجّون بقوة وبصوت عالٍ على طرح مثل هذا الموضوع على الملأ. قلتُ له: إنّه سيكون عالَمًا أفضل عندما يُوجد مثل هؤلاء الناس الشجعان مِن حولنا، أين ستجد شخصًا شجاعًا جدًّا إلى درجة يقف فيها أمام تجمّع عام، ويطلب مِن المُتحدّث أن يُوقف مُحاضرته؟. لو وُجد مثل هؤلاء الشجعان في هذه البلاد، لتوقفت منذ زمن طويل تلك الأحاديث السطحية والسخيفة التي تُلقى من أعلى المنابر في هذه البلاد من قِبَل صف طويل من الرجال الحمقى. لكنّهم لم يقفوا بعد ولن يقفوا أبدًا، كنتُ أنتظر منذ البداية شخصًا شجاعًا ينهض ويطلب منّي التوقف عن الحديث، ولو فعل ذلك لكنتُ حينها ناقشتُ معه الموضوع بالتفصيل، وسيكون ذلك مصدر سعادة كبيرة لي.
لذلك، بالنسبة إلى هذه الأحاديث حول هذا الموضوع، على الرغم من حقيقة أنّ العديد من الأصدقاء كانوا يخشون من أن يقف شخص ما ويحتج، أو أن يخلق أحدهم شوشرة وفوضى هنا، ولكنّكم استمعتُم بهدوء، فجميعكم أناس طيبون، وأنا ممتنّ لإصغائكم الهادئ والصبور.

ختامًا أقول من كلّ قلبي: أتمنى أن تُصبح الرغبة والشهوة داخل كل منّا سُلّمًا نصل من خلاله إلى معبد الحب، وأن يُصبح الجنس داخل كلٍّ منا العربة التي تُوصلنا إلى أعلى الوعي الأسمى.
أخيرًا أنحني إجلالاً وإكبارًا للإله الممجّد فينا جميعًا.